Diwan al Arab
منبر حر
للثقافة والفكر والأدب
www.diwanalarab.com

مكتبة ديوان العرب تقدم لكم

من اليهودية إلى الصهيونية

للباحث والأكاديمي اللبناني

أسعد السحمراني

الإهـــــــداء

الى أرواح الشهداء الأبرار

الذين قضوا في مواجهة العدو

والى كل مجاهد حمل راية المقاومة

من أجل استرداد أرضنا ومقدساتنا وكرامتنا

أهدي عملي هذا ..

كلمة الناشر

ألحان السلام تطرق الآذان صباح مساء. وكثيرٌ منا يحلم بأيام حلوة آتية معه، بعدما استطاعت "الصِهيوصليبية" أن تقنط الكثيرين منا من النصر، نتيجة هزائم اصطنعتها، مُنِيَ بها العرب ولم يخوضوا حروبها، فسادت بين بعضهم فكرة "اختيار أهون الشرين".

والاستعمار الذي خرج من الباب، بعدما أذلّنا دهراً، وعاد الينا من "الشبابيك" ليمتص دماءنا بطرق أكثر حنكة وذكاء. هذا الاستعمار تغيرت أخلاقه، وتاب الى الله العفوِّ القدير عن جرائمه التي ارتكبها بحقنا. وهو يسعى ليكفِّر عنها بمساعدتنا في الدخول في العصر الأميريكي، عصر الحرية والعدالة وحقوق الإنسان (!). .

وهو لم يغرس إسرائيل في خاصرتنا، ولم يستخدمها ليفصل بين العالم العربي الإسلامي الآسيوي والعالم العربي الإسلامي الإفريقي.

والصهيونية التي سلبت أرضنا، وقتلت رجالنا، واغتصبت نساءنا، خرج منها الشيطان، وسكنها الرحمن، فهي تسعى للتكفير عن خطاياها قبل عام الألفين (فمن يعلم ما سيحدث عام الألفين)، فتمنحنا السلام وتعلمنا التكنولوجيا، وتقدم لنا الحور العين.. .

وهكذا سيختلط الزيت بالماء، ولن يكونا بعد اليوم عنصرين مختلفين. إنها إرادة أميركا، سيدة العالم، وصانعة التكنولوجيا.. وعلينا نسيان المآسي التي سببتها لنا منذ وجودها الى الآن، أو تناسيها. ومن لا ينسى، أو يتناسى، تمحى ذاكرته بالتكنولوجيا الغربية، أو يمحى من الوجود، باسم الحرية والديموقراطية. . . وحقوق الإنسان أيضاً.

وعلينا أن نقبل بتفوق شرذمة احتلت فلسطين في غفلة من الزمن، على جميع العرب والمسلمين، مع ملاحظة أن يكون التفوق عاماً شاملاً، لا عسكرياً فقط.

كما علينا أن نقبل بتدمير أسلحتنا الصاروخية وغير الصاروخية، ونقبل بالسلاح النووي الإسرائيلي . . بل علينا أن نكفّ عن تلاوة آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن يهود.

فنحن إما إرهابيون، أو أصوليون، أو متخلفون. . الى غير ذلك من الصفات، أو المصطلحات، التي تطلقها أبواق "الصهيوصليبية" ويعرف كذبها صانعوها وكثير من مروجيها. بينما "الصهيوصليبيون" إنسانيون، حضاريون، دعاة حقوق الإنسان.. مع أن جميع ديكتاتوريي العالم من صنعهم، أو صنائع لهم، أو على الأقل ينفذون مخططاتهم، فينطبق عليهم مبدأ "إن الخطأ قد يكون أكبر من الخيانة".

وربما كان النصر بعيداً، بل ربما لا ينصرنا الله ونحن على هذه الحال، لأن في نصرنا مخالفة لسننه في خلقه.. ولسنا بحاجة لشرح طويل في هذا المجال، فالمفروض أننا ندرك حقيقة واقعنا، ولكن السلام الآتي، أو المفروض، لن يلغي الصراع الذي سيأخذ أشكالاً مختلفة. . .

فقد كان الصراع العسكري يطغى على الجوانب الأخرى. وحالت المقاطعة الاقتصادية دون سيطرة البيوتات المالية الإسرائيلية على اقتصادنا. وأدت حالة الحرب الى التقليل من التأثير الثقافي اليهودي علينا. . والأهم من ذلك أن القضية بقيت حيّة في النفوس، تتوارثها الأجيال. فإذا بأطفال الحجارة عمالقة يلقِّنون أجدادهم دروساً في الجهاد والنضال، وينتزعون إكبار العالم وإجلاله، ويكسبون تأييده وعطفه.

من هنا تبرز أهمية هذا الكتاب، وفي هذا الوقت بالذات، فهو يفضح عقائد يهود، ويكشف زيف ادعاءاتهم التاريخية، ويوضح أساليبهم في توظيف الدين في خدمة مشاريعهم السياسية، ولو أدى ذلك الى تحريف الدين والعقيدة والتاريخ. . .

وقد وُفِّق المؤلف، وهو أستاذ جامعي وبحاثة متخصص في الدراسات الإسلامية والفكرية، في تقديم المادة بأسلوب شائق، واستطاع أن يلم بجوانب العقيدة اليهودية، وتاريخ الحركة الصهيونية، وألقى أضواء كاشفة على مشاريعها التوسعية، وأخطارها المستقبلية، مما يجعله أهلاً للشكر والتقدير، ويجعل بحثه ضرورياً لكل مسؤول، ولكل مثقف.

أحمد راتب عرموش

مقدمة

يعيش جيلنا واحداً من أخطر الصراعات التي تخوضها أمتنا في تاريخها القديم والحديث، هو الصراع ضد العدو الصهيوني صاحب المشروع الاستعماري المدعوم من قوى دولية تقف على رأسها اليوم الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عامة.

إن الحركة الصهيونية المعاصرة تضم يهود العالم مع صهاينة غير يهود، هم جماعة ما يسمى بالأصولية المسيحية التي تؤمن بالعهد القديم وما ورد فيه من مزاعم، ونبوءات كاذبة تقرر، زوراً، حقاً ليهود بدولة في أرض فلسطين.

إن هذا الاتجاه الديني الصهيوني التقى مع الأطماع الاستعمارية التي تريد الانقضاض على أمتنا العربية، وبعدها على العالم الإسلامي، والعالم الثالث عموماً، لأن أمتنا إن توحدت، بما تملك من إمكانات، تستطيع تعديل خريطة الوضع السياسي العالمي.

إن أمتنا تملك الموقع الاستراتيجي الهام وفي قلبه قناة السويس، وتملك الثروة الروحية؛ فهي مهد النبوات وموطن المقدسات، منها انطلقت الدعوة المسيحية، ومنها انتشرت دعوة الإسلام؛ فالقرآن الكريم بلغتها وكذلك السنّة النبوية، وكتب الفقه وسائر العلوم الدينية، يضاف الى ذلك ما فيها من ثراء اقتصادي متنوع يتربع على قمته النفط حالياً، لكل هذا يريد الأعداء بأداة هي دولة إسرائيل، ومعها الصهيونية، تقويض هذه الأمة.

بعد اطلاعي على مؤلفات عديدة عن اليهودية والصهيونية وجدت أن أغلبها قد ناقش الموضوع من جانب واحد، إما ديني بحت أو سياسي – تاريخي صرف، ولما وجدت الحاجة ملحة لمعالجة الموضوع دفعة واحدة، من جانبيه الديني والسياسي، ولكي نتبيّن الارتباط بين الوجهين، لا بل لكي نرى أن الفكرة السياسية ترتكز غالباً عندهم الى تبرير ديني مزعوم، لذلك سعيت لإخراج هذا العمل ليضاف الى ما كتب وهو كثير وغني.

وما يلفت نظر الدارس المدقِّق أن ما بين أيدي يهود من أدبيات بما في ذلك العهد القديم بعيد كل البعد عن رسالة موسى عليه السلام. إن نصوص العهد القديم التي نقلت بأشكال متفرقة، والتي تم تدوينها على مراحل متباعدة، أصابها من التحريف الشيء الكثير، حيث أُدخلت عليها مفاهيم قبلية، أو أفكار من هنا وهناك والغاية كانت أن تتحول هذه النصوص الى ما يرضي الهوى اليهودي، لذلك يكون التعامل مع أدبيات يهود، ومع "العهد القديم"، تعاملاً مع نصوص عبثت بها الأيدي والأهواء، ولذلك يكون من الواجب أن نتعامل معها بحذر وبقراءة نقدية فاحصة، وسأترك لصفحات الكتاب مسألة تبيين ما ذهبت اليه.

لا أدّعي الكمال لعملي، ولا أنني سبقت فيه سواي الى مبتكرات، وإنما هو جهد بذلته لأساهم في تعريف القارئ العربي بعدوه، عدو الوجود، لا بل يمكن القول إن الصهاينة أعداء للتقدم والحضارة الإنسانية، وقد اعتمدت الأسلوب التحليلي الذي يستقرئ النصوص ليستخرج من خلالها الصورة الحقيقية لهؤلاء القوم الذين يشكلون حالة عنصرية من واجب كل مؤمن مواجهتها.

سأترك صفحات الكتاب تتحدث عن تهافت مزاعم الصهيونية المعاصرة وتفضح حقيقتهم، وما قمت به هو مساهمة جهادية بالكلمة.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا، وأن يكتب لي فيه أجر المجاهد باللسان والكلمة، وأرجو أن تكون فيه فائدة للقراء العرب، وأن يكون من ضمن حوافزهم للإعداد من أجل أن يعملوا لساعة مواجهة لا بد آتية تهزم فيها المشروع الصهيوني – الاستعماري وتعلو راياتنا خفّاقة عزيزة بنصر هو من عند الله تعالى الذي يقول:

<<أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير>>. [سورة الحج: آية 39].

1999/11/26
أسعد السحمراني

الفصل الأول
قراءة في الاصطلاحات

تحتاج الكتابة عن يهود اليوم الى قراءة متأنية لمعرفة الأسباب التي دفعتهم الى تنويع مصطلح الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم، وما ذلك إلا لأن الاسم يشكل، بالنسبة لهم، مدخلاً للعقيدة الدينية من جهة، وللمشروع السياسي من جهة أخرى.

وتشكل التسمية، في هذه الحالة، عنواناً هاماً لصفحات من المبررات التي يعملون على حشدها من أجل أن يصبح الفكر الديني عندهم في خدمة الفكرة السياسية التي تتلخص في هدف لم يعد خافياً على أحد، وإنما يطرحونه جهاراً نهاراً وأمام بصر العالم وسمعه، هذا المشروع هو إقامة دولة صهيونية في فلسطين وما حولها تحقيقاً لوهم يهودي، ولهدف استعماري أوروبي أمريكي.

وإذا كان اللبس في استخدام الاصطلاحات أمراً متعمداً من قبل قادة المشروع العنصري من يهود، فإن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد وإنما تحوّلت الأكذوبة الى ميدان تضليل في أوروبا وأمريكا، وبذلك التقى الدافع الاستعماري عندهم مع زعم ديني، واشتد الحماس في بلدانهم للمشروع الصهيوني، وباتوا يعملون على خدمته بكل ما يستطيعون.

إن الاصطلاحات المستخدمة عندهم هي: عبريون – إسرائيليون – يهود – صهاينة. وفي متابعة متأنية سنحاول تبيان مدلولات هذه الاصطلاحات لنرى الشبهة اللاحقة في الاستخدام لها عندهم في أدبياتهم، وكأنها ذات مدلول واحد.

1- عبريون

عند الشعوب القديمة التي سكنت أرض الأمة العربية، وعلى اختلاف لهجاتها ولغاتها، وعلى تعدد معتقداتها وثقافاتها، كان استخدام كلمة "عبري" متداولاً، وكان وصف "عبري" يُطلق على من يعتمد الترحل في

نمط معاشه. والكلمات المتداولة في هذا المعنى هي: العبري – الابري – العبيرو – الهبيري – الخبيرو . ..

الإشكالية، في هذا الاصطلاح، أتت من تأثير الكتابات والأدبيات اليهودية التي كانت تستخدم كلمتي عبرية ويهودية وكأنهما تدلان على المعنى نفسه، والواقع يخالف ذلك تمام المخالفة، فالعبرية، كما سبق القول، استخدمت قبل موسى عليه السلام، بآلاف السنين، واستخدامها كان سابقاً على وجود اليهودية، ومما جاء عن هذا المعنى في "معجم اللاهوت الكتابي": "إن المعنى الأصلي لتسمية العبرانيين ليس بواضح. ففي كتاب التكوين، يدل الاسم دائماً على أناس استوطنوا كغرباء في بلد ليس بلدهم الأصلي" (1).

من النصوص التي تفيد ذلك ما جاء عن وصف أبرام (إبراهيم) بالعبراني: "فجاء من أفلت وأخبر أبرام العبراني وهو مقيم عند بلوطات ممْرا الأموري أخي أشكول وعانر وهم حلفاء أبرام" (1). فإبرام الذي كان يعمل لنجدة ابن أخيه، لم يكن في موطنه الأصلي فلُقّب بالعبراني.

ويبدو أن اسم، أو لقب، عابر، قد أطلق على شخص ما قبل إبرام (إبراهيم)، وتسمية شخص بعابر، التي عُرفت، تؤكد على أهمية هذا اللقب عند شعوب المنطقة لآلاف السنين قبل اليهودية، وإلا لما تحوّل الى اسم علم يُسمى به بعض الأشخاص. جاء في سفر التكوين: "وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر" (2). وجاء كذلك: "وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لأنه في أيامه انقسمت الأرض واسم أخيه يقطان" (3).

وإذا كانت تسمية عبري، أو عبراني، قد عرفت قبل موسى عليه السلام بقرون عديدة، لماذا اللبس إذن؟ الإجابة عن ذلك تبين لنا أن الأدبيات اليهودية هي التي أحدثت هذا اللبس ليخدموا، عبره، فكرتهم في أرض الميعاد وبأنهم أصحاب حق تاريخي بفلسطين وما حولها.

لقد "اعتاد الناس منذ زمن طويل، بتأثير الكتابات التوراتية، أن يفهموا أن العبرية واليهودية كلمتان بمعنى واحد، وهذا خلاف الواقع، فالعبرية، في نحو القرن العشرين قبل الميلاد، كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحّل في صحراء الشام.. . ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين. ولما وُجد اليهود وانتسبوا الى إسرائيل كانوا هم أنفسهم يقولون عن العبرية إنها لغة كنعان.

ومجمل القول إن الحاخاميين الـ "يهود" وجدوا أن أحسن طريقة يمكن اتباعها لربط تاريخهم بأقدم العصور، ولجعل عصر الـ "يهود" متصلاً بأقدم الأزمنة هو استعمال مصطلح عبري، أو عبيرو، للدلالة على يهود بوجه

عام، وبذلك يصبح تاريخ فلسطين تاريخاً واحداً متصلاً ومرتبطاً، منذ أقدم العصور، بالشعب الـ"يهودي" (1).

إن متابعة مصطلح عبري في الكتاب المقدس (العهد القديم)، تبيّن لنا ما ذهبنا اليه. فقد أطلقت تسمية عبري على يعقوب ويوسف عليهما السلام. فلقد جاء عن حادثة امرأة العزيز، التي راودت يوسف عن نفسه، أنها، ستراً لفعلها، حاولت اتهامه بالأمر وتحويله عن نفسها فجاء على لسانها: "فلما رأت أنه قد ترك رداءه بيديها وهرب خارجاً، صاحت بأهل بيتها وقالت لهم انظروا كيف جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا. أتاني ليضاجعني فصرخت بصوت عالٍ" (2). وفي السجن يقول يوسف عليه السلام، لمن معه، بأنه ليس من أرض مصر وإنما هو من أرض العبرانيين: "لأني قد خطفت من أرض العبرانيين وههنا أيضاً طرحوني في هذا الجب منغير أن أفعل شيئاً" (3).

وإذا كان يوسف، بالأصل، من أرض العبرانيين، فهل العبرانيون هم بنو إسرائيل وإسرائيل، كما يأتي لاحقاً، هو يعقوب والده؟ نصوص الكتاب المقدس نفسها، وفي خطاب موجه الى الإسرائيلي من أتباع يعقوب أو من ذريته، تقول له عن العبراني بأنه أخوه: "إذا باع منك أخوك العبراني أو أختك العبرانية نفسه فليخدمك ست سنين، وفي السنة السابعة أطلقه من عندك حراً" (1)، وفي المعنى نفسه عن واجب الإسرائيلي الذي استرق عبرانياً بماله، وبعد أن يخدمه العبراني ست سنوات، فعلى الإسرائيلي أن يطلقه حراً في السنة السابعة. "عند تمام سبع سنين أطلقوا كل واحد أخاه العبراني الذي باع نفسه لك وخدمك ست سنين فتطلقه من عندك حراً فلم يسمع لي آباؤكم ولم يميلوا مسامعهم" (2).

نخلص الى القول: إن يهود، وبشكل متعمد، حاولوا أن يصوروا على أن العبرية لقب خاص بهم، سواء فُهم ذلك على أنه انتماء ديني أو انتماء قومي، المهم عندهم أن يجدوا مبرراً تاريخياً، ولو مزوراً، لحق مزعوم، ونختم بما جاء في معجم اللاهوت الكتابي: "فهكذا، حتى السبي، لا يظهر اللفظ قط، لا كتسمية لشعب، ولا كلقب له قيمة دينية" (3).

2- إسرائيليون:

"إسرائيل" كلمة غير عربية، وقد تكون لغة الكنعانيين القدماء، وهي كلمة لا تقبل الصرف، وتتكون من مقطعين: إسرا، إيل. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما، كما ورد في تفسير القرطبي: إسرا بالعبرية هو عبد، وإيل هو الله. وقيل: إسرا هو صفوة، وإيل هو الله. وبذلك يكون معنى الكلمة عبدالله لكن الأرجح أنها عبدالإله، وليس عبدالله، لأن كلمة "إيل" معناها "إله" وليس الله.

إسرائيل "عبد الإله"، وهو اسم أطلق على يعقوب عليه السلام، وبعده عُرف المنحدرون منه بالنسب بالإسرائيليين. وبذلك فإسرائيل رابطة قرابة ونسب لا رابطة دين، ولا رابطة مفتوحة للمنتسبين ممن يريدون.

لكن يهود ومن باب توليد اللبس، ومن قبيل التضليل أعطوا للكلمة مدلولات أخرى، ويكفي أن نقرأ النص التوراتي الوارد عندهم وبذلك يتضح مفهومهم لأصل تسمية يعقوب بإسرائيل، وما تحمله التسمية من تضخيم للأمر يترافق معه تقليل من شأن الإله.

جاء في سفر التكوين: "وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل الى مطلع لافجر، ورأى أنه لا يقدر عليه فلمس حُقّ وركه فانخلع حُقّ ورك يعقوب في مصارعته له. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك أو تباركني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رؤست عند الله فعلى الناس أيضاً تستظهر" (1). وفي ترجمة أخرى للنص: لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

ورد في معجم اللاهوت الكتابي عن كلمة "إسرائيل"؛ إسرائيل: رؤوس عند الله (صارع الله) (2)

إن هذا النص كافٍ وحده كشاهد على التشويه للنصوص الدينية الذي مارسه يهود، وهو يشهد أيضاً على فساد العقيدة عندهم. ففيه تجسيد للإله وأنه يظهر على هيئة رجل يصارع يعقوب ليلاً بأكمله، وفيه، فوق التجسيد، تحديد لقدرة الإله الذي لم يتمكن من أن يفك نفسه من مصارعة مع يعقوب، وفي هذا النص تحميل لكلمة إسرائيل غير ما تحتمل، وإذا بهم ينقلونها من "عبد الإله"، وهذا معنى لا خلاف فيه، الى معنى قوة تصارع الإله وتظهر وتبرز قدرتها حتى في مواجهته، وبالتالي يكون، مما لا يقبل الجدل، ظهور مثل هذه القوة على البشر، وما داموا هم "إسرائيليون" فإنهم وارثون لهذه القدرة التي سيظهرون بها على البشر، وهنا ينجلي اللبس عن نفسية عندهم تقوم على الاستعلاء والقوة، وأنها بهما تظهر ما دام إسرائيل الأول قد جاهد الله والبشر وقدر كما زعموا.

وللمصطلح مدلول سياسي، بعد مدلوله الديني، حيث أطلقوه على مملكة الأسباط التي أقيمت في الشمال، بمقابل مملكة يهوذا وبنيامين في الجنوب.

الأسباط – كما نعلم – هم اثنا عشر سبطاً ورقمهم ثابت لا يقبل التبديل وهم: يهوذا – بنيامين (وهما بانيا مملكة الجنوب) ورأوبين – شمعون – زبولون – يسّاكر – نفتالي – لاوي – أشير – يوسف – جاد – دان.

"وقد أطلق اسم إسرائيل في التوراة على المملكة التي قامت في فلسطين وحكمها شاؤول وداود وسليمان، من حوالي سنة 1020 ق.م. حتى 922 ق. م. ثم خُصّ هذا الاسم، بعد انقسام المملكة، بالجزء الشمالي، وكانت عاصمته السامرة وقد قضى الأشوريون على هذه المملكة في سنة 722 ق. م." (1).
إن قضاء الأشوريين على دولة الشمال "إسرائيل" وسبي أهلها، كما جاء ذكره في أسفار العهد القديم، هو ما عرف باسم السبي الأول (2).

تنقل المصادر التاريخية أن "ياهو" حاكم "إسرائيل" دول الأسباط العشرة، كان يؤدي الجزية لشلمنأصر، ملك أشور، وكان ذلك حوالي العام 824 ق.م. وأثناء حكم تغلث فلاسر (746 ق.م. – 728 ق.م.) بدأ الأشورويون يسبون سكان الأرض. وفي أثناء حكم فقح سُبي سبط نتالي، ثم سبي بقية السكان من الرأوبيين والجاديين، ونصف سبط منسّى الى ما بين النهرين "فحرك إله إسرائيل روح فول ملك أشور ثم روح تلجت فلنآسر ملك آشور فجلا الرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسّى وأتى بهم الى حلاح وخابور وهارا ونهر جوزان الى هذا اليوم" (3). وبعد هذا النفي حوصرت عاصمة مملكة الشمال السامرة، وسقطت بيد سرجون عام 722 ق.م.، وسُبي بقية السكان منها الى مادائي وما بين النهرين "وصعد ملك أشور على الأرض كلها، وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين. وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة وجلا إسرائيل الى أشور وأسكنهم في حلاح وعلى خابور نهر جوزان وفي مدائن ماداي" (1).

فإسرائيل إذن إما أنه الأسم الثاني ليعقوب عليه السلام ومعناه: عبد الإله، أو أنه اسم أطلق على مملكة الشمال التي أقامها الأسباط العشرة من نسل يعقوب، وكانت عاصمتها السامره. على أي حال "إسرائيل" يتعلق بنسب واسم، ولا علاقة له بمشروع استعماري – استيطاني يقوم اليوم، وما الاستخدام اليوم إلا من باب إيجاد المبرر الديني، أو قل: الستار الديني اليهودي.

3- يهود:
إنه من المرجح، وفق قواعد اللسان العربي، أن كلمة "هاد" معناها: تاب ورجع. فلقد جاء عند الشهرستاني: "هاد الرجل: أي رجع وتاب. وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: <<إنّا هُدْنا إليك>> (2). .. وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أعني أنه ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتاباً، بل صحفاً" (3).

وذهب ابن منظور، في لسان العرب تحت مادة "هود"، الى المعنى نفسه فقال: "الهوْد: التوبة. هاد، يهود هوداً وتهوّد: تاب ورجع الى الحق، فهو

هائد. . والتهود: التوبة والعمل الصالح. . . والهود: اليهود. . . وسُميت اليهود اشتقاقاً من هادوا والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً.

وإذا ما عدنا الى الكتاب المقدس نجد أنهم "دُعوا يهوداً من يهوذا، أحد أسباطهم، وتغلب هذا الاسم واشتهروا به لأن سبط يهوذا كان مزمعاً أن يكون له السؤدد والمجد في إسرائيل، لأنه عندما دنا يعقوب من الموت خاطب ابنه بهذه الكلمات" (1): "يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك على قُذُل أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. . .لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب" (2). من هذا النص يتضح أن يهوذا هو الموعود بصولجان مملكة يهود.

ويهوذا أطلقت أصلاً على مملكة الجنوب التي كانت عاصمتها "أورشليم"، والتي وجد بمقابلها مملكة إسرائيل "افرائيم" وعاصمتها السامرة في الشمال، وفيها الأسباط العشرة، وأما يهوذ فكان فيها يهوذا وبنيامين فقط (3).

بعد وفاة سليمان، نحو سنة 950 ق.م.، انشق ملك أسباط بني إسرائيل الى مملكتين، ومملكة الجنوب تعرض لما سُمّي في التاريخ بالسبي الثاني، وهو الأساسي عندهم، أما السبي الأول فيطلق على سبي مملكة الشمال (إسرائيل).

والسبي الثاني هذا حصل "على يد نبوخذنصر في أربع مراحل، في عام 605 ق.م. و597 ق.م. و587 ق.م.، ثم في عام 582ق.م."، وما يفيد حصول ذلك هذا النص: "وكان يوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ذلك، وملك إحدى عشرة سنة بأورشليم وصنع الشر في عيني الرب إلهه. فخرج عليه نبوخذنصر ملك بابل وأوثقه بسلسلتين من نحاس ليسوقه الى بابل" (1).

فاليهودية، إذن، نسبة الى يهوذا أحد الأسباط، ومنه كانت مريم عليها السلام. والسبي بالنسبة لأبناء يهوذا لم يطل، بل "سقطت بابل في عام 539 ق.م. في يد كورش الفارسي، فسمح بعودة الـ"يهود" الى أرضهم، ولكن كثيرين منهم فضلوا البقاء في بابل، فصار اسمهم يهود الشتات. وعاد بعضهم الى أرض آبائهم، تحت قيادة زربابل .. . ثم تحت قيادة عزرا . . . ثم تحت قيادة نحميا" (2).

والنصوص التي تفيد هذه الوقائع منها: "وهؤلاء بنو البلاد الذين صعدوا من الجلاء ممن جلاهم نبوخذنصر ملك بابل ورجعوا الى أورشليم، ويهوذا كل واحد الى مدينته. الذين جاءوا مع زربابل ويشوع ونحميا وساريا ورعليا ومردكاي وبلشان ومسفار وبجواي ورهوم وبعنة. عدد رجال شعب إسرائيل" (3).

وبعد أن ملك ارتحشستا ملك فارس تمت عودة لجماعة مع عزرا، وجاء عن ذلك "صعد عزرا هذا من بابل وهو كاتب ماهر في توراة موسى، أعطاها الرب إله إسرائيل، فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلهه عليه. وصعد معه قوم من بني إسرائيل ومن الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيين الى أورشليم في السنة السابعة لأرتحشستا الملك" (1).

لكن كلمة يهودي (JUIF) توسّع استخدامها من أبناء مملكة يهوذا (JUDA) الذين عادوا بعد سبيهم، لتطلق على جميع يهود أينما كانوا، وحيثما حلوا أو وُجد أحد منهم.

وانطلاقاً من واقع حالهم تكون "اليهودية نسبة الى يهوذا، وهو أحد أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، الذي ولد منه مسيح النصارى، ومنه سيولد مسيح الـ"يهود" على زعمهم ويهوذا هو الرابع من أبناء يعقوب وأمه ليئة" (2).

اليهودية، بعد رسالة موسى عليه السلام، باتت عقيدة وشريعة وهي ليست نسباً كإسرائيل، ولا هي صفة لهيئة معاش كالعبرية، ولا هي عنوان مشروع سياسي كالصهيونية.

4- صهيونيون:

ليست الصهيونية مصطلحاً دينياً، وإنما هي مصطلح سياسي يحمل فكرة يهودية تقوم على حق مزعوم بعودة الى أرض فلسطين، التي يطلقون عليها اسم: "أرض المعاد". وهذه العودة من بين أهدافها – حسب زعمهم – إعادة إقامة "هيكل سليمان" في القدس، ولهذا كله عدّوا قيام منظمة سياسية تحقق هذا الغرض ضرورة لا بد منها.

لكن هذا المشروع السياسي لا ينبثق من معتقد ديني، لأن العودة الى أرض الميعادة لا تكون وفق نصوص الكتاب المقدس على يد حركة سياسية، وإنما تتحقق بمسيح مخلص مبعوث من الخالق.

رغم ذلك قامت الحركة الصهيونية وعملت على تحقيق الحلم في إقامة كيان سياسي يهودي في أرض فلسطين وما حولها، وحاولت هذه الحركة تجاوز الحقيقة الدينية عندهم لتعتمد الحقيقة الاستيطانية الاستعمارية أساساً لعملها.

كلمة "صهيون" كما يرجح "قاموس الكتاب المقدس" معنها: حصن وصهيون هي "رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم. ورد ذكرها، للمرة

الأولى، في العهد القديم كموقع لحصن يبوسي، فاحتل داود الحصن، وسماه مدينة داود" (1).

واليبوسيون، كما هو معلوم تاريخياً، قبيلة عربية وأبناء عمٍ للكنعانيين، ثبت أنهم أقاموا إمارتهم في القدس ومنها حصن صهيون بقيادة أميرهم سالم اليبوسي، حوالي سنة 2500 ق.م.، وبذلك تكون القدس موطن اليبوسيين قبل إبراهيم عليه السلام بما يزيد عن 500 سنة، وبحوالي 1000 سنة قبل موسى عليه السلام.

إن نصوص الكتاب المقدس تفيد بأن اليبوسيين هم سكان أورشليم "القدس" الأصليين، من هذه النصوص: "وسار داود وجميع إسرائيل الى أورشليم التي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان الأرض. فقال سكان يبوس لداود إنك لا تدخل الى ههنا. فأخذ داود حصن صهيون وهو مدينة داود. .. وأقام داود في الحصن ولذلك سمّي مدينة داود" (1).
وهيكل سليمان الذي أقيم على جبل صهيون، بُني على تلة الموريا، وهي ملك رجل يبوسي، كما جاء في الكتاب المقدس؛ "وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل الموريّا الذي كان قد أُريه داود أبوه في المكان الذي أعدّه داود في بيدر أرنان اليبوسي" (2).

أصل القدس وجبل صهيون لليبوسيين، ومع ذلك يسعى يهود لتبرير فكرتهم السياسية بإيجاد ارتباط ما معها، ويهود لا ينظرون للأمر إلا من زاوية أنهم أمة متكاملة، وهذا مخالف للمنطق، فما الذي يجمع يهود العالم، على تنوع قومياتهم وأعراقهم، في أمة واحدة؟

الصهيونية ربطت نفسها بجبل صهيون من أجل إيجاد مسوغ ديني لنفسها لكنها في الحقيقة "حركة سياسية عنصرية أحيت فكرة أرض الميعادة وإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين بحجة الحقوق التاريخيةلليهود في تلك الأرض" (3).

إن الصهيونية هي حركة العاملين من أجل احتلال فلسطين ضمن مشروع توسعي، ورمز جنسيتهم وزعمهم إعادة بناء هيكل سليمان في القدس.

وإذا أردنا تحديد الرابط بين اليهودية والصهيونية، فمن الممكن أن نأخذ بتحديد معقول وضعه د. أحمد سوسة يقول فيه: "إن اليهودية عقيدة دينية شاملة على عكس الصهيونية التي تمثل حركة سياسية عنصرية متطرفة، تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع يهود العالم، من مختلف القوميات والأجناس، في وطن قومي واحد بالضغط والعنف الشديد وإسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة" (1).

(1) معجم اللاهوت الكتابي، بيروت، دار المشرق، ط 2، سنة 1986م، ص 527.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 14، آية 13.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 11، آية 15.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 10، آية 25.

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 1، دمشق، ط 1، سنة 1984م، ص 186، 187.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 39، آية 13، 14.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 40، آية 15.

(1) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 15، آية 12.
(2) نبوءة إرميا، الإصحاح 34، آية 14.
(3) معجم اللاهوت الكتابين م. س.، ص 527.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 32، الآيات 24، 25، 26، 27، 28.
(2) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 68.

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 1، م. س.، ص 238.
(2) قاموس الكتاب المقدس، تحرير د. بطرس عبد الملك وآخرون، بيروت، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط 2، سنة 1971م، ص 458.
(3) سفر أخبار اليوم الأول، الإصحاح 5، آية 26.

(1) سفر الملوك الرابع، الإصحاح 17، آية 5، 6.
(2) سورة الأعراف، آية 156.
(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة 1402 هـ، 1982م، ص 210، 211.
(1) عبود، القس بولس، الـ"يهود" في التاريخ الى عهد المسيح، يافا (فلسطين)، سنة 1920م، ص 5، 6
(2) سفر التكوين، الإصحاح 49، آية 8، 10
(3) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 458

(1) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 36، آية 5، 6
(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 458
(3) سفر عزرا، الإصحاح 2، آية 1، 2

(1) سفر عزرا، الإصحاح 7، آية 6، 7

(2) الحاج، يوسف، هيكل سليمان أو الوطن القومي اليهودي، بدون تاريخ، ص 90

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 558

(1) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 11، الآيات 4، 5، 7
(2) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 3، آية 1
(3) التميمي، د. عبد الملك خلف، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، محرم / صفر 1404 هـ، نوفمبر (ت2) 1983م، ص 109.

(1) سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، ط 7، بدون تاريخ، ص 757.

الفصل الثاني
يهود ليسوا ساميين

يزعم صهاينة اليوم أنهم متحدِّرون من أصل سامي، انطلاقاً من تلك الأسطورة التي أوردوها في سفر التكوين عن قضية ستر العورة لنوح من قبل ولديه سام ويافث، وغضبه على ابنه الثالث حام الذي لم يقم بذلك.

ورد في هذه الأسطورة ما يلي: "وابتدأ نوح يحرث الأرض وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتكشّف داخل خبائه. فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه فأخبر أخويه وهما خارجاً. فأخذ سام ويافث رداءً وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوءة أبيهما وأوجههما الى الوراء وسوءة أبيهما لم يرياها. فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد إخوته" (1).

هذه الأسطورة فيها، إضافة الى الإساءة الى نبي الله تعالى نوح عليه السلام – وهذا موضوع سنتناوله في مبحث نظرة يهود لعصمة الأنبياء - ، تعليل يحمل في طياته فكرة الاستعلاء عند يهود الذين يحاولون، من خلال هذه الأسطورة، أن يبرهنوا على أنهم من سام، وأنهم الصفوة، أما كنعان المتحدر من حام فقد أصابته اللعنة.

لكن هذا الكلام كله على أسطوريته هو قبل موسى عليه السلام وقبل اليهودية، لا بل قبل إبراهيم عليه السلام والعبور، وقبل يعقوب عليه

السلام المسمّى إسرائيل كذلك، فما الرابط يا ترى؟ الربط هادف ومقصود من أجل ادعاء حقٍ تاريخي لا صحة له.

وإذا سلمنا حتى بعرق سامي لنوافق زعمهم برغم أسطورية الأمر – فإننا نجد أن الغالبية الساحقة من يهود العالم اليوم ليسوا ممن عرفوا فلسطين، ولا ممن عرفها أجدادهم مهما علوا، بل الغالبية الساحقة من يهود هي أولاً وأخيراً من غير بلادنا، وما السامية إلا أكذوبة نسبوا أنفسهم لها ليتخذوا منها ستاراً يخفون وراءه أطماعهم.

تشير الدراسات التاريخية الى أن قلة من يهود هم من سكان الأرض العربية تاريخياً، وأما الأغلبية الباقية فهي إما أنها من يهود الخزر (بحر قزوين)، أو يهود أشكناز من الشتكيل الحضاري الجرماني، أو سفارد ينتمون الى التشكيل الحضاري اللاتيني.

إن تعبير "أشكناز" عُرف به يهود ألمانيا في القرون الوسطى خاصة في منطقةماينز وفورمز على ضفاف نهر الراين. وتعبير "سفارد" ويقابله أحياناً تعبير "يهود شرقيين" فيشمل يهود أسبانيا في القرون الوسطى مع بعض يهود حوض البحر المتوسط.

وقد حدّج د. أحمد سوسة هاتين الفئتين بشكل دقيق فقال عن الأشكناز: "تنتسب طائفة الأشكناز الى الـ"يهود" الألمان، أو الذين ينحدرون من أصل ألماني، عاشوا في القرون الوسطى في البلدان التي كانت تتكلم الألمانية ثم امتدوا الى الشرق والغرب، وقد حافظوا، الى عهد قريب، على لغتهم اليديش (VIADISH) وكانت في أساسها اللغة الألمانية المستعملة في القرون الوسطى" (1).

وقال عن السفارديين: "هم الـ"يهود" الذين انحدروا من أصل الـ"يهود" الذين هاجروا الى شبه الجزيرة الأيبرية، خصوصاً بعد فتح المسلمين لها سنة 711. وكان هؤلاء يتكلمون في أسبانية، في أول الأمر، باللغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ثم أخذوا يتكلمون باللغة الإسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، إذ كانوا في آخر عهدهم، قبل أن يطردوا عن أسبانية سنة 1492م. ثم سنة 1496م، مارانيين، أي يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعبادات والطقوس الدينية اليهودية سراً، ثم عادوا الى الـ"يهود" بعد خروجهم من اسبانية، وقد هاجر هؤلاء الى جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط، وذهب بعضهم الى لندن وأمستردام وهامبورغ. . .وتعرف لغة السفارديين، التي لا يزالون يتكلمونها، باللادينو الأسبانية (LADINO)" (2). "وكلا اليديش واللادينو بقيتا على الأصل منذ القرن الخامس عشر مع أن الألمانية والأسبانية تغيرتا وتطورتا منذ ذلك الحين" (3).

لكن ما يجب أن نعلمه هو أن يهود اليوم، بنسبة 92 بالمئة، هم من سلالة الخزر، هذه الحقيقة يترتب عليها سؤال هو: ما الرابط بين الخزر والحق المزعوم بالعودة الى فلسطين؟

يقول بنيامين فريدمان في هذا الأمر: "إن من يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر، يشكلون أكثر من 92 بالمائة من جميع من يسمون أنفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم. والخزر الآسيويون الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية، أصبحوا يسمون أنفسهم يهوداً بالتحول والاعتناق سنة 720م، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم. هذه حقيقة لا تقبل جدلاً" (1).

إن مملكة الخزر على بحر قزوين، التي تحاذي الأمبراطورية البيزنطية، كانت مملكة واسعة الأرجاء، وكانت تطمع، وفق موازين العصر يومها، بدور ما، وهذا الدور لا يمكنها إن هي اعتنقت المسيحية فستكون عندها ملحقة بالأمبراطورية البيزنطية، وإن اعتنقت الإسلام فستكون تحت حكم الخلافة الإسلامية – العربية، إذن لا بد من تمييز نفسها عقيدياً ليكون ذلك مقدمة للتمييز في الموقع السياسي القيادي العالمي، إنطلاقاً من هذا الموقع اعتنقت مملكة الخزر اليهودية.

ما موقع دولة الخزر الاستراتيجي بمقاييس عصرها؟ ترجح الكتابات التاريخية أنه "حوالي الوقت الذي توِّج فيه شارلمان أمبراطوراً للغرب، كانت تحكم تخوم أوروبا الشرقية، الممتدة بين القوقاز ونهر الفولجا، دولة يهودية عُرفت بأمبراطورية الخزر، وقد لعبت، وهي في أوج سلطانها من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادي، دوراً هاماً في تشكيل أقدار أوروبا في العصور الوسطى، وبالتالي في العصور الحديثة أيضاً.

. . . وقد شغلت بلاد الخزر – وهم شعب من اصل تركي – موقعاً استراتيجياً رئيسياً في المدخل الحيوي بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث وقفت القوات الشرقية العظمى، في ذلك العصر، وجهاً لوجه، وكانت بلاد الخزر بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة الأشدّاء، أهل السهوب الشمالية من بلغار ومجريين وبشنج.. . ثم الفايكنج والروس" (1).

إن العرب عرفوا هذه البلاد منذ تأسيسها، ويبدو أن الخلفاء العباسيين، في مراحل لاحقة، حاولوا استطلاع أحوالها وعقائد أهلها ربما من أجل الاستيلاء عليها فتحاً، أو التعاون معها.

ومحط الاهتمام ربما ينبع من أن تهور الخزر، كأكبر كتلة بشرية دخلت اليهودية في تاريخها كله وحتى يومنا هذا، هو عامل من عوامل هذا الاهتمام، عطفاً على أنها شكلت موقع جذب ليهود يومها كما يقول المسعودي: "فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه، وكان تهوّد

ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد، وقد انضاف اليه خلق من اليهود. وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم" (2).

لقد حملت موسوعة "معجم البلدان" لياقوت الحموي رسالة لرحالة اسمه ابن فضلان تدل على هذا الاهتمام كذلك رغم تأرجح المعلومات الواردة فيها حول عقيدة الخزر عامة، ونسبة يهود منهم.

ورد في معجم البلدان: "قال أحمد بن فضلان رسو لالمقتدر الى الصقالبة في رسالة فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال:

الخزر اسم إقليم من قصبة تسمى إتِل، وإتِل اسم لنهر يجري الى الخزر من الروس والبلغار، وإتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة، والإتل قطعتان: قطعة على غربي هذا النهر المسمى إتل وهي أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن الغربي منهما، ويسمى الملك بلسانهم يَلِك، ويسمى أيضاً باك . . . والخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان، وأقل الفرق هناك اليهود، على أن الملك منهم، وأكثرهم المسلمون والنصارى إلا أن الملك وخاصته يهود . . . ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية ولا يشاركه لسان فريق من الأمم. . .

والخزر وملكهم كلهم يهود، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبودية ويدينون له بالطاعة" (1).

يقول آرثر كيستلر "على الأرجح في سنة 740م اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية، وأصبحت اليهودية الدين الرسمي لدولة الخزر" (2).

تتفاوت المصادر في تحديد السنة التي تهوّد فيها بولان (BULAN) ملك الخزر، لكنها تلتقي على أن ذلك قد تم أبّان القرن الثامن الميلادي، ورغم أنه بقي في بلاد الخزر نصارى ومسلمون، لكن الحاكم ومن حوله باتوا يهوداً، وهذا حكماً شجع أعداداً كبيرة من الشعب على التهوّد، لذلك يكون الدخول في اليهودية، الذي حصل في بلاد الخزر، أكبر حالة تهوُّد في تاريخ اليهودية، وكانت هذه الكتلة البشرية الضخمة أهم مصدر للمنتمين الى اليهودية في العالم.

لقد "كانت أكبر الكتل المتهوّدة قبائل الخزر، وهم من الأتراك المغول وطنهم في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفولغا في بحر الخزر (بحر قزوين)، فقد اعتنق أكثر أهلها الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم اليهودية، وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى آواخر القرن العاشر الميلادي" (1).

هـذه الكتـل البـشرية المتهـودة تـشكل – كمـا ذكرنـا سـابقاً – حـوالي 92 بالمائة من مجموع يهود العـالم، وهـؤلاء لا سـاميين، وفـق أسـطورتهم، ولا هم من أصحاب الحق التاريخي المزعوم. إن معظم يهود اليوم فـي الولايـات المتحدة الأمريكية وفي عموم أوروبا الشرقية هم من أصل خزري.

بعد سقوط مملكة الخزر، مع إطلالـة القـرن الحـادي عـشر المـيلادي، تـوزع يهودها في دول أوروبا الشرقية، ومن هناك كانت هجرات يهـود الـى أمريكـا بعد اكتشافها في العصور الوسطى.

يقول بنيامين فريدمان عن هذا الموضوع: "إن مـن يزعمـون أنفـسهم يهـوداً من ذوي الأرومة الأوروبية الشرقية في كل مكان من عالم اليوم هم تاريخياً يتحدرون، على نحو لا يرقى اليه الشك ولا نزاع فيه، من سـلالة الخـزر . . . ذلـك العـشب الـوثني القـديم – التركـي – الفنلنـدي المغـولاني (شـبيه بالمغول)، الغامض الأصول بالنسبة لوجوده التاريخي في قلب آسـيا، الـذي شقّ طريق كفاحه بحروب دموية في حوالي القـرن الأول قبـل المـيلاد نحـو أوروبـا الـشرقية، حيـث أقـام مملكـة الخـزر . . . فـي حـوالي سـنة 720م، أصبحت مملكة الخزر الوثنية تشكل شعب من يزعمون أنفسهم يهوداً، كمـا أضحى الملك بـولان (BULAN) أول ملـك للخـزر، فـي الـسنة ذاتهـا، يـدعي يهودياً بالتحول والاعتناق. وكُرِّس ديـن الملـك بـولان الجديـد بعـد ذلـك دينـاً رسمياً لمملكة الخزر" (1).

لكن هذه المملكة التـي تهـودت لـم تعمّـر طـويلاً، واقتحمتهـا جارتهـا إمـارة روسيا فقضت عليها وشرّدت أهلها في البلدان المجاورة. فبعد قيام مملكـة يهودية خزرية في القرن الثامن الميلادي "لم تمض ثلاثة قرون حتـى قـضت إمارة روس على مملكـة الخـزر، مـستولية علـى جميـع أراضيها؛ أي علـى 800 ألف ميل مربع، وبهذا زالت مملكة الخزر كدولة حرة مستقلة، وكجسم سياسـي ذي سيادة، في أوروبا .. . وقد تلاشـى آخر أثر فـي مملكـة الخـزر عن خارطة أوروبا في القرن الثالث عشر للميلاد" (2).

إن الاختلاف بين المؤرخين حـول التحديـد الـدقيق للـسنة التـي تهـوّد فيهـا بولان، ملك الخزر مع مملكته، يقابله اختلاف آخـر أيـضاً حـول المـصير الـذي لقيه الخزر المتهودون بعد سقوط مملكتهم.

القرن الثالث عشر للميلاد هو قرن تـشتت شـعب الخـزر المتهـود فـي دول أوروبا الشرقية، وإن كانت المملكة قد سقطت بيد الروس منذ أواخـر القـرن العاشر الميلادي.

يفيد هذا الأمر أن يهود أوروبـا الـشرقية لا علاقـة لهـم، مـن قريـب أو بعيـد، بـشيء مـن الأصـول الـسامية أو العبريـة. يقـول آرثـر كيـستلر: "والواقـع أن موضوع الجدل هو مصير الخزر الـ"يهود" بعد تدمير أمبراطـوريتهم فـي القـرن

الثالث عشر، والمصادر شحيحة عن هذه المسألة، وإن ورد ذكر بعض مستوطنات الخزر في القرم وأوكرانيا والمجر وبولندة وليتوانيا، وتكشف الصورة العامة التي تنبثق من هذه المعلومات المتناثرة عن هجرة قبائل وجماعات خزرية الى تلك الأقاليم الواقعة في شرق أوروبا، ولا سيما روسيا وبولندة، حيث وجدت في فجر العصر الحديث أكبر تجمعات من اليهود، الأمر الذي دفع كثيرين من المؤرخين الى الحدس بأن جزءاً هاماً أو قل الأغلبية من اليهود الشرقيين (أعني من شرق أوروبا) وبالتالي يهود العالم، ربما كانوا أصلاً من الخزر لا من أصل سامي" (1).

يهود العالم، في غالبهم، من أصل خزري وليسوا ساميين، أو من السكان السابقين لأية أرض عربية، لا فلسطين ولا سواها. أما عن سبب تشتت يهود الخزر في أكثر من بلد أوروبي شرقي، فربما كان مبرره أنه بعد سقوط مملكة الخزر قد "دخلت الأمبراطورية الروسية في حروب متكررة" مع الشعوب الناشئة الفعالة الشابة في أوروبا الشرقية. . . وقد انهزمت روسيا في بضعة من هذه الحروب، حتى أنها أكرهت على التنازل للمنتصرين عن مساحات شاسعة من المناطق التي كانت في السابق من جملة أراضي مملكة الخزر .. .نلاحظ بنتيجة هذه العملية التاريخية، أن ليتوانيا، غاليشيا، بولندا، هنغاريا، وغيرها من دول أوروبا الشرقية.. . قد اكتسبت مناطق من أراضي مملكة الخزر سابقاً، مع سكانها الكثر ممن يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر" (1).

نخلص من هذا المبحث بأنه ومع عدم إيماننا بنظرية الأعراق البشرية لعدم صدقها ودقتها، إلا أننا، ومن منطق المزاعم والأوهام اليهودية المختلفة، وبعد العرض السابق، نقول: إن يهود اليوم، في غالبيتهم المطلقة، هم من أصل خزري ومن أصل ألماني (أشكناز)، وحتى السفارديين فيهم من كانوا غير عرب ولا ساميين بحكم إقامتهم في أسبانيا، وبهذا يسقط الادعاء اليهودي بسامية لا سند لها.

---

(1) سفر التكوين، الإصحاح 9، الآيات 20 – 25.

(1) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 698.

(2) المرجع السابق، ص 699.

(3) نفس المرجع السابق.

(1) فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهوداً، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط 2، سنة 1403 هـ – 1983م، ص 44، 45.

(1) كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1991م، ص 21.

(2) المسعودي، مروج الذهب، م 1، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط 5، سنة 1393 هـ – 1973م، ص 178.

(1) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م 2، بيروت، دارس صادر ودار بيروت، سنة 1375 هـ، 1965م، ص 367، 368، 369.

(2) كيستلر، آرثر، م. س. ، ص 23.

(1) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 694.

(1) فريدمان، بنيامين، م. س.، ص 14، 15

(2) فريدمان، بنيامين، م. س.، ص 40

(1) كيستلر، آرثر، م. س.، ص 23

(2) فريدمان، بنيامين، م. س.، ص 43، 44

الفصل الثالث

العرب سكان القدس الأوائل

يطرح يهود من بين مزاعمهم الكثيرة لتبرير اغتصابهم لفلسطين بدعم استعماري، ان القدس (أورشليم) هي عاصمة دينية لهم كانت ويجب أن تعود، ويجب أن لا ينافسهم أحد في ذلك الحق المدّعى.

وإذا كانت حجة يهود بأنهم ساميون؛ أو من سكان فلسطين والأرض العربية، سابقاً، ساقطة، لما أوردناه عن أن يهود ليسوا أمة ولا كياناً سياسياً مستقلاً دونا لناس، فيهود ككل المنتمين الى عقيدة، أو مذهب، ينتمون اجتماعياً الى أمم وقوميّات متعددة، وفوق ذلك غالبيتهم من أصل خزري؛ لكن رغم ذلك تفيد حقائق التاريخ أن القدس، قبل أن يأتي اليها يهود ليقيموا هيكلهم على جزء منها، هي في الأصل مأهولة من قبل

الكنعانيين العرب أصلاً، ويوم دخل يهود القدس وجدوا فيها اليوسيين الكنعانيين.

وتفيد المصادر التاريخية، ودراسات الكتاب المقدس نفسه عطفاً على نصوص كثيرة منها ما ذكره الدكتور أحمد سوسة حين قال: "كان اليبوسيون الكنعانيون أول من سكن أورشليم، ويرجع الخبراء تاريخ وجودهم في المدينة الى ما قبل خمسة آلاف عام. حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب الى فلسطين، وكانوا يقطنون في المنطقة حوالي أورشليم، وكانت أورشليم مركزهم الرئيسي وعاصمة ملكهم" (1).

وفي تحليل اسم المدينة نفسه يظهر أن الاسم كنعاني في اشتقاقه اللغوي، ويأتي هذا الأمر ليؤكد ما ذُكر عن أن القدس مدينة كنعانية عربية أصلاً وتاريخياً ويهود وفدوا اليها.
المعلوم من المصادر التاريخية أن "اول اسم ثابت لمدينة القدس، هو أوروسالم، أو أوروشالم. .. وأحدث ما توصل اليه البحث التاريخي في أصل اسم أوروسالم، أو أوروشالم، هو أن الاسم مكون من مقطعين: سالم أو شالم وهو اسم إله، وأورو وهي كلمة تعني أسّس أو أنشأ فيكون معنى أوروسالم أسسها سالم. ويعتبر الاسم اسماً عمُّورياً. . . والعموريون، حسب الكتاب المقدس، هم سكان كنعان الأصليون. ولغة العموريين تدعى غالباً الكنعانية" (2).

إن نصوص الكتاب المقدس (العهد القديم) أتت لتؤكد كل هذه التحليلات والوقائع. ففي سفر نبوءة حزقيال ورد النص التالي عن أورشليم: "وكانت إلي كلمة الرب قائلاً. يا ابن البشر أخبر أورشليم بأرجاسها. وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم معدنك ومولدك من أرض الكنعانيين وأبوك أموري وأمك حثيّة" (3).

وتحمل مدينة القدس اسماً ثالثاً هو يبوس، نسبة الى اليبوسيين الكنعانيين الذين أقاموا فيها بعد العموريين الكنعانيين أيضاً، وقد برز في تاريخ القدس اسم شيخ اليبوسيين "سالم اليبوسي" مؤسس زعامة اليبوسيين.

ويقول د. كامل العسلي في هذا الباب: "ظهر اسم أوروسالم مرة ثانية فيما يعرف بألواح تل العمارنة، وهي ست رسائل بعث بها عبد – خيبا ، ملك أوروسالم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، الى فرعون مصر – أخناتون – يشكو فيها من الخطر الذي تتعرض له مدينة أوروسالم من جراء هجمات ما يعرف بالخابير أو العبيرو.

وفي هذه الفترة أخذ اسم يبوس واليبوسيين يظهر في الكتابات الهيروغليفية. ويبدو أن اليبوسيين تلوا العموريين في سكنى المدينة،

خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، فأطلق على أوروسالم اسم يبوس، وهو الاسم الثاني لمدينة القدس" (1).

ونصوص "العهد القديم" في الكتاب المقدس أوردت هذه التسمية، من النصوص التي جاء فيها هذا الاسم "يبوس": "وأما اليبوسيون سكان أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فأقام اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم الى هذا اليوم" (2). وفي نصر آخر: "فلم يرضَ الرجل أن يبيت بل قام وانصرف حتى انتهى الى مقابل يبوس التي هي أورشليم ومعه حماران موقران وسريّته. وفيما هو عند يبوس، وقد مال النهار جداً، قال الغلام لمولاه: مِلْ بنا الى مدينة اليبوسيين هذه فنبيت فيها" (3). وفي نص ثالث: "وسار داود وجميع إسرائيل الى أورشليم التي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان الأرض. فقال سكان يبوس لداود إنك لا تدخل الى ههنا. فأخذ داود حصن صهيون، وهو مدينة داود" (1).

إن هذه النصوص تؤكد، ومن خلال ما يؤمن به يهود أنفسهم، على أن القدس هي يبوس، واليبوسيون كنعانيون من جزيرة العرب، وأنهم مع داود حاولوا الدخول اليها لأول مرة، وقد احتل داود "صهيون"، وهو مرتفع بجانب القدس، وكلمة "صهيون" كلمة كنعانية تعني مرتفع، وهذا يعني أن داود نفسه لم يتمكن من القدس (يبوس) كلها في البداية.

تفيد نصوص الكتاب المقدس أن يهوذا هو الذي دخل أورشليم بالقوة، لكن دخوله اليها أدى الى تعايش بين بني إسرائيل وبين اليبوسيين، وبذلك يكون الدخول الإسرائيلي دخولاً على شكل احتلال قد يحصل لأية مدينة وبلد، لكن سيأتي وقت تعود فيه الحقوق لأصحابها.
لقد جاء في سفر القضاة عن هذا الموضوع ما يلي: "وحارب بنو يهوذا أورشليم، فأخذوها وضربوها بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار، ومن بعد ذلك نزل بنو يهوذا ليحاربوا الكنعانيين المقيمين بالجبل والجنوب والسهل . . . فأما اليبوسيون المقيمون بأورشليم فلم يطردهم بنو بنيامين، فأقام اليبوسيون مع بنو بنيامين بأورشليم الى هذا اليوم" (2).

بعد هذا الدخول الإسرائيلي لم تستقر لهم الحال فيها بل بقيت حال مدينة القدس غير مستقرة حيث دخلتها قوى عديدة، وبالتالي لم تكن القدس مرة مكان سكن يهودي خاص وإن سيطروا عليها لفترات قصيرة، وبذلك يسقط زعمهم بالحق فيها.

يسرد "قاموس الكتاب المقدس" واقع حال أورشليم (القدس) فيقول: "إن رجال يهوذا أخذوا أورشليم ولكن أخذها منهم اليبوسيون، ومنه أخذها داود. . . وجعلها عاصمة ملكه. ولقد نهب شيشق ملك مصر أورشليم. . . وكذلك نهبها يهوآمش ملك إسرائيل. . . وقد فشل سنحاريب، ملك آشور، في أخذ المدينة . . . وأما نبوخذنصر، ملك بابل، فقد أخذ المدينة مرتين. ..

وقد أذن الملك كورش الفارسي وشجع كثيرين من اليهود للرجوع الى أورشليم. . . وكذلك تمكن نحميا بمساعدة أحشويروش (ارتزركسيس) ملك فارس من العودة الى أورشليم، وإعادة بناء أسوار المدينة.

وقد ضم الإسكندر الأكبر أورشليم ضمن أمبراطوريته، وبعد موته صارت أولاً تحت حكم البطالسة في مصر ثم انتقلت الى حكم السلوقيين في سوريا.

وفي عام 165 قبل الميلاد ثار المكابيون اليهود وأقاموا في النهاية مملكة يهودية وكانت عاصمتها أورشليم. وبعد أن أخذ القائد الروماني بومباي أورشليم عام 63 ق.م. أصبحت المدينة تحت حكم الرومان، أما عن طريق غير مباشر، كما كانت الحال في حكم بنطيوس بيلاطس.

وبعدها ثار اليهود على روما أخذ القائد تيطس الروماني المدينة وأحرق الهيكل، وباع كثيرين من شعبها في السبي، وكان ذلك سنة 70 ميلادية" (1).

إن هذا العرض المكثف والواضح لتعاقب السلطات على مدينة القدس معطوفاً على ما ذكر سابقاً، يعطي فكرة واضحة عن تزوير الحقائق الذي تمارسه الحركة الصهيونية.

وإذا كانت القدس كنعانية منذ الألف الخامس قبل الميلاد، وإذا كان يهوذا وبعده داود، قد دخلوها مع اقتراب الألف الأخير قبل الميلاد، وأعقب ذلك تبدل في القوى المسيطرة على المدينة، أو في بعض المراحل كان يُنفى منها كل سكانها الى أن وصلنا الى النفي الذي لا عودة بعده في سنة 70 ميلادية، وإذا كانت إقامة بني إسرائيل الأولى في القدس مشتركة مع سكانها الأصليين من اليبوسيين، كيف يصح أن يطرح زعمهم بحق تاريخي في مدينة لم يقيموا فيها منفردة، أو لم تكن لهم السلطة عليها وحدهم قرناً من الزمن؟!، بينما هي لأهلها العرب منذ أسسها الكنعانيون وذلك مما يزيد عن ستة آلاف سنة.

إن الارتباط الروحي الذي يتذرع به يهود مع القدس، أو على الأصح مع جزء منها، أو ربوة بالقرب منها هي مرتفع صهيون يعودون به الى تلك الفكرة التي أطلقها داود، بعد دخول القدس، بأنه من الضروري بناء بيت للرب ثابت، وهذا المشروع – الفكرة أنجزه بعد ذلك سليمان حيث بنى هذا البيت الذي اشتهر باسم هيكل سليمان.

كان يهود منذ موسى عليه السلام، وبحكم ترحالهم، يقيمون حيث حلُّوا، خيمةً للعبادة وهي في مفهومهم خيمة إقامة الرب الذي يكون أمامهم في عمود غمام حين التنقل، وقد أراد داود أن يستبدل الخيمة ببيت ثابت وربما كان من أهدافه الكامنة وراء هذا المشروع أن يكون ليهود بيتُ عبادة ثابت

تعبيراً عن استقرارهم ووقف منهج حياتهم القائم على الترحال، وبذلك يكون هذا البيت مبرراً للتمسك بالأرض والدفاع عنها.

نصل الى القول بأن "داود هو صاحب فكرة بناء هيكل ثابت للرب بدل خيمة الشهادة المتنقلة، وهو الذي جمع الأموال وخزن المجوهرات وجهز الأدوات والمعدات .. . وفي الكتاب إحصاء دقيق للأموال التي أرصدها داود لهذا الأمر المقدس، إما من خزائنه أو من أعماله وحلفائه.

وقد وعد الرب داود بأن يكون البناء في مهد ابنه ووريثه سليمان . . . أما موضع الهيكل وهندسته فقد عينه داود قبل موته. ثم بدأ سليمان العمل في البناء في السنة الرابعة من حكمه، واستغرق العمل سبع سنوات وستة أشهر. . . واعتمد سليمان على مصادر أخرى غير عبرية.

. . . ارتفع بناء الهيكل فوق جبل مورية في القدس، عند بيدر أرونة اليبوسي حيث بنى داود مذبحاً للرب. . . وكان الهيكل، بشكل عام، على شكل خيمة الشهادة.

وكان الهيكل يتجه الى جهة الشرق. . . أما المذبح فكان صندوقاً من الخشب الثمين، مربع الحجم، مغطى بالنحاس. وكانت النار تُشعل على رأسه، والى جانبها وضعت أوعية الغسل، من النحاس، ليتطهر بها الكهنة والذبائح.

. . .وتحت رواقه وضع عمودان مزخرفان هما: باكين وبوعز" (1). وغير معروف مبرر تسمية العمودين وقد يكون السبب أنهما اسمان لشخصين قدما العموجين أو عملاهما، وقد تكون الكلمتان مشتقتين من معانٍ رمزية.

يدخل ثمة ارتباط ديني – روحي في زعم يهود بالحق في موقع الهيكل، لأن ذلك وفق ما جاءهم، وعد من الرب له صفة الديمومة ولذلك تسمعهم اليوم يقولون: القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل. جاء عندهم في خطاب لداود من الرب: "فيكون إذا تمت أيامك لتنصرف الى آبائك وأقمت من يليك من نسلك الذي يكون من بنيك وأقررت ملكه. أنه هو يبني لي بيتاً وأنا أقر عرشه الى الأبد" (2).

بعد أن أتمّ سليمان المهمة ببناء الهيكل باتت أورشليم تحتل مكانة مميزة عند يهود. إن نظرتهم لها اليوم هي أنها "ترمز واقعياً، كعاصمة سياسية، الى وحدة شعب الله، وهي تعدّ، كعاصمة دينية، مركزاً روحياً لإسرائيل لأن الله (3) يسكن فيها على جبل صهيون، وقد اختاره مسكناً له" (4).

حاول يهود، تبريراً لمزاعمهم، أن يصنعوا شكلاً من أشكال الربط التاريخي المفجع مع أورشليم بحيث تدور حولها أحداثهم التاريخية من نفي وسبي

وتشريد، وعملوا على التغرير بيهود العالم ليصدقوا أكذوبتهم بأن القدس حقٌ لهم.

ومن الأقوال المنسوبة لزعماء صهاينة نقرأ قول هرتزل في مؤتمر بال (1897م): "إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي شيء فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها وسوف أدمر الآثار التي مرت عليها القرون".

وفي قول ينسب الى بن غوريون: "لا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل" (1).

عمل يهود، بعد آخر سبي لهم على يد الرومان في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وبعد خراب هيكلهم، على أن يقفوا نائحين متفجّعين عند مكان زعموا أنه حائط المبكى، وأنه من بقايا الهيكل، وأنهم سيجدون بناءه يوماً ما.

ما هو واقع الأمر بالنسبة لجدار المبكى الذي يسميه المسلمون حائط البراق؟ وهو يرتبط عند المسلمين بمعجزة الإسراء والمعراج التي كانت للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، "يسمي المسلمون الحائط الغربي للحرم الشريف حائط البراق، وتوجد في داخله غرفة صغيرة (تجويف) يعتقد المسلمون بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ربط فيه البراق ليلة الإسراء والمعراج. ويبلغ طول حائط البراق 48 متراً وارتفاعه 17 متراً ويشكل جزءاً من أساسات المسجد الأقصى. وأقيم عنده مسجد صغير لصلاة النافلة. ويقوم في منطقة الحرم الشريف مسجدان هما: المسجد الأقصى المبارك، ويلاصق الحاط الخارجي الجنوبي للحرم الشريف ويمتد لغاية حائط البراق. ومسجد قبلة الصخرة ويقع في وسط ساحة الحرم الشريف.

أما اليهود فيدّعون أن حائط البراق جزء من جدران الهيكل الثالث الذي بناه هيرودوس الكبير عام 18 ق.م.، ودمّره القائد الروماني تيطس عام 70م. ولا يوجد أي دليل مادي على صحة هذا الادعاء، على الرغم من الحفريات الأثرية التي قام اليهود بها حيث تضاربت الآراء في تحديد موقع الهيكل، ولكنهم حاولوا ربط رغبتهم بالصلاة أمامه بادِّعاء الملكية عليه" (1).

إن هذا العرض لواقع تاريخ مدينة القدس ولموضوع الهيكل يظهر عدم صدق المقولات اليهودية، ولكن يهوداً، كعادتهم، يعملون على خلط الأمور وتوليد حالة من اللبس والغموض ليسوغوا فعلهم العدواني.

تبيّن الوقائع التاريخية مع نصوص العهد القديم "أن مدينة القدس كانت، منذ خمسة آلاف عام، مدينة عربية كنعانية، وقد بقيت بيد سكانها اليبوسيين أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى، بقيت بيد أهلها ثلاثمائة عام بوجود

اليبوسيين في فلسطين، ثم بعد دخول اليهود اليها في عهد داود، وبقي سكانها على أراضيهم وفي بيوتهم، وعاش اليهود في فترة وجودهم أقلية بينهم حتى تم سبيهم الى بابل في عهد الكلدانيين، فعاد سكان أورشليم واستقلوا بمدينتهم استقلالاً تاماً" (2).

وإذا ما أكملنا المسيرة التاريخية للقدس نجد أنها كانت عاصمة لإحدى أهم الكنائس المسيحية، وفيها عقد التلامذة أول مجمع مسيحي، إنها كنيسة أورشليم وبعد أن نفاهم تيطس، القائد الروماني، لم يعودوا اليها واستمر الأمر. والقدس عربية بعد الفتح في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهكذا عاشت القدس مدينة عربية واستمرت، ولم يقم فيها ثمة نفوذ لكيان سياسي يهودي.

تأسيساً على ما تقدم نستنتج أن القدس مدينة عربية، وأن الفترات التي كان فيها النفوذ ليهود أو لبني إسرائيل كانت قصيرة، ناهيك عن أن تلك الفترات لم يكن فيها سكان القدس يهوداً فقط.

وإذا كان يهود لم يستقلوا بالقدس، ولا صدق لأقوالهم بحق تاريخي فيها بمفردها، فكيف يدّعون حقاً غير موجود بفلسطين كلها؟!!

إن لليهودية أتباعاً من أمم وقوميات متعددة، وليس هؤلاء القوم أمة دون الناس ولم يكونوا، ولا أقاموا كياناً سياسياً خاصاً بهم لا في القدس ولا في فلسطين ولا في غيرها، لذلك تصبح مسألة حق العودة الى فلسطين مسألة مختلفة، والأصح أن تُسمى حق الاغتصاب والاحتلال.

لن أطيل في هذا الموضوع حتى لا يخرج البحث عن منهجه، وقد يحتاج الأمر لبحث تاريخي مستقل عن الموضوع لكن ما نقوله هو: "إن الزعم بأن ليهود العالم حقاً تاريخياً في فلسطين غير صحيح، فيهود العالم لا يشكلون أمة منفردة، وإنما هم أفراد في الأمم التي يعيشون فيها ويتكلمون لغاتها. كما أن التاريخ وعلم الأجناس والقانون لا يقر هذا الادعاء في تبرير العودة الى فلسطين" (1). وبما أن تبرير حق العودة الى فلسطين غير ممكن، وهو زعم باطل، فمن المسلم به أن ينطبق ذلك على القدس، وهي جزء من فلسطين. فالقدس عربية وفلسطين عربية والادعاء والتزوير لا يغيران من الحقيقة شيئاً، وبناء على دراسة التاريخ يمكن القول بأن إقامة كيان سياسي تحت اسم "دولة إسرائيل". في أرض فلسطين، والادعاء أن القدس هي عاصمة أبدية لها، كل هذا ليس سوى موجة استعمارية ككل الموجات التي عرفها التاريخ، ولكل موجة نهاية.

---

(1) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 790.

(2) العسلي، د. كامل، مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ. في: الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، القسم الثاني، م 6، بيروت، ط 1، سنة 1990م، ص 797.

(3) سفر نبوءة حزقيال، الإصحاح 16، الآيات 1، 2، 3.

(1) العسلي، د. كامل، م. س.، ص 797.

(2) سفر يشوع، الإصحاح 15، الآية 63.

(3) سفر القضاة، الإصحاح 19، الآية 10، 11.

(1) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 11، الآية 4، 5.

(2) سفر القضاة، الإصحاح الأول، الآيات 8، 9، 21.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 135.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 1012، 1013.

(2) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 17، الآية 11، 12.

(3) استخدم مترجمو "معجم اللاهوت الكتابي" كلمة "الله" اسم الجلالة مع أن ما يقول به يهود هو: رب أو إله ولذلك الأصح استخدام تعبيرهم.

(4) معجم اللاهوت الكتابي، م.س.، ص 125.

(1) وردت عند: عوض، د. عبدالعزيز محمد، الأطماع الصهيونية في القدس، في: الموسوعة الفلسطينية – الدراسات الخاصة، م. س.، ص 839.

(1) عوض، د. عبدالعزيز محمد، م. س.، ص 860.

(2) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 792.

(1) عوض، د. عبدالعزيز محمد، م. س.، ص 862.

الفصل الرابع
المصادر العقيدية والفكرية لليهودية

يعتمد يهود في عقيدتهم وشريعتهم وأفكارهم، حتى في قراءة تاريخ اليهودية، مصدرين دينيين أساسيين هما:

1- العهد القديم أو العهد العتيق.
2- التلمود.

1) العهد القديم:

إن ما يعرف اليوم باسم الكتاب المقدس ينقسم الى قسمين أساسيين هما: العهد القديم وهو الكتاب المقدس ليهود، والعهد الجديد ويتضمن الأناجيل وأعمال الرسل وهو خاص بالنصارى، لكن المسيحيين يأخذون بالقسمين معاً، انطلاقاً من قاعدة أن المسيح عليه السلام لم يأتِ لينقض ناموس موسى عليه السلام بل ليكمله.

يتكون "العهد القديم" من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

أ) التوراة:

وأصل الكلمة عبري ومعناها الهداية والإرشاد، والتوارة تسمى عندهم أيضاً الناموس، وهم يمفهومهم منزّلة على موسى عليه السلام من ربه.

وتتكون التوراة من خمسة أسفار هي: سفر التكوين، وهو في خمسين إصحاحاً، سفر الخروج وهو في أربعين إصحاحاً. سفر اللاويين ويقال له كذلك سفر الأحبار، وهو في سبع وعشرين إصحاحاً. سفر العدد، وهو في ست وثلاثين إصحاحاً. سفر التثنية أو سفر تثنية الاشتراع، وهو في أربع وثلاثين إصحاحاً.

ب) الأنبياء:

وهي أسفار منسوبة لأنبياء بني إسرائيل جاءت في مراحل زمنية مختلفة وترتيبها في الكتاب المقدس لم يكن على أساس التسلسل التاريخي وهي:

1- أسفار الأنبياء الأولين: سفر يشوع، سفر القضاة، سفر صموئيل الأول، سفر صموئيل الثاني، سفر الملوك الأول، سفر الملوك الثاني.

2- أسـفار الأنبيـاء الكبـار المتـأخرين: سـفر إشـعيا، سـفر أرميـا، سـفر حزقيال.

3- أسفار الأنبياء الصغار من المتأخرين: سفر هوشع، سفر يوئيل، سفر عاموس، سفر عوبديا، سفر يونان، سـفر ميخـا، سـفر نـاحوم، سـفر حبقوق، سفر صفنيا، سفر حجّاي، سفر زكريا، سفر ملاخي.

4- الكتابات: وتتضمن، سفر المزامير، سفر الأمثال، سفر الجامعة، سفر نشيد الإنشاد، سـفر المراثـي أو مراثـي أرميـا، سـفر أسـتير، سـفر دانيال، سفر نحميا، سفر عزرا، سفر أخبـار الأيـام الأول، سـفر أخبـار الأيام الثاني.

إن العهد القديم بأقسامه الثلاثة: التـوارة وأسـفار الأنبيـاء والكتابـات يمثِّـل النص الشرعي الذي قبلته كل فرق يهود وعلمائهم ولم يختلفوا حوله، وقـد جعلوا منه جملة كتابهم المقدس.
نصوص العهد القديم "تـسمى عنـدهم بأسـماء أهمهـا وأشـهرها (التنـاخ)، ويكتبونها بالعبرية (ت، ن، ك) وهي حروف اختصار من الألفاظ: توراة، نبيئـيم (الأنبياء)، كتوربيم (الكتب)، وهي، كما عرفنا، الأجـزاء الثلاثـة الكبيـرة التـي يتألف منها العهد القديم. ومـن الأسـماء المـستعملة عنـدهم لتحديـد هـذا الكتاب (المِقْر)، أي الـنص المقـروء، لأنهـم مطـالبون بقراءتـه فـي عبـاداتهم وللرجوع الى الأحكام الشرعية التي تنظم حياتهم.

وهنـاك اسـم ثالـث، لـه عنـدهم صـفة علميـة خاصـة، هـو "المِـسُورَة) أو (المسورت) ويعنون بذلك النص المقدس المروي عن الأسلاف رواية متواترة ارتضتها أجيال العلماء ورفضت ما عداها" (1).

إن العودة الى نصوص العهد القديم، بأقـسامه الثلاثـة، تبـيِّن أنـه لـيس مـن صياغة مؤلف واحد. فالأسلوب فيه متفاوت، كما أن لهجـة الخطـاب مختلفـة من سفر الى آخر، لذلك نرى بأن الإضـافة الـى الكتـاب المقـدس اسـتمرت حتـى زمـن عـزرا، فـي حـوالي القـرن الخـامس قبـل المـيلاد؛ أي أن العهـد القديم مع الشريعة الموسوية يؤرخ لأنبيـاء اليهوديـة علـى مـدى مـا يقـارب عشرة قرون.

هذا الأمر دفع بعض الدارسين، ومنهم موريس بوكاي الى القول: "إن العهـد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول، ومختلفة النـوع، كتبـت خـلال أكثر من تسعة قرون في لغات عدة أخذاً بالسماع. وكثير من هذه المؤلفات صححت ثم أكملـت تبعـاً للأحـداث أو للـضرورات الخاصـة علـى مـدى أجيـال متباعدة أحياناً بعضها عن بعض.

ومن المعقول أن يكون ازدهار هذا الأدب الثري، قد تمّ في مطلع عهد الملكية الإسرائيلية (1) في القرن الحادي عشر قبل المسيح .. . وترجع الى هذا العصر بدايات الكتابات الأولى . . . وفي وقت متأخر قليلاً (2)، ولعله في مجرى القرن العاشر قبل الميلاد، كان قد وضع النص اليهودي للأسفار الخمسة التي شكلت، فيما بعد، هيكل الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى.

وظهر العهد القديم كصرح لأدب الشعب اليهودي من أصوله حتى العصر المسيحي، وقد حُرِّرت الأجزاء التي يتألف منها، وتمت وروجعت، فيما بين القرنين العاشر والأول قبل المسيح" (3).

ما ذهب اليه موريس بوكاي يؤكده "قاموس الكتاب المقدس" الذي جاء فيه كلام شامل عن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فيقول: "ويبلغ عدد الكتاب الملهمين (4) الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب والنبي والسياسي والملك" (1).

لقد أدى تنوع المستوى الثقافي، مع تنوع المواقع الاجتماعية لمن ساهموا في صياغة نصوص الكتاب المقدس الى تباين نصوصه شكلاً ومضموناً. وقد أورد المساهمون في وضع الموسوعة الفلسطينية، عن هذا الأمر، كلاماً مقبولاً، ومن المفيد أن نذكره لتأييد ما ذهبنا اليه من ضعف وتناقض نصوص العهد القديم. جاء في هذه الموسوعة تحت مادة "التوارة":

"وتشير الأسفار الأخيرة الى أمرين:
أولهما: أنه لكل ملك من ملوك يهوذا وإسرائيل سفر خاص به.
وثانيهما: أن الأسفار كانت تكتب في فترة قريبة من الحدث الذي تتناوله مع صياغتها بالقالب الذي أراده لها كاتبها. ولما كان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة، فإن معظم المؤرخين يرجحون تعرضها، خلال جيل أو أكثر، لما تتعرض له عادة الأقوال المنقولة كلها مشافهة. ومن هنا نشأ كثير من التناقض غير المسوّغ في بعض الأحيان. . . ولهذا يعتقد كثير من المؤرخين أن التوارة المعاصرة ليست التوارة الأصلية، أو أنها، على أفضل تقدير، التوارة مع كثير أو قليل من الإضافات.

تذكر المصادر أن موسى عليه السلام كتب هذه الأوامر وسلّمها الى اللاويين لحفظها في تابوت العهد (2) في شيلون وأمرهم بقراءتها أمام كل بني إسرائيل بعد سبع سنوات. . . وقام خليفته يشوع بتنفيذ ذلك الأمر، ومن ثم حفظ نسخة التوراة الوحيدة. وأثناء الحرب مع الفلسطينيين اصطحب اليهود توراتهم المحفوظة في تابوت العهد . . . وبنتيجة الحرب استولى عليها الفلسطينيون واحتفظوا بها سبعة أشهر ضاع فيها أي ذكر للتوراة.

ثم وردت أخبار عن استعادة اليهود التابوت الذي فقد مرة أخرى أثناء مصادرة القائد البابلي نبوخذنصر بيت المقدس (588 ق.م. – 586 ق.م.)، وبعد خراب بيت المقدس .. . خرج المدعو عزرا يزعم عثوره على الأسفار التي تمسك بها اليهود" (1).

عزرا اسم عبري معناه "عون" وهذا اختصار لاسم عزريا. وعزرا الكاتب، كما يسمونه، عاصر نحميا وكان لهما دور بارز في العودة الى القدس بعد السبي وذلك بعد مجيء الحكم الفارسي.

جاء في "قاموس الكتاب المقدس" بأن عزرا الكاتب "كان موظفاً في بلاط امبراطور الفرس أرتحشستا ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية، التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي. وقد تمكن عزرا، ليقة الإمبراطور به وتلبية لطلباته، من أن ينال عفو الأمبراطور عن اليهود وسماحه لهم بالعودة الى القدس. . . ولما كان عزرا قد عاصر نحميا في القدس نستطيع أن نؤرخ عودته الى القدس حوالي سنة 458 قبل الميلاد أو 457 قبل الميلاد؛ أي في حكم أرتحشستا الأول، أو سنة 398 ق.م.؛ أي في حكم أرتحشستا الثاني.

. . . وقد قام عزرا، بمجرد عودته الى القدس، بقراءة ناموس موسى أمام اليهود، وتفسيره لهم بمعونة اللاويين، مستعيناً أيضاً بالترجمة الآرامية للأصل العبراني.

. . . وهذا ما جعل اليهود المتأخرين عنه عدة أعصر يعتبرونه زعيماً لهم، بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ويعتبرونه أيضاً مؤسس نظم اليهودية المتأخرة (أي التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد)، ولقبوه بالكاهن وبالكاتب، لأنه كان دارساً مجتهداً، ومفسراً عميقاً لوصايا اللّه وعهده لبني إسرائيل . . . وكان عزرا أول كاتب بهذا المعنى. وقد تعاقب بعده الكتّاب . . . وقد أوصى عزرا بتنقية الدم اليهودي وفصل الزيجات المختلطة وإبعاد الزوجات الأجنبيات مع أبنائهن" (1).

يوجد في أسفار العهد القديم سفر باسم "سفر عزرا" يؤرخ للوقائع التي كانت في عصره، ويبين كيف نجح عزرا بانتزاع قرار من أرتحشستا للعودة بيهود بعد سبيهم الى القدس أورشليم.

إن عزرا هذا هو ابن سرايا بن عزريا بن صلقيا وهو من سلالة هارون، أما قصته مع ملك الفرس فقد صورها العهد القديم على الشكل التالي: "صعد عزرا هذا من بابل، وهو كاتب ماهر في توراة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل، فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلهه عليه. وصعد معه قوم من بني إسرائيل ومن الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين

والنيتينيين الى أورشليم في السنة السابعة لأرتحششتا الملك . . . لأن عزرا وجّه قلبه لالتماس شريعة الرب وليعمل ويعلّم في إسرائيل بالرسوم والأحكام" (2).

ويبدو أن عزرا، وفق ما جاء في السفر الذي يحمل اسمه، أراد ممارسة فكرة الاستعلاء اليهودية بأعلى معانيها، كما يبدو أنه كان مشبعاً بالعنصرية التي تقوم على فكرة الشعب المختار؛ من هذا المنطلق أراد تنقية جنس بني إسرائيل، كما زعم، وعدّ إثماً زواج اليهودي من الشعوب من غير بني إسرائيل، وقد جاء على لسانه:

"فقام عزرا الكاهن وقال لهم إنكم قد تعديتم واتخذتم نساءً غريبات لتزيدوا في إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته واعتزلوا أمم الأرض والنساء الغريبات" (1).

وإذا كان عزرا الكاتب قد قام بجمع العهد القديم وتحريره، ولذلك سُمِّي بالكاتب كما قلنا، لكن عزرا الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد لم تصل مخطوطات للعهد القديم ترجع الى عصره.

إن أقدم مخطوطات العهد القديم، وغالبها بالعبرية، هي تلك التي اكتشفت في أواسط القرن العشرين للميلاد في وادي قمران قرب البحر الميت، وبعض هذه المخطوطات يرجع تاريخها – كما أكد الخبراء – الى القرن الثالث قبل الميلاد.

- ما هي مكتشفات وادي قمران؟ وما قصتها؟

"خلاصة قصة لفائف البحر الميت هي أن أحد الرعاة الرُّحَل، واسمه محمد الديب، فقد أحد خرافه فأخذ يبحث عنه في الشقوق والمغاور، وكان ذلك في ربيع عام 1954، فوجد في إحداها، بدل خروفه، أحد أهم اكتشافات القرن العشرين، فقد اكتشف مجموعة كبيرة من الطوامير واللفائف العريقة في القدم، وقد عرفت فيما بعد باسم لفائف البحر الميت.

.. . وبعد ذلك ببضعة سنوات، عام 1952م، اكتشف أحد الرعاة مغارة أخرى على مسافة مئة متر من المغارة الأولى كانت هي الأخرى مليئة باللفائف .. . فأخضعت المنطقة كلها، على مساحة ثمانية كيلومترات، لعملية تمشيط وبحث دقيقتين، فاكتشف المنقِّبون، هذه المرة، مغارة ثالثة فيها لفائف نحاسية نقشت عليها نصوص بأحرف عربية مربعة، أي يعودعهدها الى عشرين قرناً مضت على الأقل، وكان ذلك في شهر آذار 1952م.

حصيلة المكتشفات كانت بضع عشرة لفافة شبه كاملة ومعها أجزاء من أكثر من ستمائة كتاب مختلف تشكل كل كتب العهد القديم، وبنسخ متعددة من كل منها، وكل أسفار التوراة باستثناء سفر أستير" (1).

إن لفائف البحر الميت، كما سلف القول، تعود الى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد لكن قبل اكتشاف وادي قمران، فالواقع هو أن أقدم مخطوطات العهد القديم في اللغة العبرية ترجع الى القرن العاشر الميلادي. ويقول "قاموس الكتاب المقدس" بأن هذه المخطوطة كانت موجودة في حلب لمدة طويلة، واليوم لا يعرف مكانها، ولكن المخطوطة الثانية – أيضاً حسب "قاموس الكتاب المقدس" – موجودة في لننجراد.

أما بالنسبة لطباعة العهد القديم فقد كانت بالعبرانية وذلك "سنة 1488م في سوتشيو في دوقية ميلانوا. ثم طبع ثانية عام 1494م في بريسشيا، وهذه هي النسخة التي استعملها لوثيروس للقيام بترجمته الألمانية المشهورة" (2).

وبالنسبة لنقل العهد القديم الى اللغة العربية، فإن ذلك لم يتم، وما حصل كان بعد انتشار الفتح الإسلامي – العربي. ويقول سهيل ديب: "أول ترجمة الى العربية جرت بعد انتشار الإسلام في العصر العباسي الأول . . . وقد قامت الحاجة الى هذه الترجمة العربية الى توسع الإسلام واللغة العربية حتى ضما الكثير من الشعوب التي تدين باليهودية والمسيحية؛ فقد قام عالم يهودي اسمه "سعدية بن يوسف" وقد عاش بين العامين (892 – 942) للميلاد بترجمة العهد القديم الى العربية ولكن بأحرف عبرية، ثم قام بعده عدد من أعيان يهود بإكمال مشروع النقل الى العربية" (1).

العهد القديم استقرت أحواله ما خلال الاختلافات بين الترجمات، وهو موجود الآن في لغات عديدة منها العربية، ويهود كلهم، بجميع فرقهم، يأخذون به ولا يوجد بينهم من يرفضه أو يطعن به.

2) التلمود:

كلمة عبرية معناها "التعليم"، ويقال له: التلموذ، مشتقة من التلمذة. وإذا كانت كتابة "العهد القديم" قد استغرقت عدة قرون، وكان قد ساهم في كتابته عدد كبير من يهود من مختلف فئات الشعب، والعهد القديم كانت له كتابة نهائية على يد عزرا، في القرن الخامس قبل الميلاد، مع الاعتقاد عندهم أن شطر العهد القديم المسمى بالتوراة، والمكون من أسفار خمسة، هو في وحي منزل على موسى عليه اللام وهو شريعة مكتوبة في الأصل.

لكن حكاية التلمود تختلف، فالتلمود تأخرت كتابته عن العهد القديم ما يزيد عن سبعة قرون، لأن كتابته كانت بين القرن الثاني والخامس بعد الميلاد.

ما هو التلمود عندهم؟ التلمود، عندهم – حسب زعمهم – شريعة شفوية أعطيت لموسى عليه السلام على طور سيناء "ثم تداولها هارون وأليعازر وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عن الأنبياء الى أعضاء المجمع العظيم (1) وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح" (2).

إن حاخامات يهود اختلقوا قوانين وتشريعات لأتباعهم سواء في مجامعهم، أو عبر مزاعم قال بها بعضهم، لكن لإعطائها القداسة نسبوها لموسى عليه السلام علماً أن الاطلاع عليها والتعرف على مضمون التلمود يدحضان هذا الزعم لأن في طياته حوادث ومواقف من أمور لم تكن زمن موسى عليه السلام، وأبرزها الموقف السلبي من السيد المسيح عليه السلام ومن الكنيسة بشكل عام.

لذلك نستطيع القول: إن التلمود "اختلقه الحاخامات بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة تماسكهم وتسلطهم على المجتمع. . . وقد ابتدع حكماء اليهود . . . قوانين أخرى مروية عن موسى، غير تلك المدونة في التوراة، وسموها بالقانون الشفهي . . . وكان الحاخامات يتناقلونها سراً من جيل الى جيل. وبعد التمرد اليهودي الفاشل على اليونانيين سنة 135م، بقيادة باركوخبا، بدأ اليهود يجمعون هذه القوانين السرية في كتاب التلمود خشية ضياعها.

وكان القانون المكتوب الموسوي والشفهي الحاخامي يعتبران مماثلين في الأحكام عند اليهود الذين لم يفرقوا بينهما" (1).

بعد تدمير بيت عبادة يهود عام 70م. على يد القائد الروماني "تيطس"، وفشل حركتهم في التمرد، بقيادة باركوخبا اليهودي، شعر يهود أن شوكتهم قد ضعفت، وكلامنا هنا كله عن يهود أورشليم حتى لا يظنن أحد أن يهوداً أمة دون الناس، وهذا أمر أوضحناه سابقاً، شعر يهود إذن بالضعف فكان أن بحثوا عما يشدهم الى بعضهم ولا يتم ذلك إلا بحالة من التعصب والاستعلاء على الآخرين، ومن العداء لكل من عداهم.

والتلمود، في هذا الباب، كان العماد الأساسي، فمن المعلوم أن التلمود قد ساهم "في إيجاد ظاهرة التعصب، وفي حين يحرّم إيذاء اليهودي يعتبر سرقة أموال غير اليهود واغتصاب أملاكهم وأعراضهم حقاً لليهودي وتقرباً من الله.

ويشمل التلمود القديم طعناً في المسيحية والمسيح عليه السلام. ومما يذكره عن المسيح أنه كان يهودياً مرتداً كافراً وتعاليمه كفر صريح، وأن أمه حملت به سفاحاً من جندي يدعى بندارا.

وقد تنبه أحبار اليهود، الذين اجتمعوا عام 1631م في بولونيا، لخطورة الموقف فقاموا بحذف الكلمات والعبارات التي تنال من السيد المسيح عليه السلام والمسيحية، وتركوا مكانها فراغاً، واتفقوا على تلقينها مشافهة لتلاميذ مدارسهم الدينية" (1).

وإذا كان يهود متفقين بكل فرقهم على تقديس أسفار التوراة الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، إلا أن بعضهم – خاصة فرقة الفريسيين الذين سيأتي الحديث عنهم لاحقاً إن شاء الله – وجد أن هناك ضرورة لتفاصيل وشروحات يحتاجونها في تنظيم حياتهم تكون أساساً لقانون المعاملات عندهم، لهذا كان التلمود وهو قسمان: "المشنا" و "الجمارا".

لقد "احتاجت محتويات التوراة الى تفسير يوضحها ويتمُّها، فكان تفسيرها هو المشناة (MISHNAHO)، ثم احتاجت المشناة أيضاً الى ما يفسرها فكان تفسيرها هو الجمارة (GEMARA) وقد تطلق كلمة التلمود، أو التلموذ، على الجمارة وحدها، أو على المشناة والجمارة معاً، فالتوراة إذن أساس المشناة، والمشناة أساس الجمارة" (2).

التلمود بقسميه يوازي بقداسته العهد القديم بما في ذلك أسفار التوراة الخمسة التي يقولون بأنها وحي أنزل على موسى مكتوباً. في بدء الأمر كان بين يهود من رفض التلمود ولم يقبل بغير العهد القديم، لكن، ومنذ زمن بعيد، تبدل الأمر وبات عندهم كتابان مقدسان هما: العهد القديم والتلمود.

إن "أول طائفة رفضت قبول التلمود وتعاليمه كوحي إلهي هي طائفة الصدوقيين (SADDUECES) – (سيأتي الحديث عنها إن شاء الله مع الفرق اليهودية) -. وقد ظهر هؤلاء في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان التنافس بينهم وبين طائفة الفريسيين (PHAREESIS) شديداً، وقد استمر ذلك التنافس حتى كانت الغلبة للفريسيين واندثر الصدوقيون بعد عام 70م" (1). هذا ما يحملنا على القول بأنه إن لم يكن كل يهود لكن الغالبية الساحقة منهم – كما ذكرنا سابقاً – تقدس العهد القديم والتلمود معاً.

التلمود عند يهود تلمودان:

1- التلمود المقدسي أو الأورشليمي، وقد كتبه حاخامو بيت المقدس، وتم ذلك بين القرن الثالث والخامس الميلادي.

2- التلمود البابلي الذي كتب في القرن الخامس الميلادي، وهذا التلمود وضعه حاخام من "سوره" قرب بغداد يدعو رب آشي، أو راشي.

التلمود قسمان – كما ذكرنا - : المشنا وترجح المراجع أنها كانت بالعبرية، والجمارا، التي هي تفسير لها، وكانت بالآرامية. لكن ما هي المشنا التي هي أساس الجمارا، وبالتالي هي القسم الأهم في التلمود؟

المِشنا أو المشْنة "هي مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة، والتي كان اليهود – وما يزالون – يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع يأتي في المقام الثاني بعد التوراة مباشرة، ويظنون أنها ترتفع هي أيضاً الى سيدنا موسى، . . . ولذلك يسمون المِشْنة، التوراة الشفوية.

ومن المؤكد أن المحاولات الأولى لرواية المشنة وتقييدها لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد بزمن طويل.

وقد ظلّت هذه الشرائع تروى بلا رقيب ولا حسيب، وتسودها الفوضى الكاملة الى القرن الأول قبل المسيح" (1).

"المشنا" هي المتن التلمودي الأساسي، وهي واحدة في التلمودين الأورشليمي والبابلي، والاختلاف بينهما يأتي من الشروحات المسماة جمارة – كما سنبيّن لاحقاً – لذلك من المفيد معرفة أقسام وموضوعات هذه المشنا التي صنفوها بمرتبة تشريعية لا تقل عن التوراة، والفارق الوحيد بزعمهم هو أن التوراة نزلت على موسى مكتوبة وأطلقت عليها تسمية "ناموس" وأودعت تابوت العهد، بينما "المشنا" شريعة منزلة لكن موسى عليه السلام حملها ونقلها شفوياً وبقيت كذلك يتناقلها الحاخامون الى حين تم تدوينها، فما هي موضوعات المشنة إذن؟ (2)

المِشْنة تنقسم الى ستة أقسام وتدعى هذه الأقسام سيداريم (SEDARIM)؛ أي أنظمة ورسائل، والأقسام الستة ينقسم كل منها الى أقسام فرعية وتدعى عندهم ماسيختوش (MASSECHTELEH) أي أنسجة أو أبواب، وأبواب المشنة 63 باباً، وكل باب من المشنة ينقسم الى فصول وأجزاء صغيرة تسمى بيراكيم (PERAKIM) وهذه الفصول مجموعها 525 فصلاً وكل فصل مقسم الى عدة فقرات.

إن ثمة اختلافاً يقوم في هذا التوزيع من جهة التوازن والضبط، فلا عدد الأبواب في كل رسالة متساوٍ ولا مجموع الفصول في كل باب متساوٍ مع الآخر. سنعرض أقسام المشنة الستة في لمحة موجزة عن كل قسم

ليكون بين يدي من يرغب في الاطلاع. على مضامين أقسام المشنة التي هي:

1- زراعيم (ZERAIM)؛ أي نظام الحبوب او البذور، أو الإنتاج الزراعي، وفي هذا القسم توجد كافة القوانين الدينية المتعلقة بالزراعة والأرض، وكيفية تنظيم هذا الأمر، وهذا القسم يتضمن كذلك تحديداً للصلوات المفروضة مع الأدعية والبركات.

2- مُوعِد(MOED) ؛ أو الأوقات، وهذا القسم يحتوي على الأمور الدينية المتعلقة بالأعياد والسبت وبالأعياد والأيام المقدسة. وفيه الاحتفالات والطقوسالتي يجب القيام بها في كل موسم.

3- ناشيم (NASHIM)؛ أي النساء، وهو يتضمن النظم الخاصة بالزواج والطلاق والخيانة الزوجية، وواجبات وحقوق كل من الرجل والمرأة، مضافاً الى ذلك موضوعات الإرث والوصية والنذور والإيمان.

4- نِـزيقين (NEZIKIN)؛ أي الأضرار، وهو قسم يتحدث عن قانون العقوبات، ويتحدث عن القوانين المدنية والجنائية، ويبيّن المحظورات، وفيه مسألة القصاص والعقوبات والتعويضات. وفي الباب الرابع من هذا القسم، الذي يحوي أحد عشر فصلاً، جاء الحديث عن مجمع السبعين اليهودي المسمى السنهدرين (SENHEDRIN) الذي يشكل، إضافة لصفته الدينية التشريعية، المحكمة العليا عند يهود، وقد حوى هذا الباب نظام هذه المحكمة وسلطاتها وكيفية ممارسة صلاحياتها.

5- قُدَاشيم (KODASHIM)؛ أي المقدسات، وهذا القسم يحوي كل التشريعات الخاصة بالقرابين، وما يقدم للهيكل من ذبائح أو ثمار أو عجائن، وأنواعها وشروطها ومراسم تقديمها، ومدى ارتباطها بعقيدتهم وشريعتهم.

6- طَهاروت (TAHAROTH)؛ الطهارات، وهذا القسم فيه أحكام الطهارة للأجسام والملابس والأوعية وأثاث المنازل، والتمييز بين ما هو طاهر وما هو نجس، عطفاً على ما هو حلال أو حرام من الأطعمة والمشروبات.

"الجمارة" وهي القسم الثاني من التلمود ليست واحدة كما هي الحال بالنسبة للمشنا ومرد ذلك الى أنه بعد التثبيت شبه النهائي لنص المشنا بدأ أحبار يهود بشرحها وتفصيلها، لكن بحكم الواقع السكاني لهم المتمثل في اختلاف السكن بين مجموعتين منهما، مجموعة تعيش في القدس "أورشليم"، وأخرى بعد السبي في أيام "نبوخذنصر" تعيش في العراق.

بسبب اختلاف البيئتين بات هناك نوعان من "الجمارا"؛ أو نوعان من شرح المنشا. والسؤال كيف حصل ذلك؟ المعلوم من تاريخهم أنه في كل من بلاد العراق، حيث بابل، وفي فلسطين بدأت "أحبار اليهود تشرح نص المشنا، شرحاً مستفيضاً، تودع في خلاله كل ما أرادت الاحتفاظ به وإشاعته بين اليهود من شرائع وفتاوى وحكايات وأساطير وخرافات وتفريعات واستطرادات في كل علم وفن دون تخطيط أو ترتيب.

وهذا الشرح للمشنة كان يتم بلهجة يهودية بعيدة عن اللغة العبرية القديمة التي كتب بها العهد القديم، وعن تلك اللغة العبرية الوسطى المتطرة التي كتبت بها المشنا. كان شرّاح المشنا، الذين هم أحبار التلمود، يشرحونها بلهجة آرامية يهودية قريبة من اللغة السريانية، وكان شرحهم يسمى: جمارا بمعنى التكملة، كما أنهم يسمون في تاريخ الفكر اليهودي باسم خاص بهم هو: أمورائيم، ومعناها في لغتهم المتكلمون، أي الذين انطلقت ألسنتهم في المدارس المختلفة. . . شارحين ومعلقين وباسطين، في ما يشبه المحاضرات الشفوية" (1).
لأن القضية شروحات وتعليقات كان لا بد من مراعاة كل بيئة. فبيئة الشراح في أورشليم، وهي عندهم مقدسة، غير الجو الذي يعيش فيه يهود بابل بعد سبيهم، مع الإشارة الى أن البابليين كانوا أكثر قدرة، فأحبارهم في الغالب كانوا مع السبي هذا الأمر –كما أشرنا سابقاً – جعل هناك شرحان مختلفان للمشنا، وهذا ما أدى الى ظهور تلمودين لا تلموداً واحداً.

لكن يبدو أن التلمود البابلي كان أعظم مكانة عندهم، لأن موضوعاته مكتملة، ويقول الدكتور حسن ظاظا عن هذا الموضوع في كتابه القيّم "الفكر الديني الإسرائيلي": "وإذا كان التلمود البابلي يغطي بشرحه كل نص المشنا، فإن التلمود الأورشليمي ظل ناقصاً لا يشرح إلا بعض المشنا فقط. ثم إن أحبار اليهود في بابل كانوا أيضاً يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شراح فلسطين، بحيث بقي التلمود البابلي بعد ذلك يتمتع بتقدير أعظم في أعين اليهود من التلمود الغربي الأورشليمي" (1).

التلمود بفعل الجمارا، التي مكنت اليهود من التمادي في بسط وشرح ما يريدون، حمل في طياته كل معاني الاستعلاء والعنصرية، والعداء بشكل خاص للمسيحية التي وجدوا فيها إلغاءً لهم، خاصة، إذا علمنا أن التلمود انتهت كتابته في القرن الخامس بعد الميلاد؛ أي بعد أن كان حكم الأمبراطورية البيزنطية قد اعتنقوا المسيحية، وبعد أن اتسع انتشارها بفعل ذلك.

لقد حمل التلمود إذن عداء للمسيحية، واتهامات وافتراءات على المسيح وأمه مريم عليهما السلام، وحمل كل معاني الرفض للمسيحية. إضافة

للعداء الذي حمله لكل الناس من غير يهود الذين يطلقون عليهم "الغوييم"، ويعدونهم أشبه بحيوانات على هيئة بشر أوجدهم الرب ليكونوا مسخرين لشعب الله المختار.

لهذا كله كان التلمود مصدر متاعب وإشكالات ليهود في أوروبا طوال القرون الوسطى رغم حذفهم بعض العبارات والنصوص.

والمعلوم أن التلمود هوجم بشدة "باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت الى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي، سراً وعلانية . . .، وحيث كان العهد القديم – المكتوب بالعبرية – مقدساً لدى المسيحيين أيضاً، فكل غضبهم كان موجهاً الى التلمود باعتباره مصدر الشر الكامن لليهود.

وقد حمل الملوك والباباوات حملات شديدة ضد التلمود منذ القرن الثالث عشر" (1).

إن التلمود بما حواه من مزاعم وافتراءات – خاصة ضد المسيحية – كان سبباً لمتاعب ليهودفي عموم أوروبا، فأوروبا ذات الأغلبية المسيحية لا يمكن أن تقبل بما ورد من تلفيقات يهودية في التلمود.

يذكر ظفر الإسلام خان في كتابه "التلمود تاريخه وتعاليمه" المعلومات التالية عن هذا الأمر؛ مفاد هذه المعلومات أن نسخ التلمود أحرقت لأول مرة في فرنسا سنة 1244م في باريس. وصدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود في فرنسا في عهد لويس في سنة 1266م حتى 1270م، كما حدث ذلك في إنكلترا أيضاً سنة 1290م حين أمر الملك بطرد يهود عن البلاد. .. وفي سنة 1565م أصدر البابا بيوس الرابع أمراً: أنه يجب حرمان التلمود حتى من اسمه.
وقد قام البابا جريجوري الثالث عشر (1575م – 1580م) بحملات جديدة ضد التلمود. وهاجم مجلس المدينة في بولندا عام 1840م التلمود بأنه مصدر احتقار اليهودية للدين المسيحي.

هذه المقاومة للتلمود من قبل الكنيسة في أوروبا حدّت من انتشاره، وحملت يهود على إخفائه و "بسبب القدر الذي كان ينتظر التلمود في كل مكان لم يبق منه إلا عدة مخطوطات قديمة، منها نسخة ميونيخ لتلمود بابل التي كتبت سنة 1369م، وتوجد نسخة أخرى في فلورنتين يرجع وقتها لسنة 1175م. أما تلمود أورشليم، فيوجد مخطوط قديم له في ليدن "هولندا"، وتوجد مخطوطات أخرى ناقصة في متاحف عديدة في مختلف البلدان" (1).

مهما يكن من أمر فإن التلمود اليوم يشكل عند يهود كتاباً مقدساً يحوي نظام معاملاتهم، ويعبر عن عنصريتهم، وعدائهم للمسيحية وللشعوب جميعاً، وبذلك يكون عندهم، في الحقيقة والواقع، كتابان مقدسان لا كتاب واحد إنهما: العهد القديم – والتلمود.

---

(1) ظاظا، د. حسن، الفكر الديني الإسرائيلي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، سنة 1971م، ص 73.

(1) إشارة الى مملكة داود في أورشليم بعد أن انتزعها من اليبوسيين.

(2) المقصود في وقت متأخر عن عهد موسى عليه السلام الذي عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

(3) بوكاي، د. موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم، ترجمة نخبة من الأساتذة، بيروت، دار الكندي، ط 1، سنة 1398 هـ 1978 م، ص 20، 21.

(4) إشارة الى تعليم الروح القدس لهم وفق المفهوم المسيحي.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 762.

(2) تابوت العهد: أو تابوت الشهادة هو، كما جاء في سفر الخروج، تابوت من خشب السنط صنعه موسى عليه السلام، وفي هذا التابوت وضعت الوصايا العشر مكتوبة على لوحين سميا لوحا العهد ومعها عصا هارون والوعاء الذي يحتوي على المن. أما عن وصف هذا التابوت فالكلام متروك لما جاء في سفر الخروج في الإصحاح الخامس والعشرين: "يعملون تابوتاً من خشب السنط يكون طوله ذراعين ونصفاً، وعرضه ذراعاً ونصفاً، وسمكه ذراعاً ونصفاً. وغشِّه بذهب خالص من ادخل ومن خارج تغشّيه واصنع عليه إكليلاً من ذهب محيطاً به. وصُغ له أربع حلقات من ذهب واجعلها على أربع قوائمه حلقتين من جانبه الواحد وحلقتين من جانبه الآخر. واصنع عتلتين من خشب السنط وغشّهما بذهب. وأدخل العتلتين في الحلق على جانبي التابوت ليحمل بهما. وتبقى العتلتان في الحلق لا تزولان منها. واجعل في التابوت الشهادة التي أعطيكها. واصنع غشاء من ذهب خالص يكون طوله ذراعين ونصفاً في عرض ذراع ونصف. واصنع كِرُوبَيْن من ذهب صنْعة طرْق تصنعهما على طرفي الغشاء. تصنع كَرُوباً على هذا الطرف وكروباً على ذاك الطرف من الغشاء تصنع الكروبين على طرفيه. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما الى فوق مظلّلين بأجنحتهما على الغشاء وواجههما

الواحد الى الآخر والى الغشاء تكون أوجههما. وتجعل الغشاء على التابوت من فوق، وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيكها. فأجتمع بك هناك وأخاطبك من فوق الغشاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بجميع ما أوصيك به الى بني إسرائيل".

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 1، م. س.، ص 589، 590.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 621.

(2) سفر عزرا، الإصحاح 7، الآيات 6، 7، 10.

(1) سفر عزرا، الإصحاح 10، آية 10، 11.

(1) ديب، سهيل، التوراة بين الوثنية والتوحيد، بيروت، دار النفائس، ط 1، سنة 1401 هـ – 1981م، ص 85، 86.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 763.

(1) ديب، سهيل، م. س.، ص 26.

(1) المجمع العظيم عند يهود هو "السنهدرين" وهو مجمع السبعين حبراً الذي كان يقود حياة يهود الدينية وغير الدينية.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 222.

(1) خان، ظفر الإسلام، التلمود تاريخه وتعاليمه، بيروت، دار النفائس، ط 4، سنة 1401 هـ – 1981م، ص 30.

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 1، م. س.، ص 572.

(2) التونسي، محمد خليفة، مقدمة الكتاب: كنوز التلمود، المحرر س. ليفي، القاهرة، دار التراث، ط 2، سنة 1411 هـ – 1991م، ص 11.

(1) البار، د. محمد علي، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، جدة، الدار السعودية للنشر، ط 1، سنة 1407هـ – 1987م، ص 50.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 78.

(2) يراجع: ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 80. والتونسي، محمد خليفة، م. س.، ص 20، 21.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 96.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، 97.

(1) خان، ظفر الإسلام، م. س.، ص 40.

(1) خان، ظفر الإسلام، م. س.، ص 48، 49.

بروتوكولات حكماء صهيون

ليس كتاب البروتوكولات مقدساً عند يهود، ولا هو في مكانة العهد القديم والتلمود، ولكن درج الباحثون والكتّاب على إدراجه بين الكتب التي يعتمدها يهود مصدراً لسلوكهم، ومستودعاً لمخططاتهم.

ظهر كتاب البروتوكولات في أوائل هذا القرن العشرين للميلاد، وقد يكون من صنع أواخر القرن التاسع عشر. ففي تلك الفترة بدأت تتبلور في أوروبا الفكرة الصهيونية.

إن بروتوكولات حكماء صهيون، وعددها أربع وعشرون، ليست على مستوى واحد من الصياغة وترابط الأفكار، ولكنها تتضمن نزعات عنصرية، ورؤوس موضوعات مخططات ومكائد تصب في مجرى الحركة الصهيونية، وفي ميدان خدمة توجهاتها.

وإذا كانت قراءة هذه البروتوكولات مفيدة ليتعرف القارئ على منهج التفكير العنصري والتخريبي عند يهود اليوم المنخرطين في حركة صهيونية لها مشروعها السياسي، لكن قراءتها لا يصح أن تحملنا على تصديق ما ورد فيها، أو التصرف وكأن هذه المكائد يمكنهم تنفيذها.

والمطلع على كتاب "الأمير" لمكيافيللي، وهو قمة في الانتهازية والاستغلال واتباع الأهواء، كما أنه في الكتب الأولى في توجيه السياسة الاستعمارية في أوروبا، يجد هذا المطلع أن كثيراً من أفكار البروتوكولات مقتبسة من مكيافيللي.

تحوم الشبهات حول مصداقية وصحة هذه البروتوكولات، ويدور سؤال: هل هي فعلاً من وضع حكماء صهيون؟!. .
من الشبهات التي طرحت حول عدم صحة نسبة البروتوكولات ليهود، ما جاء به مراسل جريدة "التايمس" اللندنية في إستانبول الذي "أعلن في

عام 1921م أن الوثيقة مزوّرة من أولها الى آخرها، فقد عثر على أصلها في كتاب فرنسي جاء به مهاجر روسي اشتراه من ضابط سابق في الأوخرانا (الشرطة السياسية القيصرية)، وكان الكتاب المذكور يحمل مكان النشر في جنيف وتاريخه 1864/10/15م، ونفذ من الأسواق. . . وتضمن هجوماً مستتراً على حكم نابليون الثالث بشكل 25 حواراً بين مونتسكيو وميكافيللي، وعنوان الكتاب: حوار في الجحيم بين مكيافيللي ومونتسكيو؛ أو سياسة مكيافيللي في القرن التاسع عشر، بقلم معاصر. وأدى نشر الكتاب الى سجن المؤلف المحامي موريس جولي، ووجدت نسخة منه في المتحف البريطاني، ولدى مقابلة الكتابين تبين أن بروتوكولات حكماء صهيون لم تتأثر فقط بالمطبوع الفرنسي، وإنما تضمنت اقتباسات منه بالنص تقريباً" (1).

وجدتُ من المفيد أن أذكر، في هذا السياق من الكتاب، بعض فقرات من البروتوكولات، وذلك ليتعرف القارئ على مستوى الحقد والتخريب عند يهود، هذا إذا صح أنه من صنعهم، وإذا كان تعبيراً عن واقع العنصرية الأوروبية في القرن التاسع، فالمنظمة الصهيونية ولدت في رحم هذا النمط من التفكير، وبهذه الطريقة تكون البروتوكولات على علاقة ما مع المشروع الصهيوني.

العمل السياسي لا رابط له مع خلق أو قاعدة أو ذمة، فكل شيء مباح من أجل الهدف. وهذا المذهب المكيافيلي جاء حوله في البروتوكول الأول ما يلي:

"لا علاقة للسياسة بالأخلاق قط، وإن الحكومة التي تسير بالأخلاق ليست حكومة رجال خبرة سياسية، وبالتالي فإنها ليست مكينة في مقاعدها. إن الذي يريد أن يحكم عليه أن يعتمد على الخداع والمكر، وإن الاستقامة والصراحة، اللتين هما فضيلتين شعبيتين، تصبحان نقيصتين في السياسة، لأنهما أشد فتكاً في الكيان الحكومي من أقوى الأعداء.. . إن حقنا يكمن في قوتنا. . . إن صاحب الحق هو الذي يملك القوة الكافية لتدمير كل المؤسسات، وكل نظام قائم" (2).

القوة فلسفة عند يهود، وكذلك سادت في أوروبا في القرن التاسع عشر خاصة في ألمانيا، فالقوة كانت، وما زالت، مطلبهم الدائم لكي يتحكموا بما يريدونه. ويضيفون الى فلسفتهم هذه استباحة كافة حرمات الكوييم؛ أي غير يهود بنظرهم، يقولون في البروتوكول الحادي عشر: "إن الكوييم أشبه بقطيع من الخراف ونحن الذئاب، ولا يخفى عليكم ما يحصل حينما تدخل الذئاب الحظائر" (1).

لا يكتفون بافتراس غير يهود إن تمكنوا، وإنما يعملون كذلك على نشر الفساد بين غير يهود وبذلك يتمكنون منهم. جاء في البروتوكول الأول: "إن

الكوييم مخبولون باستعمال الكحول، وشبانهم ينزلقون نحو البلادة الفكرية بسبب استغراقهم في الدراسات الكلاسيكية، وبسبب السيئات اليت اقتيدوا اليها على يد عملائنا من معلمات وخدم ومربيات في بيوت الأغنياء، وعلى أيدي الموظفين وغيرهم، وبالتالي على أيدي نسائنا في مجال لهو الكوييم" (2).

إن يهود يستغلون كافة الوسائل، ويستبيحون كل شيء من أجل تحقيق ما يريدون، وفي ذلك تأسيس أو وضع اليد على منظمات تخدم مصالحهم، من هذا القبيل جاء في البروتوكولات أن الماسونية من صنعهم أصلاً.

وفي البروتوكول الحادي عشر نقرأ التناقضات، ونتعرف على الأساليب التي يعتمدونها لنشر مفاهيمهم ونفوذهم، يقولون: "إننا فعلنا ذلك لكي نحصل، بطرق ملتوية، على ما لم يستطع شعبنا المشتت الحصول عليه بالطرق المستقيمة. ولهذا فإننا قد أوجدنا الماسونية السرية لهذه البهائم من الكوييم الذين لا يعرفون غاياتها ولا يشكون بها لقد جذبناهم الى منظماتنا العديدة الظاهرة، أي المحافل الماسونية لكي نصرف عنهم أبناء دينهم" (1).

ولا يخفي يهود – إن صحت نسبتها لهم – عداءهم للكنيسة بل يجهرون به، ويحددون هدفهم بالقضاء عليها ووراثتها، وقد جاء في البروتوكول السابع عشر: "سوف نحصر الإكليريكية والإكليريكيين في حدود ضيقة. بحيث يكون لنفوذهم نتائج خلاف ما هم عليه اليوم. وحينما يأتي الوقت للقضاء على الفاتيكان فسوف تنقضُّ الشعوب التي تقودها الأيدي غير المرئية، على هذا القصر، وحينذاك نتدخل نحن بحجة أننا نريد منع سفك دماء كثيرة، بينما تكون الحقيقة لكي ندخل الى قلب المكان الذي لن نتركه قبل أن نكون قد دمّرنا أخلاقياً هذه السلطة، وسوف يكون ملك إسرائيل رئيس الكنيسة العالمية" (2).

هذا قليل مما جاء في البروتوكولات مصوِّراً حقيقة النفس اليهودية التي لا تحمل غير الفساد، القارئ للبروتوكولات سيجد ما يصرحون به عن أنهم سيسعون لزرع الفتن والشقاق، وعن أنهم سيعملون على مسك الصحافة لأنها موقع تأثير أساسي على الرأي العام، ويقولون بأنهم سيفسدون المناهج التربوية للكوييم، كما يزعمون، الى آخر ما هنالك من أشكال العداء والعنصرية والمكر.

وسواء أكانت البروتوكولات من وضعهم أم لا، فهي بالنتيجة صورة للتفكير الذي نشأت في ظلاله المنظمة الصهيونية، لا بل المنظمات الصهيونية عامة. وإذا كان يهود لا يقدسون البروتوكولات، وهي ليست عندهم في مكانة تقرب ولو قليلاً، من العهد القديم أو من "التلمود"، لكنها ليست

عديمة القيمة عندهم، والمتتبع لأدبيات الصهيونية يرى بأن البروتوكولات حلقة في سياق هذه الأدبيات التي لا تفكر بغير ما حملته البروتوكولات.

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 1، م. س.، ص 382.

(2) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط 1، سنة 1408 هـ – 1988م، ص 34.

(1) بروتوكولات، م. س.، ص 75.

(2) بروتوكولات، م. س.، ص 36.

(1) بروتوكولات، م. س.، ص 76.

(2) بروتوكولات، م. س.، ص 102

الفصل الخامس

الفِرق اليهودية

يتوزع أتباع اليهودية، منذ زمن بعيد، في فِرق تختلف في نظرتها الى العهد القديم، ومنها ما تختلف حول قبول "الشريعة الشفوية" التي تمّ تدوينها في "التلمود" ومن موضوعات الخلاف عندهم كذلك موضوع القيامة، وموضوع اليوم الآخر.

وفرق يهود ليست على مستوى واحد من حيث الانتشار والأتباع، فمن هذه الفرق من بقي أتباعها بالمئات، ومنها من اتبعها الملايين، ومنها من انقرضت لأن أتباعها دخلوا في أتباع شريعة سماوية أخرى، ومنها من ذات أتباعها في فرق يهودية أخرى. والفرق اليهودية التي ظهرت على المسرح هي:

1- الربانيون أو الناموسيون.

2- القرّاؤون.

3- الإسينيُّون.

4- السامريون.

5- الصدوقيون.

6- الفريسيون.

7- من القبالة الى الدونمة.

8- السنهدريم.

الربانيون أو الناموسيون

ويقال لهم "ربائيم" . . . وهي كلمة عبرية معناها الحبر أو الإمام، وهؤلاء هم الفئة المتفقهة في الشريعة الموسوية، وهذه الفئة تتميّز بالتشدد، وبالتصرف باستعلاء على كل من سوى يهود؛ أي أن هذه الفرقة كانت أكثر فرق يهود عنصرية وتعصباً، لذلك كان يتبعها عدد غير قليل منهم عندما كانوا يمرون بظروف صعبة.

وهناك كاتب مغربي كان يهودياً باسم شموائيل بن يهوذا بن آبوان، وقد اهتدى الى السلام فأطلق على نفسه اسم السموأل بن يحيى المغربي يقول عن هذه الفرقة: "وهم أكثر عدداً، وهم شيعة الحخاميم الفقهاء، المفترين على الله عز وجل، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت، الذي أسموه (بث قول).

وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، لأن أولئك الفقهاء المفترين على الله تعالى، قد أوهموهم أن المأكولات والمشروبات، إنما تحِلُّ للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه الى موسى والى الله تعالى، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم إنما شرّفهم الله بهذا، وأمثاله من الترهات، التي أفسدوا بها عقولهم، فصار أحدهم ينظر الى من ليس من مثله، كما ينظر الى بعض الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر الى المآكل التي تأكلها الأمم، كما ينظر الرجل العاقل الى القَذِرة" (1).

إن هذا التعريف، المأخوذ من المسوأل بن يحيى المغربي، يبين لنا جانباً هاماً من الفكر اليهودي الذي يحلُّ كل شيء ليهود لمجرد أنهم يعتنقون اليهودية، والذي يتعامل مع من هم غير يهود باستعلاء لدرجة، كما لاحظنا، يصنفهم كالحيوانات، وأن ما يأكلونه ما داموا لم يقرأوا عليه من الشريعة الموسوية التي لا يعرفونها فهو قذر.

والناموسيون، أو الربانيون، هم المتضلّعون في ناموس موسى والمختصون في شرحه وتعليمه في المدارس والمجامع، ولقد اضطررتهم مهنتهم "الى الانزواء والاختفاء في غرف الدرس بعيداً عن عيون الناس، ولكنهم عادوا

ونظموا أنفسهم، فيما بعد، في هيئة ثابتة تتوارث هذه المهنة، وأصبح لهم المقام الكبير في عصر المسيح، وكانوا يلقبونهم حيناً بالكتبة وحيناً بالناموسيين، والمعلم منهم كان يدعى حبراً (RABBI). . .ولقب ناموسيين، أو ربّيين، في الناموس يظهر حقيقة مقام تلك الهيئة أكثر مما يظهره لقب كتبة.

وهكذا كانت هذه الفئة الرسمية التي تعلّم الدين وتشرح التقاليد وتجلس في كرسي القضاء في المجامع الإقليمية والدينية.

. . . كان الناموسيون أصحاب القول الفصل في أمور الحياة، كالزواج والطلاق، وشؤون العبادة كالصيام والصلاة وحفظ السبت، الى أبسط الأمور التي تعرض لليهودي في حياته" (1) .

وبذلك تكون فرقة الناموسيين، أو الربانيين، هي القيادة الدينية عند يهود أو من يعرفون باسم الأحبار أو الحاخامات.

---

(1) المغربي، السموأل بن يحيى، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، القاهرة، دار الهداية، ط 1، سنة 1406 هـ – 1986م، ص 174.

(1) المغربي، المسوأل بن يحيى، م. س.، ص 171.

القرّاؤون

إن تسمية هذه الفرقة مشتقة من المصدر العبري "قَرأْ"، ومعناه قرأ أو دعا، وهؤلاء لم يؤمنوا بغير "المُقرا" أي الكتاب الذي يُقرأ فيه، وهو عندهم التوراة، لذلك رفضت هذه الفرقة كل أدبيات يهود بما فيها التلمود، ولم يتقيدوا بغير ما جاء في التوراة.

هذه الفرقة أخذت موقفاً سلبياً ومعارضاً لأحبار يهود الذين خلطوا الأمور فأضافوا من عندهم، وذلك ليس من الرب ولا حتى من موسى عليه السلام.

هذه الفرقة "عرفت أن أولئك السلف، الذين ألفوا المشْنا والتلمود، وهم فقهاء اليهود، قوم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السلام، أصحاب حماقات ورفاعات هائلة.

فلما نظر اليهود القراؤون، وهم أصحاب عانان بن داود بنيامين، الى هذه المحاولات الشنيعة، الى هذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء، وعن كل من يقول بمقالتهم، وكذبوهم في كل ما افتروا على الله تعالى" (1).

إن هؤلاء القرائين، نظراً لرفضهم مجاراة يهود في تحريفاتهم، كانوا أكثر الناس استعداداً للفهم، ومن ثم الانتقال الى الخط الصحيح. ويقول السموأل بن يحيى المغربي عن القرائين: "أكثرهم خرج الى دين الإسلام أولاً فأولاً، الى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير، لأنهم أقرب الى الاستعداد لقبول الإسلام، لسلامتهم من محاولات فقهاء الربانيين أصحاب الافتراء الزائد، الذين شددوا على جماعتهم الأصر. فقد تبيّن . . . أن الحاخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم" (2).

---

(1) المغربي، المسوأل بن يحيى، ص 175.

(2) تراجع: الموسوعة الفلسطينية، م 1، م. س.، ص 255.

الإسينيُّون

أبرز الوثائق عن تاريخ وأفكار هذه الفرقة هي لفائف، مخطوطات، البحر الميت التي عثر عليها في وادي قمران مع منتصف هذا القرن العشرين الميلادي.

وتبين المصادر أن هذه الفرقة ظهرت بين يهود فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد، ومن الأسماء التي تطلق على أتباعها غير "الإسينيين" تسمية "المغتسلين" أو "الأطهار".

هذه الفرقة كان لها قوانينها الخاصة، ويبدو أن قوانينها وأفكارها كانت تحمل ثمة مؤثرات من أفكار دخيلة من البراهمة والبوذيين والثيثاغوريين اليونان.

إن الإسينيين كانوا خاضعين لقوانين صارمة في نظام جماعتهم التي عرفت شكلاً من أشكال الاشتراكية، حيث كانوا يحظرون الملكية الفردية، ويحضون على الزهد، وعلى عدم الزواج، وإقامتهم كانت غالباً في مناطق نائية بعيداً عن المدن، وغالباً كانوا يقطنون المغاور والكهوف، ومعاشهم كان من الرعي والزراعة، وكانوا يمارسون كل صباح عادة الاغتسال بمياه الينابيع، لذلك ترجح بعض المصادر أن يوحنا المعمدان كان مقرباً من الأسينيين الذين كانوا ينتظرون المسيح ليقيم على الأرض ملكوت السماء.

مع مجيء المسيح عليه السلام آمن الإسينييون به وبدعوته لكنهم بعده رفضوا أن يعترفوا بدعوة بولس للمسيحية، وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية، أو الأصح الموسوية، وبعد تدمير الهيكل عرفوا باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين.

السامريون (1)

فرقة يهودية قليلة الأتباع لكنها لم تزل حية حتى يومنا هذا. تقوم عقيدتهم على الإقرار بوحدانية الله، وبنبوءة موسى عليه السلام، والإيمان بيوم الدينونة، ويتميزون عن باقي الفرق بأنهم لا يعترفون بغير الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وهذه الأسفار هي المنسوبة لموسى، والتي تعرف مجتمعة باسم "التوراة".

أما تسميتهم فيبدو أنها ترجع للسامرة عاصمة مملكة الشمال إسرائيل، واليوم يقيمون في نابلس (شكيم القديمة) والسامريون لديهم حتى اليوم نسخة قديمة من التوراة مخطوطة على ورق يعود تاريخها الى ما قبل المسيح ما زالت معتمدة عندهم.

عاشت هذه الفرقة منعزلة عن باقي يهود بعد العودة من السبي البابلي، وحرمت على أتباعها التزاوج مع باقي يهود أو حتى الاختلاط بهم.

السامريون أقل عدداً من أي فرقة على وجه الأرض، إذ يبلغ مجموع أتباعها حوالي 350 شخصاً بين ذكور وإناث. ويقول الدكتور أحمد سوسة إنه قبل حوالي أربعة قرون لم يكن قد بقي منهم سوى خمسة ذكور وخمسة إناث وجمعهم الكاهن صدفة بعد أن كانوا مفرقين في دمشق وغزة ومصر في نابلس.

يعتقد السامريون أنهم الصفوة المتبقية من بني إسرائيل، وأنهم حماة التوراة، والعاملون بما جاءت به، وأنهم المختارون من الله، وأنهم البقية من أولاد يعقوب عليه السلام المعروف باسم آخر هو إسرائيل. والسامريون يفترقون عن سائر يهود في قضية أساسية هي موقع الهيكل واتجاه قبلة الصلاة، وقد تحدث الشهرستاني عن الأمر فقال: "وقبلة السامرة جبل يُقال لـ غريزيم بين بيت المقدس ونابلس. قالوا إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس، وهو الطور الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام، فتحول داود الى إيلياء وبنى البيت فيها، وخالف الأمر فظلم. والسامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود، ولغتهم غير لغة يهود، وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت الى السريانية" (1).

(1) يراجع: سوسة د. أحمد، م. س.، ص 360 وما بعدها.

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 444.

الصدوقيون

الصدوقيون فرقة من أبرز فرقتين متخاصمتين عند يهود، والثانية هي فرقة الفريسيين. والمسألة الأبرز التي كانت مثار خلاف بينهما هي النظرة لمصدر الشريعة "ففي حين يتمسك الصدوقيون بالتوراة المكتوبة، وفي نظرهم الكتبة وحدهم هم مفسرو الشريعة الشرعيون، فإن الفريسيين يعترفون كذلك بالحجة ذاتها للتوراة الشفوية، أي بتقليد الأجداد" (1).

والمسألة الأخرى التي اختلفت عليها الفرقتان هي اليوم الآخر حيث كان الصدوقيون ينكرون القيامة والبعث.

يعود نسب هذه الفرقة الى "صديق بن أخيطوب سليل أليعازر بن هارون، وكان أحد الكاهنين العظيمين في عهد الملك داود. ثم انفرد بالكهنوت الأعظم في عهد الملك سليمان، وقد احتفظت سلالته بعهد الكهنوت حتى عصر المكابيين.

. . . وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء عظيمة النفوذ، ولذلك كانت حريصة على استرضاء السلطة الحاكمة . . . وبهذا أصبح نفوذهم السياسي يفوق نفوذهم الديني" (1) .. ومنهم من يطلق على مؤسس الفرقة صادوق.

هذه الفئة التي كان معظم أعضائها من ذوي الثقافة والثراء مما وفّر لهم مكانة مرموقة يمكن تلخيص أبرز طروحاتها وما تمتاز به بما يلي:

أ- أنها لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور.
ب- ولا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا في الدنيا.
ت- وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة.
ث- تنكر وجود الملائكة والشياطين.
ج- تنكر القضاء والقدر وما كتب للإنسان أو عليه في اللوح المحفوظ.
ح- تقول تبعاً لذلك، بأن الإنسان خالق أفعال نفسه، حرُّ التصرف، وبذلك فهو مسؤول.
خ- تؤمن بقدسية العهد القديم ولا تؤمن بالتلمود ونحوه" (2).

أنكر الصدوقيون كل أدبيات العهد القديم، ما عدا الأسفار الخمسة أو التوراة، كما أنهم أنكروا القيامة والحساب، وقالوا بأن الحياة مادية والعلاقات فيها تقوم على هذا الأساس.

يرجح زكي شنوده أن يكون الصدوقيون قد تأثروا ببعض المذاهب الداعية الى المادية واللذة المادية الحسية، ومنها الأبيقورية – مدرسة فلسفية يونانية مؤسسها الفيلسوف أبيقور - ، ويقول: "لقد "اعتنقوا مذهب الأبيقوريين الذين يدعو الى انتهاب كل ما في من لذائذ جسدية ومتعات مادية، لأنه لا حياة في اعتقادهم إلا في هذه الدنيا، فلا آخرة ولا نعيم ولا جحيم ولا ثواب ولا عقاب، ومن ثم أنكر الصدوقيون القيامة بعد الموت، قائلين إن النفس تموت مع الجسد" (1).

ولقد ورد في العهد الجديد نصوص تظهر كيف كان الصدوقيون ينكرون القيامة ويسخرون من الإقرار بذلك، فلقد ورد في إنجيل متى النص التالي: "وفي ذلك اليوم دنا اليه الصدوقيون الذين يقولون بعدم القيامة وسألوه، قائلين: يا معلم قال موسى إن مات أحد وليس له ولد فليتزوج أخوه امرأته ويقم نسلاً لأخيه. وكان عندنا سبعة إخوة تزوج أحدهم امرأة ومات ولم يكن له نسل فترك امرأته لأخيه، وكذلك الثاني والثالث الى السابع. وفي آخر الكل ماتت المرأة. ففي القيامة لمن من السبعة تكون المرأة لأن الجميع اتخذوها" (2).

هذا النص يوضح كيف كان يتعامل الصدوقيون مع المسيح عليه السلام، وكيف أنهم عاندوا ولم يؤمنوا باليوم الآخر وبعد ذلك جعل الأمر مثار سخرية.

ومن النصوص التي تؤكد عدم إيمانهم باليوم الآخر ما جاء في أعمال الرسل في العهد الجديد وفيه: "فإن الصدوقيين يقولون بعدم القيامة وعدم الملاك والروح والفريسيين يقرون بذلك كله" (1).

ونصوص الأناجيل، التي تتحدث عما تعرض له السيد المسيح عليه السلام من مكائد ومكر، تبين بأن الفريسيين لم يفعلوا ذلك إلا نادراً، وأمر الأذى يسند غالباً للصدوقيين.

والصدوقيون الذين كان لهم نفوذهم الديني والسياسي في مملكة داود ومملكة سليمان وحتى المكابيين، كان لهم نفوذهم قبل ذلك وبعده، وفي المجمع الأعلى للطائفة اليهودية الذي نشأ تحت اسم السنهدريم أي مجلس السبعين وهذا السنهدريم الذي شكل أعلى سلطة دينية وسياسية، كان للصدوقيين فيه عشرون عضواً من أصل عدد أعضائه السبعين.

(1) شنودة، زكي، المجتمع اليهودي، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، ص 304.

(1) الشهرستاني، م. س.، ص 219.

(2) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 259.

(1) شنودة، زكي، م. س.، ص 305.

(2) إنجيل متى، الإصحاح 22، آية 23 – 28.

(1) أعمال الرسل، الإصحاح، 23، آية 8.

الفريسيون (PHARISIENS)

الكلمة أصلها بالعبرية "فروشيم" ومعناها المنفصلين أو المفروزين والمنعزلين. وجاء في "قاموس الكتاب المقدس" أن الكلمة من أصل آرامي.

كان الفريسيون "يلقبون أنفسهم، فيما بينهم، بلقب حسيديم؛ أي الأتقياء. وكذلك حبرييم؛ أي الرفقاء والزملاء، ولعلها أصل استعمال العرب لكلمة الأحبار؛ أي علماء اليهود، ومفردها في اللغة العربية حبر" (1).

يشكل الفريسيون فرقة متميزة في المجتمع اليهودي لها خصائصها ولذلك كانت مفروزة أو منعزلة، وكان همها الدفاع عن الدين ضد المؤثرات الوثنية الدخيلة، التي عاشت زمن المكابيين، وفي إطار هذه المواجهة نقرأ النص التالي: "حينئذ اجتمعت اليهم جماعة الحسيديين ذوي البأس في إسرائيل وكل من انتدب للشريعة. وانضم اليهم جميع الذين فروا من الشر فازدادوا بهم تعزيزاً، وألفوا جيشاً وأوقعوا بالخطأة في غضبهم وبرجال النفاق في حنقِهم وفرّ الباقون الى الأمم طالبين النجاة. ثم جال متتيا (1) وأصحابه وهدموا المذابح. وختنوا كل من وجدوه في تخوم إسرائيل مع الأولاد الغُلْف وتشدّدوا" (2).

كان الفريسيون من العالمين بالشريعة الموسوية المتعمقين بها لذلك نصبوا أنفسهم للدفاع عنها "وقد كانوا يعتقدون أنهم ممتازون بما لهم من دراية بأحكام الشريعة اليهودية وتفسير غوامضها . . . وأضفوا على أنفسهم كثيراً من ألقاب الكرامة والتبجيل والعلم، فكانوا يسمون أنفسهم السوفريم؛ أي الفقهاء، والشابمهيريم؛ أي المفكرين الأحرار، والتالميدي شكابيم؛ أي تلاميذ الحكماء" (3).
وقف الفريسيون عند ظاهر النصوص، وبالغوا في طلب احترام الناحية الشكلية، ولم يعيروا اهتماماً كبيراً للجانب الروحي.

كان الفريسيون، خلافاً للصدوقيين، لا يقتصرون على أسفار موسى بل يقبلون التقاليد التي تناقلها الخلف عن السلف، ويعتبرون الأوامر والأحكام المتوارثة معادلة للشريعة المكتوبة، ولا بد من الرجوع اليها والاستعانة بها لتفسير التوراة" (1).

ويخالف الفريسيون الصدوقيين في مسألة أخرى أساسية ألا وهي الإيمان بيوم الدينونة، وبالبعث والحساب، لذلك لم يتناقض الفريسيون مع دعوة المسيح عليه السلام في زمانه بمقدار ما تناقض معه وواجهه الصدوقيون.

يمكن أن نجمل عقيدة الفريسيين كما جاء في "قاموس الكتاب المقدس" بما يلي: "من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة. وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد، ووجود الأرواح، ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها، غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس، فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية. وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسى عليه السلام تناقله الخلف عن السلف، وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة سلطة وأهم منها" (2).

إن عقيدة الفريسيين – كما ذكرنا سابقاً – لم تجعلهم في تناقض مع السيد المسيح عليه السلام، كما كانت حال الصدوقيين، وبوليس نفسه، الذي أصبح داعية للمسيحية أساسياً هو فريسي أصلاً.

لقد ورد ذكر الفريسيين مرة واحدة في إنجيل يوحنا، وقد اتخذوا موقفاً سلبياً من السيد المسيح، وذلك عند مؤامرة يهوذا الإسخريوطي. جاء عن هذا الموضوع:
"وكان يهوذا، الذي أسلمه، يعرف الموضوع لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيراً. فأخذ يهوذا الفرقة وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء الى هناك بمصابيح ومشاعل وأسلحة. فخرج يسوع وهو عارف بجميع ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون" (1).

ما خلا هذا النص نقرأ في الأناجيل أن بعض الفريسيين كانت تملكهم رغبة للدخول في المسيحية والتقرب من السيد المسيح، فلقد جاء في إنجيل لوقا: "وسأله أحد الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ" (2).

ويصور الإنجيل الفريسيين، وهم حريصون على السيد المسيح، مدافعون عنه. وقد جاء في إنجيل لوقا: "في ذلك اليوم دنا اليه قوم من الفريسيين وقالوا له: أخرج واذهب من هنا فإن هيرودوس يريد أن يقتلك" (3).

يبدو الفريسيون وكأنهم الأسينيون، أو قريبون منهم، لذلك كان تعاملهم مع المسيحية بإيجابية نوعاً ما. وفي إطار مواجهة من فسروا الحياة تفسيراً مادياً تأثراً بالأبيقورية وسواها، ومن هؤلاء الصدوقيون، وضع الفريسيون كتاب "أخنوخ" الذي يقدم عرضاً فيه الكثير من الروحانية.

---

(1) متتيا، أحد الكهنة البارزين في عهد المكابيين وأصله من بين يوياريبس واسمه متتيا بن يوحنا بن سمعان.

(2) سفر المكابيين الأول، الإصحاح 2، الآيات 42، 46.

(3) شنودة، زكي، م. س.، ص 298.

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 3، م. س.، ص 454.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 674.

(1) إنجيل يوحنا، الإصحاح 18، الآيات 2، 3، 4.

(2) إنجيل لوقا، الإصحاح 7، الآية 36.

(3) إنجيل لوقا، الإصحاح 13، آية 31.

من القبالة الى الدونمة

القبالة فرقة يهودية نشأت على أساس أفكار التلمود وبتأثير أفكار الزرادشتية الفارسية، وعند القباليين بدأت تأويلات وتفسيرات للتلمود على الطريقة الباطنية، وأول ما نشأت هذه الجماعة سميت: "الحكمة المستورة" وبعد ذلك عُرفت بـ "القبالة". والكلمة أصلها آرامي ومعناها القبول، أو تلقي الرواية الشفوية.

وإذا كان القباليون يرجعون أساس نشأتهم الى الحاخام سمعان بن يوشاي، الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وقصته شبيهة بكثير من حكايات من ادعوا الكشف أو الإلهام أو الإشراق من المفكرين والفلاسفة كبوذا وزرادشت وديكارت . . . الخ، ومما يروى عنه أنه بقي متخفياً في المغاور بفلسطين مدة ثلاث عشرة سنة على أثرها كشفت له أسرار السماء والأرض.

نشأت القبالة تحت تأثير أفكار أفلاطونية وفلسفية هندية وفارسية، لكن القبالة تقوم أساساً على فكرة الانتظار، فجلُّ همها موجّه الى اكتشاف المؤثرات الدالة على مجيء "المسيح المنتظر" الذي يخلص، وفق زعمهم، "شعب الله المختار" من معاناته.

وإذا كان أكثر من شخص قد ادعى أنه "مسيح منتظر" إلا أن "القبالة" لم تتبلور فكرتها إلا مع القرن الثالث عشر الميلادي. إن نمط الدراسات اليهودية التي تدور حول التلمود بتأثير أفكار دخيلة – كما ذكرنا – عرفت حالة انتشار واسعة "مما أدى الى ظهور مجموعة أدبية كتبت بلهدة خاصة من اللغة الآرامية، وقد جمعت كلها في كتاب مقدس جديد، هو الزوهر، والزوهر كلمة آرامية معناها النور أو الضياء والتسمية مأخوذة من" (1)العهد القديم حيث جاء في سفر نبوءة دانيال "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية، وبعضهم للعار والرّذل الأبدي. ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيرين أبراراً كالكواكب الى الدهر والأبد" (1).

أما واضع الزوهر "فإنه موسى اللبوني (1250م – 1305م) وقد دوّنه بالآرامية في أسبانيا، غير أن المعروف أن ما احتواه الزوهر من الشعائر الصوفية وما اليها من حكم ترجع الى زمن الحاخام سمعان بن يوشاي من القرن الثاني الميلادي. . . وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة، وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنياً . . . والحياة في عرف الزوهر صراع بين الخير والشر، وكلاهما يخدمان غاية مقدسة، فكل عمل خير وكل صلاة حارة تبعث قوة روحية تؤدي الى انتصار الخير على الشر، ذلك الذي سوف يظهر بكل جلاء وبهاء مع ظهور المسيح المنتظر" (2).

لقيت القبالة دوراً هاماً في تشكيل العقل اليهودي، بناء على فكرة انتظار ظهور المسيح المخلص للشعب المختار، كما يزعمون، هذا مع العلم أن هذه الفكرة أبرزت في تاريخ اليهودية مدعين بين حين وآخر يزعم كل منهم أنه المسيح الموعود.

نذكر من الأسماء التي جاءت تزعم أن أصحابها "مسيح موعود"؛ ثويداس الذي أعلن عن نفسه سنة 44م، وبعده باركوخبا الذي قاد ثورة ضد الروماان وقضى على يدهم سنة 135م.

ومنهم كذلك أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني "وقيل أن اسمه عوفيد ألوهيم؛ أي عابد الله. كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية: مروان بن محمد . . . ، فاتبعه بشر كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات، .. . زعم أبو عيسى أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر. وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً

بعد واحد، وزعم أن الله تعالى كلمه، وكلّفه أن يخلِّص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين، والملوك الظالمين" (1).

تُرجح المصادر التاريخية أن فكرة المسيح المخلص قد رافقت الفكر اليهودي بعد السبي، وكانت تطفو على السطح كلما شعرت جماعة منهم بخطر ما يحيط بها، لأن فيها بعثاً لأمل بخلاص ينتظرونه.

وهذه المرة، مع منتصف القرن السابع عشر الميلادي وتحديداً عام 1648م، تعرض يهود بولونيا لأنواع من الاضطهاد ولحوادث اعتداء "قيل عنها إنه بشير لليهود بقرب مجيء المسيح. وقد ظهر هذه المرة شاب يهودي يدعى ساباتاي زيوي، من أهل أزمير بتركيا، لم يكن قد تجاوز بعد الثانية والعشرين من عمره، وكان قبالياً متحمساً لتعاليم الزوهر، وادعى أنه المسيح المنتظر" (2).

وبما أن المسيح الموعود عندهم ليس نبياً فحسب، وإنما هو ملك أيضاً، لذلك طلب ساباتاي زيوي من أتباعه أن ينادوا باسمه بدل السلطان العثماني، وبات له أنصار في أزمير وسالونيك وفي فلسطين من خلال متبع له يدعى "ناثان بنيامين".

"ولما توسع نفوذ ساباتاي وازداد سلطانه بين الطائفة اليهودية في تركيا أمر السلطان محمد الرابع، الذي أصبح يخشى اغتصاب ساباتي الحكم، بنقله الى أدرنة. وعقد السلطان اجتماعاً للتداول في مشكلة ساباتاي وإيجاد حل لها، فاستقر الرأي على تكليف إحدى الشخصيات، ذات النفوذ من اليهود، أن تتولى أمر إقناع ساباتاي وحمله على إعلان إسلامه إنقاذاً له ولأتباعه من الدمار والهلاك. وقد تمّ ذلك بالفعل، فأعلن ساباتاي إسلامه إنقاذاً له ولأتباعه من الدمار والهلاك. وقد تم ذلك بافعل، فأعلن ساباتاي إسلامه وسُمِّي محمد أفندي، وأجرى له السلطان راتباً شهرياً.

ولكن ساباتاي، رغم إسلامه، استمر بالادعاء خفية بأنه المسيح، وأخذ يبثّ تعاليمه الدينية بين طائفة الدونمة في تركيا، وهم اليهود الذين خرجوا من أسبانيا فاعتنقوا الإسلام في الظاهر بينما كانوا يمارسون طقوسهم في الخفاء ولا يتزاوجون من غير الدونمة.

وكان ساباتاي يدّعي بأنه يبشر بالدين الإسلامي بين اليهود، ولكن هذه الحيلة لم تجده نفعاً فنفي الى مدينة دلسيكنو في ألبانيا، وقد توفي فيها سنة 1676م" (1). وبذلك يكون قد توفي عن عمر يناهز الخمسين عاماً لأن ولادته كانت سنة 1626م.

يهود الدونمة إذن، أو الدونمة، تسمية تركية أطلقها العارفون من الأتراك "على من يدعون الإيمان ظاهراً والكفر باطناً أو زنادقة، والدونمة أو

السباتائية، نسبة الى ساباتاي أو (سبتاي) زفي الأزميري الأسباني الأصل .. . وهم جماعة من اليهود الوافدين الى تركيا من الاضطهاد الأوروبي، آمنت بفكرة زعيمها الذي ادّعى أنه مسيح اليهود المنتظر" (2).

والكلمة "دونمة" أو "دومنة" "من تركيب تركي عامي، مركبة من دو أو اثنين (فارسية الأصل)، ونمة أو منة بمعنى نوع؛ أي الفرق القائمة على نوعين من الأصول النوع اليهودي والنوع الإسلامي" (1).

فيهود الدونمة هم يهود أظهروا الإسلام، وظلُّوا على عقيدتهم وإيمانهم بيهوديتهم، وذلك ليستروا حقيقة حالهم. وأتباع هذه الفرقة يقيم غالبهم في تركيا حتى يومنا هذا.

وحيث يعيشون في تركيا تراهم "يطلقون على أنفسهم أسماء ضخمة مثل المؤمنين والرفاق والمجاهدين. أما طوائف اليهود الأخرى، وخصوصاً الربانيين، فيسمونهم مينيم؛ أي الكفار. وهم يسترون على الناس كل ما يثبت أنهم يهود، لدرجة أنهم يتسمون بأسماء إسلامية لا يستخدمونها في بيوتهم ولكن في الحياة العامة فقط. وهم شديدو المحافظة على تراث زعيمهم (ساباتاي زيوي) وتعاليمه، ومن أهم هذه التعاليم:

1- الزواج سنة واجبة، وهو غير ممكن إلا بين رجل وامرأة من أبناء الطائفة ذاتها .
2- تعدد الزوجات محرّم عليهم.
3- يستحسن عقد الزواج يوم الاثنين والخميس.
4- ينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة الذي يبارك العروسين سبع مرات، ثم تتم الزفّة باللغة العبرية بالموسيقى والغناء.
5- شريعة الختان قائمة عندهم ومفروضة كما عند اليهود" (1).

ودور القبالة، من خلال الدونمة، لم يتوقف عند ساباتاي زيوي وإنما بقي ناشطاً من خلال أسماء كان لها بريقها عند يهود مثل إسرائيل البدولي في بولونيا (1740م)، ويعقوب فرانك (1755م) و (حاييم صموئيل يعقوب فوك، أو الدكتور فوك، أو دي فوك الذي كان ماسونياً، وقد برز نشاطه في بريطانيا وتوفي ودفن في لندن في نيسان عام 1782م (2).

---

(1) ساوسة، د. أحمد، م. س.، ص 404.

(1) سفر نبوءة دانيال، الإصحاح 12، آية 2، 3.

(2) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 404.

(1) الشهرستاني، م. س.، ص 215، 216.

(2) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 408.

(1) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 409، 410.

(2) الزعبي، الأرقم، م. س.، ص 178.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 310.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 311.

(2) لمزيد من التفصيل يراجع: سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 410 وما بعدها.

السنهدريم

ليس السنهدريم فرقة وإنما هو مجلس أعلى ليهود يقودهم في مختلف الشؤون الدينية وغير الدينية. والسنهدريم "هو الذي يسيطر على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء، وكان يحكم في كل الشؤون المتعلقة بالشريعة الطقسية، والشريعة الجنائية، والشريعة المدنية، كما كان هو المحكمة الاستئنافية العليا للقضايا الهامة التي سبق أن فصلت فيها مجالس المدن والقرى التي كانوا يسمونها المجامع، وكان هو المهيمن على شؤون هيكل أورشليم، وهوالممثل للشعب اليهودي، فكان هو حكومة اليهود التي تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية" (1).

إن السنهدريم لفظ يوناني معناه "المجمع العظيم" وكان يطلق عليه بالعبرية "الكنيست". وفكرة إنشاء مجمع ليهود بدأت مع موسى عليه السلام. كما جاء في التوراة، وهو مجلس السبعين، أي المجلس المؤلف من سبعين عضواً.

الأمر ورد لموسى في سفر العدد: "فقال الرب لموسى اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤهم، وخذهم الى خباء المحضر فيقفوا ثم معك، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأحلّه عليهم فيحملون معك أثقال الشعب ولا تحمل أنت وحدك . . . فخرج موسى وأخبر الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب ووقفهم حوالي الخباء" (1).

والمجلس الأعلى الديني لم يكن صنفاً واحداً وإنما "كانت تتمثل في السنهدرين فئتان، الفئة الأولى (سادوسي) وهي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد، والفئة الثانية وتسمى (بيروشيم) وهي التي تدفع الناس الى ناحية العمل والكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية" (2).

وكان يتم تجديد السنهدريم في كل عهد إحياء لسنّة بدأت مع موسى، ومن النصوص التي جاءت تؤكد ذلك ما جاء في نبوءة حزقيال: "وقد وقف أمامها سبعون رجلاً من شيوخ آل إسرائيل، وفي وسطهم يازنيا بن شافان واقفاً، وكل واحد مجمرته بيده وقد صعدت غمامة عطرة من البخور" (3).

وكذلك تفيد النصوص أن السنهدريم قد تمّ تجديده بعد العودة من السبي في بابل حيث التأم فيه من جديد شيوخ بني إسرائيل، ويستفاد ذلك من النص التالي: "تخلُّوا عن عمل بيت اللّه هذا وليبنِ والي اليهود وشيوخ اليهود بيت الله هذا في مكانه. وقد أُبْرز أمر منّي بما تصنعون مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الله هذا، إنه من مال الملك من خراج عبر النهر تعطى النفقة معجلة لهؤلاء الرجال لئلا يتعطلوا" (1).

يتضح مما سبق أن يهود لا يفصلون بين القيادة الدينية والسياسية، لا بل القيادة عندهم هي واحدة من خلال المجلس الأعلى أو السنهدريم أو الكنيست التي تقوم على أساس ديني بحت.

---

(1) شنودة، زكي، م. س.، ص 254.

(1) سفر العدد، الإصحاح 11، الآيات 16، 17، 24
(2) سوسة، د. أحمد، م. س.، ص 360.
(3) سفر نبوءة حزقيال، الإصحاح 8، آية 11.

(1) سفر عزرا، الإصحاح 6، آية 7، 8.

الفصل السادس
عقائد يهود وشريعتهم

إن القراءة المتأنية لحقيقة ما عند يهود، انطلاقاً من العهد القديم، ومن سائر أدبياتهم، تبيّن بأن العقيدة والشريعة عندهم غير واضحة، تلفها ثمة ضبابية ولبس، لأن العقيدة والشريعة عندهم مسخّرتان للأهواء والمصالح السياسية والاقتصادية.

لا يجد يهود حرجاً في التخلي عن أسس العقيدة أو عن موجبات الشريعة وأحكامها إذا وجدوا أن في ذلك مصلحة لهم. هذا الأمر أوصلهم الى مفاهيم عقيدية غريبة ومستغربة سواء في مسألة التوحيد، أو في موضوع الخالق سبحانه وتعالى عن مفاهيمهم الخاطئة، أو في حق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، أو في إمضاء أحكام الشريعة.

عقيدتهم في الله

ليس للخالق عندهم في الكتاب المقدس اسماً واحداً بعينه، وإنما ورد له أكثر من اسم، ولكل اسم تفسير مختلف، ومفهوم غير الآخر. فإضافة الى كلمة رب الكثيرة الاستخدام عندهم ورد في الكتاب المقدس (العهد القديم) ثلاثة أسماء للخالق هي: أدوناي – إيلوهيم – يهوه، هذا عدا الاسم العام الذي يستخدمونه مع غيرهم من الشعوب "إيل". فما مفهومهم لكل واحدة من هذه التسميات؟:

أ) إيل (EL):

كلمة إيل استخدمت عند الشعوب المعروفة بالسامية اصطلاحاً، والتي عاشت في أرض الأمة العربية، ومعناها الإله. والكلمة "اسم جنس يدل على الألوهية بصفة عامة، واسم علم يدل على الشخص الوحيد والمحدد الذي هو الله . . . كان إيل معروفاً ومعبوداً، خارج إسرائيل. كاسم جنس، يدل على الألوهية، تقريباً في كل العالم السامي، وكاسم علم، هو اسم إله عظيم، يظهر أنه كان الإله الأعلى، في القسم الغربي من هذه المنطقة، خاصة في فينيقيا وكنعان" (1).

ومما جاء في سيرة يعقوب أنه بنى بيتاً للإله سمّاه "بيت إيل". ففي سفر التكوين: "وبنى ثم مذبحاً ودعا الموضع إله بيت إيل لأنه هناك تجلى له الله حين هرب من وجه أخيه" (2).

ب) إيلوهيم (ELOHIM):

الاسم "إيلوهيم" يدل على صفة الله الخالق العظيم وأنه على علاقة مع جميع الشعوب من يهود وغير يهود، أو من يهود وأمميين، لأن يهود يطلقون على سواهم اسم "أمميين" أو "غوييم"، من باب التحقير لغير يهود. وقد جاء في "معجم اللاهوت الكتابي": "أما إيلوهيم فهو صيغة جمع، لا جمع التفخيم – فهذا غير معروف في اللغة العبرية – وليس أيضاً اثراً وثنياً، إذ أن هذا لا يتفق مع العقلية الإسرائيلية .. . ولكن من الأرجح أنه أثر من مذهب مشترك بين الشعوب السامية، يدرك الجوهر الإلهي على شكل قوي متعدد" (3).

ت) يهوه (YAHWEH):

هذا الاسم يعدُّه يهود خاصاً بهم، ولذلك يقولون بأنه إله تابوت العهد، وإله الرؤيا والإعلان، وإن الخالق أطلق على نفسه اسم يهوه منذ أعطى عهده لموسى على طور سيناء.

إن الإعلان عن اسم "يهوه" يلقي "الضوء على ما في هذا الاسم من سرٍّ وقوة خلاصية معاً. فبينما يتجلّى "إيل" للآباء في مناطق مألوفة، وتحت صور بسيطة وقريبة من أذهانهم، يكشف يهوه عن ذاته بعكس ذلك، الى موسى، في إطار وحشة الصحراء، وفي بؤس الغربة. . ." (1).

- ما معنى الاسم "يهوه"؟

"إن الإطار الذي تم فيه إعلان الاسم لموسى يدعو على الأقل الى تفسير جديد للفظٍ قديم، ويتضمن، على الأرجح، تغييراً مادياً في اللفظ، فهو يقيم صلة بين اسم يهوه وصيغة المتكلم للفعل: هَوَه هَيَهْ إهْيهْ: إني كائن. وعلى قول الله: إني كائن، يجيب الإنسان: هو الكائن" (2).

ولقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن الاسم "يهوه": "يهوه . . . هو اسم من أسماء الله . . . وهذا الاسم يحفظ الدين من خطرين:

الأول: من جعل الله فكرةً أو تصوراً،
والثاني: من جعله وجوداً يتلاشى فيه كل ما في الوجود.

فالاسم يجعل الله إلهاً معيناً معلناً يستطيع الإنسان أن يدعوه بألفاظ وتعابير واضحة.

إن اسم يهوه يثبت، بجلاء وجلال، وجود الله . . . ولكن ليس بمعنى أنه ساكن، أو مستقر في ذاته، بل بمعنى أنه يعمل ويؤثّر، فالله موجود ليعمل ويؤثر، ليعلن ذاته، وينفذ إرادته، ويرشد شعبه، كما أرشد الآباء في أيام القدم. . . فاسم يهوه، والحالة هذه، مدلول لمشيئة الله وعمله وأمانته نحو شعبه" (1).

ويأتي النص في العهد القديم ليعلن صراحة بأن الاسم "يهوه" لم يعلن للأنبياء الذين كانوا قبل موسى: "وكلّم الله موسى وقال له أنا الرب. أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهاً قادراً على كل شيء وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم" (2).

ث) أدوناي (ADONAI):

اسم يخاطب به الخالق بوقار وخشوع وهيبة. هذا الاسم يعني الرب: الله رب الأرض كلها، ويأخذ عادة صيغة المبالغة "أدوناي" عندما يوجهه المؤمن الى الخالق في دعائه.

ولكثرة استخدام الاسم "أدوناي" أصبح اسم علم، أما عن سبب تداوله فقد جاء في "معجم اللاهوت الكتابي": "وعندما أعرض الشعب، بواجب الاحترام، عن التلفظ باسم يهوه في قراءاته الطقسية، أبدله لفظ أدوناي، وهذا هو السبب، ولا شك، الذي جعل الترجمة السبعينية تستخدم لفظ (KYRIOS) المقابل اليوناني للفظ أدوناي، لترجمة اللفظة يهوه، فلقب (KYRIOS)، بذلك، يحمل معنيين: يدلُّ تارة على سيادة يهوه، وتارة على اسم الله الحق الواحد غير القابل للمشاركة" (3).

ترد بين المبررات اليهودية لاستخدام اسم أدوناي بدل يهوه، أن يهود ما بين السبي وحتى بزوغ فجر المسيحية، تجنبوا استخدام الاسم "يهوه" حتى لا يكون عرضة للتدنيس من قبل غير يهود.

جاء عن هذا الموضوع: "وفي الفترة ما بين السبي والمسيح، فاق اليهود أجدادهم في مظاهر احترامهم لله، ورغبة منهم في تفادي الانتهاكات الوثنية، قد كفُّوا عن النطق باسم يهوه، واستمروا بكتابة الحروف الأربعة للفظ الرباعي (ي / هـ / و / ه) ولكن تخلّلت هذه الحروف الحركات الخاصة بكلمة (ADONAI) التي استبدلوا بها اسم يهوه وهي (EOA)، ومعنى الكلمة ربِّي، التي عبّرت عنها الترجمة السبعينية بلفظ كيريوس (KYRIOS)" (1).

إن يهود، الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار، مستندين بذلك الى بعض النصوص الواردة في العهد القديم، ومنها: "لأنك شعب مقدّس للرب إلهك، وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض" (2).

رغم ذلك الزعم المقرون بأنهم موحدون على شريعة جاءهم بها موسى عليه السلام، نقرأ عندهم ما يفيد عدم إيمانهم بالتوحيد، وما يدعو الإنسان على الشك بما يقولونه في هذا الباب.

إن عدم توحيدهم لله يظهر من خلال نصوص وردت في العهد القديم منها النصين التاليين: "مزمور لآساف، الله قائم في جماعة الله يقضي على بواطن الآلهة. الى متى تقضون بالظم وتحابون وجوه المنافقين".

"لداود مزمور، قال الرب لسيدي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك".

يظهر هنا أن الله كان يمارس القضاء، ومعه مجموعة آلهة، وأنه – في النص الثاني – قد أجلس عن يمينه من يدين الناس، وهذا شرك صريح.

لم يكتفِ يهود بهذا بل تحدثوا عن الخالق سبحانه بأسلوب يثير الاستغراب فعلاً، فالله سبحانه وتعالى، حسب مفهومهم، يتعب ويستريح ويندم ويتراجع عن أمور قضى بها. . . الخ، والله عندهم يسير في الغمام أو يسكن فيه، وعندما بُني الهيكل فضل الإقامة فيه، الى آخر ما هنالك من أنواع الأوصاف التي لا تليق بالذات الإلهية، والتي تدل على أن يهود يعطون لعقيدتهم مفهوماً مادياً حسياً.

تبدأ مفاهيمهم العقيدية الفاسدة مع النصوص التي جاءت تتحدث عن عملية خلق الكون، فيقولون بأنه، بعد إتمام عملية الخلق، احتاج الرب ليوم سابع للراحة، ووافق عندهم ذلك يوم السبت. جاء في سفر التكوين: "فأكملت السموات والأرض وجميع جيشها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه" (1).

والرب عندهم متجسد يسير في الجنة ليتفقد آدم وحواء بعد أن جعلهما فيها، وما أن يسمع آدم وقع قدميه حتى يختبئ لأن سوءته قد ظهرت بسبب تناوله ثمراً من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها. جاء عندهم: "فسمعا صوت الرب الإله وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم قال له أين أنت. قال إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت" (1).

إنها حقاً لمقولات تسير السخرية من عقيدة تصل في الهرطقة الى هذا المستوى. صورة غريبة أن يختبئ مخلوق من وجه الخالق فيستفسر أين أنت؟ والاختباء يحصل بعد سماع وقع الخطى في الجنة حيث كان يتمشى الرب الإله لا أظن القارئ يحتاج الى تحليل أو شرح الفكرة، فأمر الفساد في عقيدتهم من خلال مثل هذه النصوص بيِّن.

ومن النصوص التي تظهر فساد عقيدتهم تلك النصوص التي يصورون فيها الله في صورة بشرية، فإنه يسير ويسكن في عمود الغمام، وذلك يوم واكب بني إسرائيل حين خروجهم من مصر، يقولون في ذلك: "وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود من غمام ليهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهاراً أو ليلاً. لم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب" (2).

وإذا كانت الأمم، كلٌّ وفق عقيدتها وشريعتها ونظام عباداتها، تقيم بيوتاً للعبادة، والمؤمنون بالله الواحد يقيمون بيوتاً لله تعالى يذكر فيها اسمه، ويعبدونه فيها من خلال الصلاة والدعاء والذكر . . . الخ، فإن يهود يطرحون للمسألة مفهوماً مختلفاً، خاصة فيما يتعلق بهيكلهم الذي نفذ بناءه سليمان بعد أبيه داود، الذي كان يرغب بإقامته على تلة صهيون قرب القدس، ومفهومهم هو أن الرب، الذي يقيم في الغمام أو في الخيام، يحتاج الى مكان إقامة وسكن، وهذا من فساد العقيدة عندهم. إذ يتصورون أن الخالق بحاجة الى مكان سكن، يقولون في نص في العهد القديم عن هذا الأمر: "حينئذ تكلم سليمان، قال الرب إنه يسكن في الضباب. إني قد بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكناك الى الأبد" (1).

يضيف يهود الى معتقداتهم الفاسدة ذلك التصوير للخالق بأنه قد يتراجع أو يندم على ما كان قد فعله، وهذا هو عين فكرة البداء التي تقوم على أن الله تعالى يفعل فعلاً فإذا ما بدا له غيره بدل الأمر أو غيّر، ولذلك فإنه قد يندم أو يتأسف على ما فعله. جاء عندهم في سفر التكوين: "ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض الإنسان مع البهائم والدبابات وطير السماء لأني ندمت على خلقي لهم" (2).

وقد ورد عندهم نص آخر يفيد معنى الندم والتراجع عند الخالق تعالى الله عن مزاعمهم وكفرهم، وذلك بمناسبة انتهاء طوفان نوح عليه السلام، حيث يزعمون أن الرب عزم على عدم العودة الى ما فعله مع نوح ثانية، يقولون: "فتنسم الرب رائحة الرضى وقال الرب في نفسه لا أُعيد لعن الأرض أيضاً بسبب الإنسان بما أن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أهلك كل حيٍّ كما صنعت" (1). وهذا النص يفيد معنى الندم مع البداء والأمران غير جائزين بحق الله تعالى.

وتزداد الوقاحة في طرح يهود، ويظهر الفساد في عقيدتهم بشكل أوضح عندما يتحدثون عن حال الخالق بعد خراب أورشليم، فيقولون في حقه تعالى كلاماً لا يقبله عاقل، جاء عندهم في سفر مراثي إرميا: "كلّت عيناي من الدموع وجاشت أحشائي، كبدي أريقت على الأرض من أجل حطْم بنت شعبي، إذ غُشي على الطفل والمرضع في ساحات القرية" (2).

وجاءت في التلمود عندهم مقولات تحمل معاني تفيد فساد العقيدة وهي لا تقل في طرحها الوقح عن نصوص العهد القديم، من هذه المقولات نص يتحدثون فيه عن توزيع ساعات العمل للرب خلال اليوم يقولون فيه: "لكن ألم يقل ح. يهودا باسم رابه: هنالك اثنتا عشرة ساعة في اليوم، ينشغل القدوس، المبارك، في ثلاث ساعات منها، بالتوراة وفي الساعات الثلاث

التي تليها، يحاكم العالم ككل وعندما يرى أنه عرضة للتدمير، يقوم عن كرسي الدينونة ويجلس على كرسي الرحمة. وفي الساعات الثلاث التي تليها، يمد العالم كله بالطعام، من أعظم الخلائق الى أصغرها. وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع لوياتان (3)، . .. لكن في الساعات الثلاث الرابعة، يعلّم التوراة لطلبة المدارس .. . يمكننا القول إذا شئتم، أنه يفعل في الليل ما يفعله في النهار. ويمكننا القول، إذا شئتم، إنه يركب على غمامة ليله ويتحرك في كل الاتجاهات" (1).

هذه هي عقيدة يهود في الله تعالى، إنها، كما لاحظنا، عقيدة بعيدة كل البعد عن التوحيد، تغشاها وثنية واضحة فيما عرضناه من نصوصهم، ونختم بمقولة يهود بالاتحاد، والاتحاد يقصد به عندهم إمكان تأله البشر، فالإنسان عندهم قد يصل الى درجة الاتحاد بالإله ويصبح بذلك مظهراً إلهياً في الأرض، ولعل هذا المفهوم هو الذي دفعهم الى قبول تجسد الإله وندمه وأسفه وملاعبته للوياتان وما الى ذلك من المقولات والمزاعم.

---

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 91.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 35، آية 7.

(3) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 91.

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 877.

(2) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 878.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 1076.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 6، آية 2، 3.

(3) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 368.

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 878، 879.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 14، آية 2.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 2، الآيات، 1، 2، 3.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 3، الآيات 8، 9، 10.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 13، آية 21، 22.

(1) سفر الملوك الأول، الإصحاح 8، آية 12، 13.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 6، آية 5، 6، 7.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 8، آية 21.

(2) سفر مراثي إرميا، الإصحاح 2، آية 11.

(3) جاء في سفر المزامير، المزمور 103، آي 26 ما يلي: هناك تجري السفن للوياتان الذي جبلته لتلاعبه.

(1) التلمود البابلي – رسالة عبدة الأوثان – ترجمة وتقديم نبيل فياض، دمشق، دار الغدير، ط 1، سنة 1991م، ص 25.

الأنبياء ليسوا معصومين عندهم

النبوة تكون باختيار إلهي، واصطفاء، وبعد ذلك يكون النبي معصوماً بداعي حمله للرسالة والتبليغ، والعصمة تكون للأنبياء بعد اختيارهم للنبوة، وبعدها لا كبائر ولا صغائر تحصل منهم، ولا يقومون في حياتهم الخاصة بما يخالف الشريعة.

أما يهود، الذين تطاولوا على الذات الإلهية، وألصقوا بهاما لا يليق بالعزة الإلهية، فمن غير المستغرب أن يتطاولوا على الأنبياء فيصورونهم بصورة المقترفين للذنوب والآثام، وقد تصل هذه الأخطاء الى حدود الأفعال التي يعفُّ اللسان عن ذكرها. وإذا كنا سنذكر بعضاً من نصوصهم فما ذلك إلا بغرض الدراسة، وبهدف إطلاع القارئ، أو تذكيره، بتلك التهم التي يكيلها يهود للأنبياء دون احترام مقام النبوة، ولما خصّ الله تعالى به الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم.

تندرج، ضمن الحكايات المرفوضة، تلك القصة التي ينسبونها للوط عليه السلام ولابنتيه، والتي لا يمكن أن تحصل إلا في مجتمع فاقد للقيم عديم الالتزام بها. هذا مع العلم أن ابنتي لوط كانتا من الناجين من قومه لأنهم

لم يعصوا، فكيف لهم يا ترى أن تحصل منهم أفعال شـنيعة فـي المـستوى الذي ورد في سفر التكوين؟ اليك أيها القارئ العزيز ما يقولونه عنهم:

"وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم فـي صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه. فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شـاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا علـى الأرض كلهـا. تعـالي نـسقي أبانـا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ولـم يعلـم بنيامهـا ولا قيامهـا. فلمـا كـان الغـد قالـت الكبرى للصغرى هآ أنـا ذا ضاجعت أمـس أبـي فلنـسقه خمـراً الليلـة أيـضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أبااهما خمراً تلك الليلـة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما. وولدت الكبرى إبناً وسمتّه موآب وهـو أبـو المـوآبيين الـى اليـوم. والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمتّه بنْعَمِيّ وهو أبو بني عمّون الى اليوم".

قصة بهذا المستوى، إذا كانت تقع من نبي وابنتيـه النـاجيتين معـه، فكيـف الأمر يا ترى بالنسبة لسائر الناس؟ ومثل هـذه القـصص المختلقـة تـساعد على نشر الفساد في المجتمع عطفاً على أنها تحمل إساءة كبرى للنبـي لوط ولابنتيه.

تضاف الى القصة قصة أخرى يـروون فيهـا مـزاعم تحمـل اتهامـاً للنبـي داود عليـه الـسلام، وهـذه القـصة، التـي يزعمـون أنهـا حـصلت مـع زوجـة أوريـا الحثي، تتضمن، فـوق التهمـة لنبـي، عرضـاً يـصح أن يكـون موضوعـاً لفـيلم سينمائي يحمـل قـصة مـن أبـشع قـصص الاحتيـال والفـساد الخلقـي ممـا يستحيل حصوله ليس من نبي، وإنما من إنسان عادي.

جاء في سفر صموئيل الثاني، عن هذا الموضوع الذي جرى أثنـاء حـر بـين جيش داود وأعدائه، قولهم: "ولما كان مدار السنة في وقـت خـروج الملـوك أرسل داود يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فـدمّروا بنـي عمّـون وحاصـروا ربة، وأما داود فبقي فـي أورشـليم. وكـان، عنـد المـساء، أن داود قـام عـن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فـرأى عـن الـسطح امـرأة تـستحم وكانت المرأة جميلة جداً. فأرسل داود رسلاً وأخـذها فـدخلت عليـه فـدخل بهـا وتطهـرت مـن نجاسـتها. ورجعـت الـى بيتهـا وحملـت المـرأة فأرسـلت وأخبرت داود وقالت إنني حامل. فأرسل داود الى يوآب أن أرسـل إلـيّ أوريـا الحِثّي، فأرسل يوآب أوريا الى داود. فجاءه أوريا فاستخبره داود عن سـلامة يوآب والـشعب وعـن الحـرب. ثـم قـال داود لأوريـا انـزل الـى بيتـك واغـسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرج وراءه طعام مـن بيـت الملـك. فرقـد أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيّده ولم ينزل الـى بيتـه. وأخبـر داود أن أوريا لم ينزل الى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فما بالك لا تنزل الى بيتك. فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا مقيمـون فـي الخيام ويوآب سـيدي وعبيـد الملـك سـيدي نـزول علـى وجـه الـصحراء وأنـا

أدخل بيتي وآكل وأشرب وأدخل على أهلي، لا وحياتك وحياة نفسك إني لا أفعل هذا. فقال داود لأوريا امكث اليوم وغداً أصرفك فبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده. فدعاه داود فأكل بين يديه وشرب وأسكره وخرج مساءً فاضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل. فلما كان الصباح كتب داود الى يوآب كتاباً وأرسله بيد أوريا. وكتب في الكتاب قائلاً وجهوا أوريا الى حيث يكون القتال شديداً وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت. فكان في محاصرة يوآب للمدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن فيه رجال البأس. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود وقُتِل أوريا الحثي أيضاً. فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع ما كان من أمر الحرب.. .وسمعت امرأة أوريا أن زوجها أوريا قد مات فناحت على بعلها. ولما تمت أيام مناحتها أرسل داود وضمّها الى بيته فكانت زوجة له وولدت له ابناً، وساء ما صنعه داود في عين الرب" (1).

إن القراءة التحليلية لهذا النص تبيّن لنا ثمة مغالطات فيه، فبالإضافة الى اتهامهم للنبي داود عليه السلام بعمل لا يليق بإنسان عادي، وإنما فعل سوقي، لست أدري كيف يقبلون وصف نبي به.

هناك تناقضات في هذا النص، وتعاقب للأحداث تظهر شخصيات الحادثة وكأنها مستسلمة لداود لا تناقش ولا تفكر بما يأمرها به. فتراهم يصورون زوجة أوريا أنها تستسلم لداود، وتقبل منه كل طلباته بلا مناقشة، وتراهم يتحدثون عن يوآب وكيف تلقى الرسالة. وتآمر على واحد من جنده هو أوريا الحثي دون أن يعلم السبب.

ومن تناقضات النص أن زوجة أوريا عندم حضرت الى اللقاء الأول بداود كانت في دم الحيض على غير طهر، وفي شريعة يهود المرأة تعزل في مثل هذه الحالة فكيف حصل وواقعها داود؟!.

وإذا كانت المرأة في دم الحيض لا إنتاج في رحمها للبويضات، وبالتالي كيف يكون قد حصل الحمل، وفي ذلك مغالطة علمية؟. هذا ناهيك عما اتهموا به داود عليه السلام، وهو أشنع ما يمكن، فإنه من غير المقبول من مراهق أن يسترق النظر على نوافذ جيرانه، فكيف يكون ذلك من نبي ملك، وجيشه يتابع مهمة قتال وحرب مع أعداء؟!.

وتستمر حكاية اتهامالأنبياء، في نصوص العهد القديم، حتى تصل مع سليمان الى درجة يتهمونه فيها بالشرك، وعبادة آلهة الوثنيين لا لسبب إلا إرضاء لنسائه.

ورد في سفر الملوك الأول ما يلي: "وأحب الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع ابنة فرعون من الموآبيين والعمّونيين والأدوميين والصيدونيين والحثيين. ومن الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل لا تختلطوا بهم وهم لا

يختلطوا بكم فإنهم يميلون بقلوبكم الى اتباع آلهتهم فتعلّق بهنّ سليمان حبّاً لهن. وكان له سبع مئة زوجة وثلاث مئة سرّيّة فأزاغت نساؤه قلبه. وكان في زمن شيخوخة سليمان أن أزواجه مِلن بقلبه الى اتباع آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب إلهه، كما كان قلب داود أبيه. وتبع سليمان عشتاروت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس بني عمّون. وصنع سليمان الشر في عيني الرب ولم يُتمّ اقتفاءه للرب مثل داود أبيه. حينئذ بني سليمان مشرفاً لكاموش رجس موآب في الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمّون. وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يُقتّرن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الربُّ على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إله إسرائيل الذي تجلى له مرتين. وأمره في ذلك أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أمره الرب به" (1).

يحمل هذا النص تهمة الشرك لسليمان، وأن النبي سليمان قد عصى الله ولم يلتمزم أوامره عندما تزوج من غير بني إسرائيل، وعندما عبد واتّبع آلهة زوجاته، والسؤال هنا: كيف يقبل يهود لنبي أن يكون من عابدي الأوثان، وأن لا يكون ممن يعبدون الله؟!

ثم إذا كانوا، في غير هذا النص، قد تحدثوا عن حكاية بناء الهيكل في القدس، هيكل سليمان الذي يزعمون أن سليمان قد صرف جهداً كبيراً لإقامته ليكون بيتاً للرب، وكل طرحهم الديني، ومشروعهم السياسي، مرتبط به، فكيف يقبلون أن يكون سليمان في مثل هذه الحالة، احلة من تنجح النسوة في قيادته الى عصيان الله والى الشرك به؟

هذه النصوص تعدُّ معهداً لتعليم الفساد، لأنه إذا كان عمل النبي أن يخطط ليظفر بزوجة أحد جنوده كما هي مع داود، والآخر أن يكثر من النساء غير المؤمنات، وبعد ذلك يتبع عقيدتهن فيصبح مشركاً، فكيف يا ترى ستكون حال الناس، إذا كانت هذه حال الأنبياء؟؟!

ومن القصص المثيرة في "العهد القديم" تلك القصة التي وردت عن حب أمنون بن داود لأخته، وكيف أنه تمارض واحتال على أهله وأبيه حتى تمكن من أن يختلي بها ويضاجعها ويقضي وطره معها.

اليك أيها القارئ الكريم هذه الحكاية المثيرة التي يندى لها الجبين، وقد جاء النص على الوجه التالي: "وكان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها تامار، فكان بعد ذلك أنّ أمنون بن داود كلِف بها، وتدلّه أمنون حتى سقم في تامار أخته لأنها كانت عذراء، فكان يعسر عليه أن يصنع بها شيئاً. وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شِمّعَة أخي داود، وكان يوناداب رجلاً ذكياً جداً. فقال له مالي أراك يا ابن الملك تنحلّ يوماً فيوماً، ألا تخبرني؟ فقال له أمنون قد كلفت بتامار أخت أبشالوم أخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض فإذا أتاك أبوك ليعودك فقل له لتجيء تامار أختي

وتطعمني خبزاً وتعمل الطعام أمامي لأرى وآكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارض فأتاه الملك يعوده فقال أمنون للملك لتأتِ تامار أختي وتعمل أمامي كعكتين وآكل من يدها. فأرسل داود الى تامار الى البيت وقال لها انطلقي الى بيت أمنون أخيك واصنعي له طعاماً. فمضت تامار الى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع فأخذت دقيقاً وعجنت وعملت كعكاً أمامه وقَلَتِ الكعك. وأخذت الطاجن وسكبت أمامه فأبى أن يأكل وقال أمنون أخرجوا كل أحد من عندي فخرج كل أحد من عنده. فقال أمنون لتامار أدخلي الطعام الى المخدع فآكل من يدك فأخذت تامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها الى المخدع. وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال تعالي اضطجعي معي يا أُخيّة. فقالت لا تُذلّني يا أخي لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل فلا تفعل هذه الفاحشة. فأما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون من السفهاء في إسرائيل، والآن فكلم الملك فإنه لا يمنعني منك. فأبى أن يسمع لكلامها ولكن تمكن منها وغصبها وضاجعها" (1).

إن هذا النص يحوي قصة تعدُّ من أبشع قصص الجنس لو كانت اليوم، رغم كل ما ينتشر من فساد، لضجّت بها الأنباء، ولحاسبت عليها شرطة الأخلاق، فكيف يصح أن يكون بين ابن نبي وابنة نبي؟!. وهل في هذه القصة سوى التحريض على الفساد، وطرح الحكايات المشجعة على أبشع أنواع الموبقات؟! . . .

هذا قليل من كثير من القصص التي احتواها "العهد القديم" في هذا الباب، والتي تحمل كلها التهم للأنبياء أو لعائلاتهم، وهي قصص لا هدف منها، كما يظهر من قراءتها، سوى النيل من النبوة والأنبياء، يضاف الى ذلك التشجيع على المعصية والرذيلة، والحث على اتباع الشهوات والعمل على إشباعها دون ضوابط ولا قواعد حتى لو كان في المسألة مخالفة للشرع أو للقيم الأخلاقية في حدها الأدنى.

إن هذا المنهج الذي يتبعونه يقود الى تحلل أبناء المجتمع ممن يأخذون بهذه النصوص، لأن كل واحد منهم سيتحدث مع نفسه قائلاً: ما دام الأنبياء قد فعلوا مثل هذه المعاصي والفواحش، فلِمَ لا أفعل وأنا لست نبياً ولا ابن نبي؟ وإذا كان العهد القديم المقدس عند يهود يحوي هكذا نصوص فماذا ستضم سائر أدبياتهم يا ترى؟

صدق الله العظيم في قوله تعالى عنهم في الآية الكريمة: <<كَبُـرَتْ كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً>> (2).

(1) سفر التكوين، الاصحاح 19، الآيات من 30 حتى 38.

(1) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 11، الآيات من 1 حتى 18 و26 و 27.

(1) سفر الملوك الأول، الاصحاح 11، الآيات من 1 حتى 10.

(2) سورة الكهف، آية 5.

الصلاة عند يهود

ليست الصلاة عند يهود بغاية التقرب من الله فحسب، وإنما ترتبط الصلاة عندهم غالباً بالأحداث؛ أي أنها صلاة مرتبطة بظرف ما، أو بحدث ما، ولذا يصح القول إنها صلاة مرتبطة بظرف ما، أو بحدث ما، ولذا يصح القول إنها صلاة غائية تدفع اليها المصلحة.

فالصلاة عندهم غالباً "تنبع إنطلاقاً مما حدث، أو يحدث، أو لكي يحدث شيء ما، حتى يمنح الله خلاصه للأرض. فمضمون صلاة إسرائيل يحدِّد صلتاه بالتاريخ. والتاريخ المقدس، من جهته، مطبوع على الصلاة: المدهش أننا نلاحظ كيف تبدو الفترات الحاسمة من هذا التاريخ مقرونة بصلاة الوسطاء أو الشعب بأسره، إستناداً الى معرفة قصد الله، طلباً لتدخله في اللحظة الراهنة" (1).

أما بالنسبة لأدائهم للصلاة فكان منها ما هو فردي أي شخصي، ومنها ما هو صلاة جماعية يشترك فيها كثيرون ويقودها أحد الكهنة. "أما الفردية فهي صلوات إربتجالية من أفراد، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم. . . والصلاة المشتركة هي صلوات تُؤدّى باشتراك جملة أشخاص علناً وعموماً، في أمكنة مخصوصة ومواعيد معلومة، حسب طقوس وقوانين مقررة من رؤساء الدين والكهنة.

ولم توضع الصلوات الطقسية عند الإسرائيليين إلا بعد تأسيس أمكنة العبادة، كخيمة الاجتماع والهيكل" (2).

يوم كان موسى عليه السلام على طور سيناء بعد خروج بني إسرائيل بقيادته من مصر، وبعد أن ظهر فساد من وقمه أغضب الرب الذي أراد أن يعاقبهم على فعلهم، توجه موسى متوسطاً متضرعاً للرب، وبذلك كانت صلاة موسى من أجل ما سيحدث، وفيها يقول: "فتضرع موسى الى الرب إلهه وقال: يا رب لِمَ يضطرم غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. ولِمَ يقولون المصريون أنه أخرجهم من ههنا بكيدٍ لقتلِهِم فيما بين الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، إرجع عن شدة غضبك وعَدِّ عن مساءة شعبك. . . فعدّى الله عن المساءة التي قال إنه يُحلّها بشعبه" (1).

وتندرج صلاة إبراهيم من أجل خلاص أهل سدوم من الهلاك في الباب نفسه، فأهل سدوم، بلد لوط عليه السلام، معلوم ما الذي كانوا يفعلونه ويمارسونه من الشذوذ مما أغضب الرب عليهم، وقضى بهلاكهم، فتدخل إبراهيم بصلاته الشخصية – الفردية متضرعاً للرب كي يعفو عنها مهما كان عدد الصالحين فيهم: "فتقدم إبراهيم وقال: أتهلك البار مع الأثيم. إن وجد خمسون باراً في المدينة فأتهلكها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذين فيها. حاشَ لك أن تصنع مثل هذا، أن تهلك البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم، حاش لك، أديّان كل الأرض لا يدين بالعدل.. . فقال لا يثقل عند سيدي أن أتكلم هذه المرة فقط، إن وُجد ثم عشرة قال: لا أهلكهم من أجل العشرة. ومضى الرب عندما فرغ من الكلام مع إ[راهيم ورجع إبراهيم الى موضعه" (2).

هذا التضرع الذي وضعوه على لسان إبراهيم يحمل معاني الإساءة لله، ويظهر عقيدتهم الفاسدة، إذ أنه يحمل التشكيك بعدل الرب، وأنه موجود في مكان يتقدم فيه إبراهيم ليراجعه، ويثنيه عن قضائه، وبعد ذلك يمضي كلٌّ في طريقه. وهنا يحضر السؤال: أهي صلاة للرب أم أنها إساءة له وتشكيك بعدله؟!. . .

أما الصلاة الجماعية – المشتركة فمن أنواعها، التي ورد الحديث عنها في التوراة، تلك الصلاة التي كانت للبركة وأداها هارون وأولاده بعد بلاغ جاءه عبر موسى. ورد في سفر العدد: "وكلّم الرب موسى قائلاً: مُرْ هارون وبنيه وقل لهم كذا تباركون بني إسرائيل وتقولون لهم: يباركك الرب ويحفظك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه نحوك ويمنحك السلام. فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم" (1).

ويستفاد من نصوص أخرى أنهم كانوا يؤدون صلاة جماعية يبسطون فيها الأيدي للدعاء، ففي سفر نبوءة أشعيا: "فحين تبسطون أيديكم أحجب عينيّ عنكم، وإن أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم، لأن أيديكم مملوءة من الدماء. فاغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شر أعمالكم من أمام عيني وكفّوا عن الإساءة" (2).

إن الصلاة عند يهود تحتاج الى استعداد وتحضير حتى تؤدّى على وجهٍ صحيح، فاصلاة عندهم هي لقاء مع الرب، وكما لكل لقاء عدته كذلك اللقاء مع الرب يحتاج لأمور لا بد منها. جاء في سفر نبوءة عاموس: "إني لذلك أصنع بك هكذا يا إسرائيل، وبما أني أصنع بك هذا فاستعد للقاء إلهك يا إسرائيل" (1).

تحضيراً للصلاة التي هي لقاء مع الإله "كان الأتقياء والمتعبدون يصرفون نحو ساعة من الزمان استعداداً للصلاة، فيما يخصُّ النظافة واللبس وجمع الأفكار وما أشبه ذلك" (2).

والصلاة عند يهود – والجماعية منها خاصة – يشترك فيها جميع أفراد الشعب، وكثيراً ما تكون بشكل درامي يحمل الحسرة والألم، وفي ذلك تحريك لعاطفة تجاه هيكلهم الذي خُرِّب، وشعبهم الذي شُرِّد. فالصلاة عندهم "فريضة واجبة على النساء والرجال. . . وكانوا يصلُّون جلوساً ووقوفاً، يركعون، ويسجدون، ويبوقون، ويصوّتون، ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا" (3).

واتجاه الصلاة عندهم هو الى بيت المقدس حيث بنى سليمان الهيكل، وفي ذلك وردت نصوص صريحة. جاء في سفر الملوك الأول الآيات التالية:

"فكل صلاة وكل تضرع من أي إنسان كان من كل شعبك إسرائيل الذين يعرفون كل واحد وسوء قلبه فيبسط يديه نحو هذا البيت" (4).

"وإذا خرج شعبك الى الحرب على أعدائهم في الطريق الذي ترسلهم فيه، وصلُّوا الى الرب جهة المدينة التي اصطفيتها والبيت الذي بنيته لاسمك" (1).

وأقبلوا اليك بكل قلوبهم ونفوسهم في أرض أعدائهم الذين جلوهم وصلّوهم اليه جهة أرضهم التي أعطيتها لآبائهم والمدينة التي اصطفيتها والبيت الذي بنيته لاسمك" (2).

أما مواقيت الصلاة عند يهود ففي ثلاثة محددة على الوجه التالي:"

1- صلاة الفجر ويسمونها صلاة السحر (شحاريت)، ووقتها، حسب ما قرّرته المشنا، منذ أن يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأزرق الى ارتفاع عمود النهار.

2- صلاة نصف النهار أو القيلولة (مِنْحَه)، وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال الى ما قبل الغروب.

3- صلاة المساء، ويسمونها صلاة الغروب (عَربيتْ) ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق الى أن تتم ظلمة الليل الكاملة" (3).

لكن يهود يحددون للرجال لباساً مميزاً خاصاً يرتديه الواحد منهم عندما يريد تأدية الصلاة، أهم ما فيه الخيوط الزرقاء المتدلية من الشال، والأزرق كما نعلم هو لون الراية الإسرائيلية اليوم، وهو لون سقف القبة في هياكلهم.

عندما يريدون تأدية الصلاة. وبعد غسل اليدين "يُوضع الشال الصغير على الكتفين، أو الشال الكبير في الصلوات التي تتم جماعة في المعبد، كصلاة

السبت والأعياد. وهذا الشال يكون من نسيج أبيض مستطيل، أو مربع، وفي كل زاوية من زواياه حلية مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط أربعة بيضاء وأربعة زرقاء، رمزاً للتعرف على طلوع الفجر بتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق.

وهذا الأزرق مختلف فيه من حيث درجته في الزرقة. . . ولهذا الشال في طهارته أحكام خاصة أهمها أنه لا تلمسه النساء، وهكذا يخصص له موضع معلوم في المنزل، ويجب على اليهودي لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف بالعبادة، وهي ثلاث عشرة سنة، ويبقى عنده الى أن يموت فيكفن عادة فيه.

والصلاة اليهودية تجب فيها تغطية الرأس، وهي عموماً تقليد عندهم للتعبير عن الاحترام، إذا قرأوا في النصوص المقدسة، أو ذكروا اسم الله، أو قابلوا عظيماً من العظماء.
كذلك يلبسون التفلين، وهي عبارة عن علبة صغيرة من الخشب أو الجلد محفوظ بداخلها رقعة من رق الغزال أو الجلد مكتوب عليها؛ قراءة السماع (1). .. وهذه العلبة مثبتة في شريط من الجلد، ويجب وضعها، عند الصلاة، في وسط الجبهة بحيث يربط شريط الجلد حول الرأس وتوضع واحدة أخرى على الكف اليسرى يربط شريطها حول اليد، وتكون العلبة مثبتة عند أصل الإبهام. وإذا كان المصلّي أشول، أي يستعمل يده اليسرى وجب عليه أن يربطها على الكف اليمنى" (1).

وقد أخذ يهود مسألة موضع "التفلين" عند الصلاة من النص الذي ورد في سفر تثنية الاشتراع: "واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك" (2).

---

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 477.

(2) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 170.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 32، الآيات 11، 12، 14

(2) سفر التكوين، الإصحاح 18، الآيات 23، 24، 25، 32، 33.

(1) سفر العدد، الإصحاح 6، الآيات 22، 23، 24، 25، 26، 27.

(2) سفر نبوءة أشعيا، الإصحاح 1، آية 15، 16.

(1) سفر نبوءة عاموس، الإصحاح 4، آية 12.

(2) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 171.

(3) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 171.

(4) سفر الملوك الأول، الإصحاح 8 الآيات على التتابع هي: 38، 44، 48.

(1) نفس المرجع السابق.

(2) نفس المرجع السابق.

(3) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 181.

(1) نصوص السماع ثلاثة هي: أ) من سفر التثنية، الإصحاح 6، آية 4-9 "إسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمرك بها اليوم في قلبك. وكررها على بنيك وكلِّمهم بها إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وإذا قمت. واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين يمينك. واكتبها على عضائد أبواب بيتك وعلى أبوابك". ب) من سفر التثنية الإصحاح 11، آية 13-21 "فإن سمعتم لوصاياي التي أنا آمركم بها اليوم فأحببتم الرب إلهكم وعبدتموه بكل قلوبكم وبكل نفوسكم. آتيت أرضكم مطرها في أوانه وسْمياً ووليّاً فتجمع بُرَّك وخمرك وزيتك. وأنبت عشباً في صحرائك لبهائمك فتأكل أنت وتشبع. إحذروا أن تغوي قلوبكم فتضلوا وتعبدوا آلهة غريبة وتسجدوا لها. فيشتدد غضب الرب عليكم فيحبس السماء فلا يكون مطر والأرض ولا تخرج ألكلها فتبيدون بسرعة عن الأرض الصالحة التي يعطيكم الرب. فاجعلوا كلماتي هذه في قلوبكم وفي نفوسكم واعقدوها علامة على أيديكم ولتكن عصائب بين عيونكم. وعلِّموها بينكم وتدارسوها إذا جلستم في بيوتكم وإذا مشيتم في الطريق وإذا نمتم وإذا قمتم. واكتبوها على عضائد أبواب بيوتكم وعلى أبوابكم. لكي تطول أيامكم وأيام بنيكم على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ما دامت السماء على الأرض". ج) من سفر العدد، الإصحاح 15، آية 37-41: "وكلم الرب موسى قائلاً: مُر بني إسرائيل وقل لهم ليصنعوا لهم أهداباً على أذيال ثيابهم مدى أجيالهم، ويجعلوا على أهداب الذيل سِلْك سمنجونيّ. فيكون ذلك لكم هُدباً فترونه وتذكرون جميع وصايا الرب وتعملون بها ولا تهيمون باتباع قلوبكم وعيونكم التي أنتم فاجرون باتباعها. لكي تتذكروا وتعملوا بجميع وصاياي وتكونوا مقدسين لإلهكم. أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً أنا الرب إلهكم".

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 181، 182، 183.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 6، آية 8.

الصوم عند يهود

الصوم عبادة فيها تعبير عن التزام بطاعة الله، وطلب القرب منه، أو العون منه، هكذا يفهمونها، والصوم عندهم قد يؤديه بعض الأتقياء منهم بمفردهم، وقد يؤدونه جماعة في موقف أو في مناسبات معينة.

عند يهود هناك الصوم الكبير في يوم الكفارة، وهو محدد، كما جاء في سفر الأحبار أو اللاويين بالنص التالي: "أما العاشر في الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذللون فيه نفوسكم وتقرِّبون وقيدة للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً لأنه يوم كفارة يُكفّر فيه عنكم بين يدي الرب إلهكم. فكل إنسان لا يذلل نفسه في هذا اليوم عينه يقطع من شعبه" (1).

ويوم الكفارة هذا هو يوم ناجة موسى مع قومه بني إسرائيل من فرعون في البحر، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذا اليوم: "هو يوم صوم واتضاع وتكفير عن خطايا الأمة. . . وكان العبرانيون يمتنعون فيه عن أي عمل وكانوا يجتمعون في احتفال مقدس يصومون في أثنائه. وكان هذا هو الصوم الوحيد المطلوب منهم حسب الناموس" (2).

لكن الصوم ضرورة بشكل عام لأنه "لما كان الإنسان نفساً وجسداً، كان من العبث أن نتصور ديانة روحية محضة. إن النفس، لكي تلتزم بشيء ما، تحتاج أفعال الجسد وأوضاعه الخارجية. فالصوم المصحوب دائماً بصلاة التضرع إنما يعبِّر عن تواضع الإنسان أمام الله" (1).

إن الصائم يتجه نحو الرب في وضع تبعية واستسلام وطاعة يقبل فيها الصائم عملاً شاقاً لإذلال النفس تقرباً الى الخالق، وكثيراً ما اعتمدوا الصوم عبادة قبل خوض معركة تكون فيها أوضاعهم صعبة. من هذا القبيل كان صومهم يوم فتك بنو بنيامين ببني إسرائيل. جاء في سفر القضاة: "فصعد بنو إسرائيل، الشعب كله، وأتوا بيت إيل وبكوا وأقاموا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم الى المساء وأصعدوا محرقات وذبائح سلامةٍ أمام الرب" (2).

وقد يستخدم الصوم تكفيراً من الصائم عن خطأ أو إثم وقع فيه، ومن هذا النوع من الصوم صوم أحآب: "فلما سمع أحآب هذا الكلام مزق ثيابه وجعل على بدنه مسحاً وصام وبات في المسح (3) ومشى ناكساً" (4).

ومن أنواع الصوم عندهم ما يكون في إطار طلب شفاء مريض من الرب؛ أي صوماً هادفاً، فإذا ما تعذر الشفاء أو حصل الموت فلا داعي عندها للصوم. جاء من هذا القبيل صوم داود طلباً لشفاء ولد مريض. "فتضرع داود الى الله من أجل الولد وصام داود وبات مضطجعاً على الأرض.. . فقال لما كان الصبي حياً صمت وبكيت لأني قلت من يعلم لعل الرب يرحمني ويحيا الصبي. وأما الآن فقد مات، فلماذا أصوم أفأستطيع أن أرده بعد، أنا أصير اليه وهو لا يرجع إليّ" (1).

وقد يكون الصوم تعبيراً عن الحزن، متلازماً معه، بعد دفن أحد الأشخاص، ففي سفر صموئيل الأول: "وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة التي في يابيتش وصاموا سبعة أيام" (2).

وارتبط الصوم عندهم بواقعهم السياسي، فكانوا يعمدون الى الصوم عندما يصابون بنكبة أو خسارة عسكرية. في سفر صموئيل الأول: "فاجتمعوا الى المصفاة واستقوا ماءً وصبُّوا أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك قد خطئنا الى الرب وقضى صموئيل لبني إسرائيل في المصفاة" (3).

يتضح مما تقدم أن للصوم أسباباً ودوافع متنوعة، "إلا أن الأمر، في جميع هذه الأحوال، يتعلق بوضع الذات بإيمان في موقف، لحمته وسداه التواضع، لتقبّل عمل الله، والوقوف بين يديه" (4)، لذلك نرى أن موسى عليه السلام قد صام عندما كان على طور سيناء طيلة الأيام الأربعين التي كان فيها بين يدي الله. "وأقام هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين ليلةً لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً فكتب على اللوحين كلام العهد الكلمات العشر" (1).

---

(1) سفر الأحبار، الإصحاح 23، آية 27، 28، 29.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 782.

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 488.

(2) سفر القضاة، الإصحاح 20، آية 26.

(3) مسح البدن بالزيت وكان ذلك عادة يهودية.

(4) سفر الملوك الأول، الإصحاح 21، آية 27.

(1) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 12، الآيات 16، 21، 22.

(2) سفر صموئيل الأول، الإصحاح 31، آية 13.

(3) سفر صموئيل الأول، الإصحاح 7، آية 6.

(4) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 488.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 34، آية 28.

متفرقات من شريعة يهود
من خلال نصوص العهد القديم

يهود يتلاعبون بشريعتهم نصوصاً وتفسيراً وتطبيقاً، لأنه أمام المصلحة عندهم تهون كل الأمور، وكثيراً ما تحل عندهم الإباحات والانحرافات بديلاً عن الشريعة الأصلية.

ومن نماذج التلاعب عندهم والاستهانة بشرعهم، ما حصل منهم حيال الفرس بعد السبي، حيث حصل أن منعهم الفرس "عن الختانة، وكثيراً ما منعوهم عن الصلاة، لمعرفتهم أن معظم صلوات هذه الطائفة، دعاء على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان.

فلما رأت اليهود الجدّ من الفرس، في منعهم من الصلاة، اخترعوا أدعية، مزجوا بها فصولاً من صلاتهم، وسمّوها (الخزانة) وصاغوا لها ألحاناً عديدة، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها.

والفرق بين هذه (الخزانة) وبين الصلاة، أن الصلاة بغير لحن. . . ومن المعجب أن دولة الإسلام، لما جاءت مقرّة للذمة على أديانها، وصارت الصلاة مباحة لهم، صارت (الخزانة) عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح، يجعلونها عوضاً عن الصلاة، ويستغنون بها عنها، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك" (1).

إن ذكر هذه الواقعة يعطينا فكرة عن مدى احترام يهود لشريعتهم، ورغم علمنا أنهم لا يحكمون نصوصهم إلا إذا كانت تخدم مشروعهم ومصالحهم المادية، إلا أن سرد بعض أحكام شريعتهم مفيد في إطار أخذ فكرة، ولو محدودة، عما عندهم، لأن ذلك يطلعنا على أسس تكوين الشخصية

اليهودية دينياً، وعلى الخلفيات العقيدية والفكرية التي تلعب دوراً في حركة يهود ونظرتهم للأمور.

سنتناول في هذا العرض الأمور التالية:

أ) الطهارة:

الإنسان وحدة جسمية – روحية، والعبادات مهما كانت روحية لكن الإنسان أثناءها يكون متجسداً، لذلك لا بد من طهارة الجسد مع طهارة الروح. وقد "كان لموضوع الطهارة والنجاسة شأن في الشريعة اليهودية والمجتمع اليهودي على أساس أن طبيعة القداسة التي يتّصف بها الله ترفض وتنبذ ما هو غير قدوس، أي غير طاهر" (2).

هناك نصوص في العهد القديم جاءت تأمر بالطهارة صراحة من خلال غسل بعض الأعضاء قبل مباشرة الأعمال التعبدّية، من ذلك "وكلّم الرب موسى قائلاً: اصنع مغتسلاً من نحاس مقعده من نحاس للغُسل واجعله بين خباء المحْضر والمذبح واجعل فيه ماءً، فيغسل هارون وبنوه منه أيديهم وأرجلهم. إذا دخلوا خِباء المحضر فليغسلوا بماء لئلا يموتوا، وإذا تقدموا الى المذبح ليخدموا ويُقتِروا وقيدة للرب.

فليغسلوا أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا، يكون ذلك لهم رسم الدهر له ولنسله مدى أجيالهم" (1).

والطهارة تستلزم عزل من ليس بطاهر، وأن لا يشترك مع الجماعة بعمل قبل أن يتطهر بالاغتسال، وقد جاء نص حول هذا الأمر فيه: "إذا كان فيكم رجل ليس بطاهر من عارض الليل، فليخرج الى خارج المحلة ولا يدخل داخلها. وعند إقبال الليل يغتسل بالماء وعند غروب الشمس يدخل داخل المحلة" (2).

والجنابة التي تحصل بمواقعة الرجل لزوجته هي نجاسة تستلزم الطهر، ويتم ذلك بغسل البدن كاملاً بالماء من قبل كل من الرجل والمرأة. وفي موضوع الاغتسال من الجنابة جاء عندهم: "وأي رجل خرجت منه نطفة مضاجعة فليغسل جميع بدنه بالماء ويكون نجساً الى المغيب. وأي امرأة ضاجعها رجل بنطفة فليرتحضا بالماء ويكونا نجسين الى المغيب" (3).

ب) القرابين:

الإنسان يحتاج الى الطهارة بجانبيها الجسدي والروحي، وبالنسبة للطهارة الروحية فإنها تتمّ بالعبادات كالصلاة والصوم، أو بالتوبة عن الفعل الخطأ، أو بتقديم ما فيه تكفير عن خطيئة أو إثم مقترف.

والقرابين باتت، مع موسى، محددة ومنظمة في نصوص صريحة من العهد القديم. والمعلوم أنه "لما قام موسى وضع نظاماً دقيقاً ومفصلاً للقرابين، وحصر تقديم الذبائح في الكهنة يعاونهم اللاويون في بعض الأمور. وكانوا يعبِّرون بالقرابين عن التوبة والاعتراف والكفارة والتكريس والشكر على السلامة أو النجاح وغير ذلك.

. . . وكانت القرابين تقدم من الحيوانات المستأنسة الطاهرة والحبوب وبعض السوائل الزراعية" (1).

فبالنسبة للحيوانات التي تحلُّ لحومها جاء الأمر بتقديم قربان منها صريحاً، ويكون القربان إما ثوراً فتياً (عجلاً) من البقر، أو خروفاً ابن حول (عام) من الغنم، ومن كان فقيراً ولا يستطيع ذلك فيقدم زوجاً من الحمام أو اليمام.

"وإن كان قربانه ذبيحة سلامةٍ من البقر ذكر أو أنثى فصحيحاً يقرِّبه بين يدي الرب. وإن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامةٍ للرب ذكراً أو أنثى فصحيحاً يقربه. وإن كان قربانه حملاً فيلقرِّبه بين يدي الرب. وإن كان قربانه من المعز فليقربه بين يدي الرب" (2).

والبديل في حال عدم توفر الإمكانات اللازمة لقربان من البقر أو الغنم أو المعز هو: "فإن لم يكن في يدها ثمن حملٍ فلتأخذ يمامتين أو فرخي حمام أحدهما مُحْرَقة والآخر ذبيحة خطاءٍ فيكفِّر عنها الكاهن فتطْهر" (3).

أما قربان الحبوب وسوائل المزروعات، التي تصنع منها الأشربة، فمن الواجب أن يقدم منها باكورتها. "باكورة بيدرك ومعصرتك لا تؤخرها، والبكر من بيتك تجعله لي" (1).

لكن تنفيذ القرابين والنذور لا يكون في أي مكان يختاره الشخص، وإنما يجب أن يكون في الهيكل وبيوت العبادة حيث يوجد مكان خاص لذلك هو المذبح. وقد جاء في سفر تثنية الاشتراع: "لا يجوز لك أن تأكل في مدنك أعشار بُرِّك وعصيرك وزيتك، ولا أبكار بقرك وغنمك، ولا شيئاً من نذورك التي تنذرها وتطوعاتك وتقدمة يديك. ولكن أمام الرب إلهك تأكلها في الموضع الذي يختاره الرب أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي الذي في مدنك، وتفرح أمام الرب إلهك بما امتدت اليه يدك" (2).

يبقى أن تقول في هذا الموضوع إن الزيت كانت من أفخر القرابين، وكان يستخدم في المسح على الأجساد عند تنصيب الملوك أو الكهنة، وقد درج عند يهود العودة من السبي في فترة ازداد فيها نفوذ الكهنة الذين زعموا أنهم بهذا المسح يمنحون للممسوح البركة.

وقد جاء في معجم اللاهوت الكتابي؛ "وإذا كان الزيت علامة البركة الإلهية، فشجرة الزيتون الخضراء رمز للصالح المبارك من قبل الله.. . ورمز للحكمة الإلهية التي تكشف في الناموس طريق البر والسعادة.. . أما الزيتونتان اللتان تمدّان بزيتهما المنارة ذات الفروع السبعة.. . فهما تمثلان ابني الزيت مسيحيْ الله، الملك ورئيس الكهنة، اللذين عهد الله اليهما بتنوير الشعب وتوجيهه الى طريق الخلاص" (1).

ولعل العودة الى نص واحد من سفر الأحبار (اللاويين) تبيّن لنا أهمية الزيت في التقديمات والقرابين، ويتضح ذلك من تكرار الأمر باستخدام الزيت في غير حالة، "وأي إنسان قرّب قربان تقدمةٍ للرب فليكن قربانه سميذاً يصبّ عليه زيتاً ويجعل عليه لبناً. ويأتي بذلك بني هارون الكهنة، فيأخذ الكاهن ملء قبضةٍ من سميذها وزيتها مع جميع لبانها ويقتِّر تذكارها على المذبح وقيدة رائحة رضىً للرب. وإن قربت قربان تقدمة مخبوزاً في تنور فليكن جرادق من سميذ فطير ملتوتةً بزيت ورقاق فطير ممسوحة بزيت. وإن كان قربانك تقدمة على طاجن فليكن فطيراً من سميذ ملتوتاً بزيت. وفتّه فتاتاً وصبّ عليه زيتاً إنه تقدمة. وإن كان قربانك تقدمة من الشواء فاعمله سميذاً بزيت" (2).

إن تكرار كلمة الزيت، في هذا النص، توضح موقعه في التقديس، وما صب الزيت عندهم على شخص أو مكان إلا لتكريسع للرب، لإضفاء مسحة البركة عليه.

ت) الختان:

الختان، وهو قطع لحم غرلة الذكر، كان معروفاً عند بعض الشعوب، ووفق نصوص العهد القديم كان أول من اختتن إبراهيم عليه السلام ومعه ابنه اسماعيل وسائر الذكور في بيته.

جاء الأمر لإبراهيم عليه السلام بأن يمارس الختن فماذا فعل؟ "فأخذ ابراهيم إسماعيل ابنه وجميع موالي بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من أهل منزله فختن القُلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة عند ختنه لحم قُلفته. وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختنت القلفة من بدنه. في عين ذلك اليوم اختتن إبراهيم واسماعيل ابنه. وكل رجال منزله مواليد بيته والمشترين بالفضة من الغرباء اختتنوا معه" (1).

والختان عند يهد رتبة طقسية لها معنى ديني، لأنهم يختتنون بناءً لأمر الله، والختان هو "العلامة الجسدية للعهد، التي يجب على كل إسرائيلي ذكراً أن يحملها في جسده، منذ اليوم الثامن لولادته.. . وهو الشرط الذي

لا بد منه لإمكان الاحتفال بالفصح، حيث يعلن بنو إسرائيل أنهم شعب مختار. .. " (2).

الختان إعلان للالتزام بالعهد مع الرب الذي كان لأول مرة مع إبراهيم عليه السلام، ومن لا يلتزمه يقطع من شعبه، ولا يعد من يهود. وقد جاء النص في سفر التكوين واضحاً صريحاً حول هذا الأمر: "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن كل ذكر منكم. فتختنون القُلْفة من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم. وابن ثمانية أيام يُختن كل ذكر منكم مدى أجيالكم المولود في منازلكم والمشتري بفضة من كل غريب ليس من نسلكم. يختن المولود في بيتك والمشتري بفضتك فيكون عهدي في أبدانكم عهداً مؤيداً. وأي أقلف من الذكور لم تُختن القُلْفة من بدنه تقطع تلك النفس من شعبها إذ قد نقض عهدي" (1).

إذن، الختان فرض لا مناص منه، لا تتأكد يهودية شخص إلا بعد إتمامه، ولا يحق له أن يشارك في الاحتفال بالفصح إلا إذا كان مختوناً، وإلا عُدّ مفصولاً من شعبه، ويكون قد نقض العهد المقطوع لبني إسرائيل من الرب لإبراهيم عليه السلام.

والختان أمر ماضٍ في أمة يهود، "ولا يزال اليهود المعاصرون يمارسون هذه السنّة بكامل طقوسها، فيأتون بالولد الى المجمع فيأخذه رجل يدعى سيّد العهد ثم يأتي الخاتن ويجري عملية الختان مع بعض الطقوس والمراسيم" (2).

ث) الموقف من الدم والذبائح ولحم الخنزير:

الدم هو الحياة لذلك يحمل طابعاً قدسياً عند يهود، ولذلك عُدّ من أعمال التكفير الهامة، ومن أساليب تقديم القرابين من الذبائح أن يراق دم الذبيحة فيصب قسم منه على المذبح، والقسم الآخر يرش على الشعب بقصد البركة.

ولأن الدم هو الحياة، لذلك حرمت الشريعة الموسوية أكل الدم المسفوح من المواشي عند ذبحها، وقد ورد في سفر الأحبار (اللاويين): "لأن نفس الجسد هي في الدم ولذلك جعلته لكم على المذبح ليكفر به عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفس. لذلك قلت لبني إسرائيل لا يأكل أحد منكم دماً والغريب الدخيل فيما بينكم لا يأكل دماً. وأي رجل من بني إسرائيل ومن الغرباء الدخلاء فيما بينكم صاد صيداً من الوحش أو الطير اللذين يؤكلان فليرق دمه ويغطّه بالتراب" (1).

ويأتي الأمر صريحاً بيِّناً عن تحريم الدم في أكثر من نص من العهد القديم منها: "ولكن لحماً بدمه لا تأكلون" (2). "وأما الدم فلا تأكله بل أرقْه على الأرض كالماء" (3).

لكن الدم المحرم أكله له "أهمية كبرى في طقوس التكفير لأن الدم مكفر عن النفس. . . ينضحه الكهنة بالرش وفي يوم الغفران بنوع خاص، يدخل عظيم الأحبار قدس الأقداس بدم الضحايا المقدمة عن خطاياه وخطايا الشعب" (4).

الدم حرام أكله لكنه سبيل لتكفير الخطايا – كما ذكرنا – أمام الرب: "وإن سهت جماعة إسرائيل كلها وخفي الأمر على عيون المجمع وعملوا واحدة مما نهى الرب عن فعله وأثموا. ثم عرفت الخطيئة التي خطئوها فليقرب المجمع عجلاً من البقر ذبيحة خطاءٍ يأتون به الى قدّام خباء المحضر. ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس العجل قدّام الرب ويذبح العجل بين يدي الرب. ويأخذ الكاهن الممسوح من دم العجل الى خباء المحضر. ويغمس الكاهن إصبعه فيه وينضح منه سبع مرات أمام الرب قبالة الحجاب" (5).

لكن مع تحريم الدم المسفوح من الحيوانات يجب أن نعلم بأن الشريعة الموسوية لم تحلّ أكل الحيوانات كافة، وإنما حرمت أكل كل حيوان لا يكون ظفره مشقوقاً، وكذلك حرّمت كل حيوان غير مجتر. جاء في سفر الأحبار (اللاويين): "كل حيوان ذي ظفر غير مشقوق، وكل ما لا يجتر فهو نجس لكم، كل من مسّه يكون نجساً" (1).
لكنهم يحرمون أيضاً من الحيوانات المجترة الأرنب لأن ظفره غير مشقوق: "والأرنب فإنه يجتر ولكنه غير مشقوق الظفر فهو رجس لكم" (2).

والتحريم المغلّظ في الشريعة الموسوية، هو تحريم أكل لحم الخنزير وقد جاء في سفر الأحبار: "والخنزير فإنه ذو ظفر مشقوق ولكنه لا يجترٌّ فهو رجس لكم. لا تأكلوا شيئاً من لحمها وميتتها ولا تمسّوا فإنها نجسة لكم" (3).

وكانوا يعدون لحم الخنزير قذراً لذلك لا يجوز أكله ولا لمسه، "وكان رعي الخنازير من أحطِّ المهن وأدناها، لا يقربها إلا الفقراء المعدمون" (4).

وقد جرّ تحريم لحم الخنزير عند يهود عليهم نوعاً من الامتحان في الدين، حيث كانت الأمم، التي تغزوهم، أو تسيطر على مناطق سكنهم وتريد تحييدهم عن شريعتهم، تمتحنهم بأن تطلب منهم أكل لحم الخنزير فإن فعلوا تأكدت من أنهم قد هجروا الشريعة الموسوية. "وفي عصر أنتخيوس أبيفانس كانوا يأمرون اليهود بأكل لحم الخنزير للتأكد من عدم بقائهم على دينهم القديم، أو الولاء لدين غزاتهم وحكامهم" (1).

ومن النصوص التي تفيد تعرضهم للامتحان في العهد القديم ما جاء في سفر المكابيين الأول: "ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة" (2).

وفي سفر المكابيين الثاني: "كان رجل يقال له ألعازار، من متقدمي الكتبة، طاعن في السنّ رائع المنظر في الغاية فأكرهوه بفتح فيه على أكل لحم الخنزير" (3).

ج) الوصايا والقصاص وبعض المحرمات:

إن العماد الأساسي للشريعة الموسوية هو تلك الوصايا التي هي أوامر ونواهٍ حملها الخطاب الإلهي الى موسى عليه السلام يوم وقوفه على طور سيناء، بعد الخروج مع بني إسرائيل من مصر ومرحلة التيه في الصحراء. وهذه الوصايا أساس في الشريعة الموسوية، لكن يهود، من جملة تلاعبهم بشرائعهم، عدُّها خاصة، وأنها لتنظيم العلاقات بينهم، وبالمقابل فإن الواحد منهم غير ملزم بالتقيُّد بها في حال تعامله مع غير يهود.

هذه الوصايا جاءت في سفر الخروج على الشكل التالي: "لا يكن لك آلهة آخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيءٍ مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض. . . لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يزكي من يحلف باسمه باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدسّه . . . أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزنِ. لا تسرقْ. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشتهِ بيت قريبك، لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك" (1).

هذه الوصايا تشكل قواعد أساسية لأحكام الشريعة الموسوية، وهي، ما عدا الأولى والثانية، تشكل نواهياً تتعلق بالسلوك وبانتظام العلاقات بين أبناء المجتمع. والخروج عن هذه الأحكام يعرِّض المخالف للقصاص الذي يقوم على قاعدة المثل.

فالقصاص الذي يُوقَع بمن أتى فعل أذىً لغيره يجب أن يكون رداً مماثلاً للضررِ الحاصل، وهذا ما حدّده النص التالي من سفر الخروج: "وإن تأتّى ضررٌ تُبيء نفساً بنفس. وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجْلاً برجْل. وكيّاً بكيٍّ وجراحةً بجراحة ورضّاً برض" (2).

وكذلك يحرِّم يهود الربا لكن فيما بينهم؛ أي أنه ممنوع على يهودي أن يستوفي ربا من يهودي آخر، لكن ذلك حكماً لا يتم تطبيقه مع غير اليهودي، لأن الأغيار (الغوييم) ليسوا معتبرين من شعب الله، كما يزعم

يهود. وقد جاء نص التوراة واضحاً في هذا الباب: "إذا أقرضت فضة لفقير من شعبي ممن عندك فلا تكن له كالمرابي ولا تقيموا على ربىً" (1).

وهناك نص آخر يظهر لنا بوضوح كيف تبيح الشريعة الموسوية ليهود أن يقرضوا من سواهم بربىً، شرط ألا يعتمدون بينهم. فقد جاء في سفر التثنية ما يلي: "لا تقرض أخاك بربىً في فضةٍ أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بالربى. بل الأجنبي إياه تقرض بالربى وأخاك لا تقرضه بالربى لكي يبارك الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها" (2).

أما بالنسبة للربى فلا مناص من العقاب بسببه، والعقوبة تقع على الطرفين معاً، لأنهما اشتركا في فعل الفاحشة، وعقوبة الزنى هي القتل، والأمر نفسه عندهم ينطبق على الشاذين ممن يؤتون الرجال شهوة دون النساء، فالقتل يقع على الفاعل والمفعول به، وكذا الأمر بالنسبة لمن قضى شهوته ببهيمة فالقتل نصيبهما معاً.

النص بعقوبة القتل للزاني واضح بيِّن وفيه: "وأيُّ رجل زنى بامرأة إن زنى بامرأة قريبة فليقتل الزاني والزانية. وإن ضاجع أحد زوجة أبيه فقد كشف سوءة أبيه فليقتلا كلاهما دمهما عليهما. وإن ضاجع أحد كنّته فليقتلا كلاهما إنهما صنعا فاحشة دمهما عليهما. وإن ضاجع أحد ذكراً مضاجعة النساء فقد صنعا كلاهما رجساً فليقتلا دمهما عليهما. وإن اتخذ امرأة وأمها فتلك فاحشة فليحرق هو هما بالنار ولا تكن فاحشة فيما بينكم. وإن غشي رجل بهيمة قتلاً والبهيمة أيضاً فاقتلوها. وإن تقدمت امرأة الى بهيمة لتنزوها فاقتل المرأة والبهيمة إنهما تقتلان قتلاً دمهما عليهما" (1).

إن تحليل مضمون النص الآنف الذكر، يبيِّن لنا أن من زنى باامرأة قريبة يقتل وإياها، ولم يقل ما حكم من زنى بغريبة عنه، فهل ذاك مباح عندهم؟ ويتبين لنا من النص أنواع المحارم وهم أم الزوجة، وزوجة الأب، وزوجة الابن.

يضاف الى المحرمات السابقة تحريم الرشوة تحريماً مغلظاً، ويصورها النص التوراتي على أنها مجلبة للفساد، ويتأتى منها غضب يورث العمى. جاء في تحريم الرشوة: "لا تأخذ رشوة فإن الرِّشى تعمي البصراء وتفسد أقوال الأبرار" (2).

هذه بعض الأحكام التي وجدتُ من المفيد إبرازها ليكوِّن القارئ فكرة، ولو بحدود معينة، عن الشريعة الموسوية كما هي بين أيديهم اليوم، وفائدة ذلك، إضافة الى الناحية المعرفية، أن معرفة هذه الأحكام المنصوص عليها تظره لنا مدى التلاعب بالشريعة عند يهود، وتظهر لنا مدى استهتارهم

بأحكام شريعتهم فهم يخالفونها، وما هي بالنسبة لهم إلا نصوصاً يقرأونها ولا يلتزمونها.

---

(1) المغربي، السموأل بن يحيى، م. س.، ص 145.

(2) شنودة، زكي، م. س.، ص 200.

(1) سفر الخروج، الاصحاح 30، الآيات من 17حتى 21.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 23، آية 10، 11.

(3) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 15، آية 16، 17، 18.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 721.

(2) سفر الأحبار، الإصحاح 3، الآيات 1، 6، 7، 12.

(3) سفر الأحبار، الإصحاح 12، آية 8.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 22، آية 29.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 12، آية 17، 18.

(1) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 405، 406.

(2) سفر الأحبار، الإصحاح 2، الآيات 1، 2، 5،4، 6، 7.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 17، الآيات 23، 24، 25، 26، 27.

(2) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 297.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 17، الآيات 10، 11، 12، 13، 14.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 338.

(1) سفر الأحبار، الإصحاح 17، الآيات 11، 12، 13.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 9، آية 4.

(3) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 12، آية 16.

(4) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 342، 343.

(5) سفر الأحبار، الإصحاح 4، الآيات 13، 14، 15، 16، 17.

(1) سفر الأحبار، الإصحاح 11، آية 36.

(2) سفر الأحبار، الإصحاح 11، آية 6.

(3) سفر الأحبار، الإصحاح 11، آية 7، 8.

(4) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 350.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 350.

(2) سفر المكابيين الأول، الإصحاح 1، آية 50.

(3) سفر المكابيين الثاني، الإصحاح 6، آية 18.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 20، الآيات 3، 4، 7، 8، 12، 13، 14، 15، 16، 17.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 21، الآيات 23، 24، 25.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 22، آية 25.
(2) سفر التثنية، الإصحاح 23، آية 19، 20.

(1) سفر الأحبار، الإصحاح 20، الآيات من 10 الى 16.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 23، آية 8.

الفصل السابع
المرأة عند يهود
من خلال "العهد القديم"

المرأة، في نصوص "العهد القديم"، تظهر في موقع دوني، وتصوّر على أنها رمز للخطيئة، وسبب للفساد، وتعود حكاية المرأة والوقوع في الخطيئة الى المرأة الأولى "حواء" التي كانت مع آدم عليهما السلام في جنة الخلد، فأغواها الشيطان الذي جاءها على هيئة حيّة، وهي بدورها أوقعت آدم في الخطيئة.

جاء تصوير ذلك في سفر التكوين على الشكل التالي: طوكانت الحية أحْيل جميع حيوان البرية الذي صنعه الرب الإله فقالت للمرأة أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا، إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخيرِ الشر. ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة منيةٌ للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل" (1).

إبليس جاء في شكل حية ونجح في إقناع حواء أن تأكل من شجرة وسط الجنة، وبذلك تكون قد مارست أول معصية تصدر من الآدميين حين خالفت أوامر الخالق، وأصغت لوسوسة الشيطان، وبعد أن عصت حملت آدم على أن يفعل كما فعلت. أُنبِّه هنا أن هذا المفهوم خاص بالعهد القديم أما الحقيقة فليست كذلك كما جاء في القرآن الكريم مما ليس مجال عرضه هنا.

وتبيّن نصوص التوراة، بأسلوب أكثر وضوحاً، مسؤولية المرأة في الوقوع في الخطيئة، ويأتي ذلك في إطار جواب آدم للرب حين السؤال عن سبب وقوع ما وقع. "فقال آدم: المرأة التي جعلها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ماذا فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحية أغوتني فأكلتُ" (1).

كان للمرأة عقاب بسبب تسرعها في المعصية بعد أن أغوتها الحية، وهذا العقاب هو في تخصيصها بالحمل والولادة وما يستتبعهما من آلام ومشقات، وفي إعطاء السيادة عليها للرجل، وجعلها خاضعة له. وقد جاء عندهم في سفر التكوين: "وقال للمرأة لأكثرنّ مشقات حملك بالألم تلدين البنين والى بعلك تنقاد أشواقك وهو يسود عليك" (2).

أما عن الزواج، وهو أمر لا تكتمل سنّة الحياة إلا به، فإن شريعة يهود، ومن باب النظرة الدونية للمرأة، تنص على أنه يتم على طريقة الشراء والبيع، أي أن الأب يبيع والزوج يشتري. من خلال استعراض حكاية زواج يعقوب من ابنتي خاله لابان وهما: راحيل وليئة، يتضح لنا هذا الأمر جلياً من خلال ما جاء على لسانهما في النص الآتي: "فأجابت راحيل وليئة وقالتا له: هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا. ألسنا عنده بمنزلة غرباء وقد باعنا وأكل ثمننا" (1).

ومن خلال الأوامر والنواهي التي جاءت لبني إسرائيل نجد عندهم نصوصاً تمنعهم من مصاهرة غير اليهود من أبناء الأمم الأخر، فالتزاوج يكون بينهم فقط. فقد جاء في سفر التثنية ما يلي: "وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر اليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيين والحوّيّن واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك. وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً، لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة. ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وانتبه لا تأخذها لابنك" (2).

هذه الشريعة ما زال معمولاً بها، لذلك نجد في أيامنا هذه، شكوى تُرفع دوماً في المؤتمرات الصهيونية العالمية ليهود الشتات، أي الموجودين خارج أرض فلسطين المحتلة، هذه الشكوى هي أن عدداً غير قليل من يهود الشتات (الدياسبورا) يتزوجون من غير اليهوديات مما يشكل خطراً على ثقافة أبنائهم التوراتية. بعض الفِرَق شرّعت، أو أنها تطبق، هذه الفكرة العنصرية اليهودية في الزواج فتمنع أبناءها من الزواج من غير أبناء فرقتهم، وإن فعلوا ذلك رموهم بالحُرْم وأبسلوهم، أي جعلوهم مقطوعين عن ملتهم مرفوضين فيها.

وتشجع شريعتهم على الزواج من الفتاة البكر، وتنهي عن الزواج من الأرملة، أو المطلقة، أو من كانت غير مستقيمة سابقاً، والأمر في ذلك بيّن من خلال النص التالي: "وبكراً من النساء فليتخذ. وأما الأرملة أو المطلقة أو المبذولة أو الفاجرة فتلك لا يتخذها بل امرأة بكراً من قومه فليتخذ" (1).

وقد كرس الشرع الموسوي، وفق ما ورد عندهم، قاعدة تفيد أن زوجة الأخ المتوفي تكون لأخيه من بعده؛ أي أنه إذا دخل رجل بامرأة وتوفي عنها بعد مدة، فهي بعد موته تكون لأخيه، خاصة إذا كان المتوفي لم يكن قد أنجب منها بعد أولاداً يخلفونه، ويحفظون ذكره.

من النصوص التي تفيد ذلك هذا النص: "إذا قام أخوان معاً ثم مات أحدهما وليس له عقب فلا تصير زوجة الميت الى خارج لرجل أجنبي بل أخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له ويقيم عقباً لأخيه. ويكون البكر الذي تلده منه هو الذي يخلف اسم أخيه الميت فلا يندرس اسمه من إسرائيل" (2).

وشريعتهم تبيح تعدد الزوجات وتعليل ذلك: "إن المطلب الأمثل للخصوبة، والاهتمام بضمان أسرة قوية، لمما يجعلان الرجل يشتهي أن يكون له أولاد كثيرون . . . الأمر الذي يدعوه بصورة عادية الى طلب تعدد الزوجات" (3).

ويكفي لتأييد ذلك أن نذكر بعض النصوص من العهد القديم التي يلاحظ اعتماد تعدد الزوجات تطبيقياً عند كثيرين بمن فيهم بعض الأنبياء. من هذه النصوص:

"وصار لجدعون سبعون ابناً خرجوا من صلبه لأنه تزوج نساءً كثيرة" (1).

"إذا كانت لرجل زوجتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له كلتاهما بنين المحبوبة والمروهة، وكان الابن البكر للمكروهة. ففي يوم توريثه لبنيه ما يكون له، ليس له أن يعطي حق البكرية لابن المحبوبة دون ابن المكروهة البكر" (2).

وكذلك زواج النبي إبراهيم عليه السلام من هاجر بإشارة من زوجته سارة: "فقالت ساراي لأبرام هوذا قد حبسني الرب عن الولادة فادخل على أمتي لعل بيتي يبنى منها فسمع أبرام لقول ساراي" (3).

والتعدد عندهم يستلزم حسن المعاملة للأولى فقد: "وإن تزوج بأخرى فلا ينقصها من طعامها وكسوتها وأوقاتها" (4).

تعدد الزوجات له شروط ثلاثة هي أن يعطي لكل زوجة حقها من الطعام واللباس وحظها من الوقت الذي يقضيه معها، وبعد إتمام ذلك لا يرون مشكلة في التعدد. لذلك نقلوا عن أنبيائهم أن عدّدوا لدرجة أن سليمان ضمّ في بيته مئات النساء وكذلك كان قد فعل أبوه داود عليهما السلام.

ويضيف يهود الى مبرراتهم للحطِّ من شأن المرأة والتطيّر منها، موقفهم منها في حال الحيض والنفاس، وهذا أمر بيولوجي وهو سنّة الله تعالى في خلقه، والمرأة ليست مسؤولة عنه، لكنهم يتجاوزون هذه الحقيقة وينظرون الى المرأة نظرة غير موضوعية، فيعدونها نجسة طوال فترة الحيض أو النفاس، ويأمرون باعتزالها، ويعدون كل ما تلمسه نجساً.

يقولون، من باب التطيُّر من المرأة أثناء الحيض: "وأي امرأة كان بها سيلان بأن يسيل دم من جسدها فلتُقِمْ سبعة أيام في طمثها، وكل من لمسها يكون نجساً الى المغيب. وجميع ما تضجع عليه في طمثها يكون نجساً، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من لمس مضجعها يغسل ثيابه ويرتحض بالماء ويكون نجساً الى المغيب. ومن لمس شيئاً مما تجلس عليه يغسل ثيابه ويرتحض بالماء ويكون نجساً الى المغيب" (1).

وحالة النفاس تستلزم عندهم الأمر نفسه، لكنهم من باب نظرتهم الدونية للمرأة تصبح عندهم مدة النفاس مضاعفة في حال إنجاب الأنثى، وتكون أربعين يوماً في حال أنجبت المرأة ذكراً.

جاء في سفر الأحبار (اللاويين): "وكلّم الرب موسى قائلاً. كلِّم بني إسرائيل وقل لهم أية امرأة حبلت فولدت ذكراً فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها. وثلاثة وثلاثين يوماً تقيم في دم تطهيرها لا تلامس شيئاً من الأقداس، ولا تدخل القدس حتى تتم أيام تطهيرها. فإن ولدت أنثى فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها وستة وستين يوماً تقيم في دم التطهير" (1).

وكما أن التعدد مباحٌ، عند يهود، كذلك يبيحون الطلاق، في حال حصل تنافر بين الزوجين لأمر اكتشفه الزوج في الزوجة بعد أن تزوجها. جاء عن إباحة الطلاق في سفر تثنية الاشتراع (التثنية): "إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً ثم لم تحظَ عنده لعَيْب أنكره عليها فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه الى يدها ويصرفها من بيته" (2).

المرأة ليست عند يهود، في مرتبة الرجل، بل هي دوماً في مرتبة تليه، ولا تتساوى معه حتى في حق أداء العبادات والشعائر الدينية، ولا تقوم بالخدمة الكهنونية، كما أن الحج مفروض على الرجال دون النساء عندهم، والمحافظة على قداسة يوم السبت لم يرد ذكر المرأة فيها.

ورد في معجم اللاهوت الكتابي: "وإن كان وصف العهد القديم للمرأة لا يخلو من الجمال، فإنه لا يضفي على المرأة كرامتها السامية. وهذا ما تظهره الصلاة اليومية التي يتلوها اليهودي حتى اليوم بكل بساطة: مبارك أنت يا ربّ لأنك لم تجعلني لا وثنياً ولا امرأة ولا جاهلاً. بينما المرأة تكتفي بقولها: مبارك أنت يا رب الذي خلقتني حسب مشيئتك" (3).

ليس هذا الموقف مستغرباً، لأنه، كما ذكرنا سابقا، نظر يهود الى المرأة على أنها مصدر غواية لآدم، ومسبب الوقوع في الخطيئة، ويترتب على ذلك، حكماً، أنهم سيجعلونها دون الرجل مكانة.

ولا يجد يهود حرجاً من تسخير المرأة تحقيقاً لأغراضهم، فالمسألة عندهم تقوم على قاعدة: الغاية تبرر الوسيلة، ولذلك تراهم، تحقيقاً لغاية العودة الى القدس بعد السبي، لم يروا مانعاً من تقديم "أستير" لملك الفرس من أجل أن تكون وسيلة لإنقاذ قومها.

من خلال قراءة التاريخ اليهودي "نرى أستير تبذل جهداً ووقتاً وتضحِّي بكرامتها أيضاً كي تصل الى خدمة أبناء جلدتها، فقد اقتنع ملك الفرس

أحشويروش بضرورة قتل اليهود بفارس لأنهم قوم صلاب عنيدون يتمسكون، أينما كانوا، بشرائعهم، ويستغلّون من هم في جوارهم، فتدخل اليهودي مردخال مستغلاً خلاف الملك مع زوجته، وقدّم له أستير زوجة بديلة، والتي بدورها أنقذت قومها بعد أن قرر ملك فارس معاقبة العديد منهم" (1).

حكاية أستير أرّخ لها يهود بالتفصيل في سفر في العهد القديم هو سفر "أستير"، وملخص القصة أن الملك الفارسي "أحشويروش" غضب من زوجته "وشتي" لأنها عصت أمره عندما طلب اليها الحضور الى حفل عنده، فما كان منه، وبعد استشارات موسعة، إلا أن طلقها، وطلب أن تعرض عليه الجواري الحِسان في المملكة ليختار إحداهن، ولما سمع مردخاي اليهودي بالقصة سارع في تقديم ربيبته "أستير"، التي فقدت أبويها، وقام هو بترتبيتها والاعتناء بها، وكانت فتاة جميلة أعجبت "أحشويروش" ففضّلها على سواها وتزوجها.

جاء عن تفضيل الملك لها في سفر أستير: "فأخذت أستير الى الملك أحشويروش في دار ملكه في الشهر العاشر، الذي هو شهر طيبت، في السنة السابعة من ملكه. فأحب الملك أستير على جميع النساء ونالت حظوة ورحمة في عينيه أكثر من جميع العذارى، فوضع تاج الملك على رأسها وجعلها ملكه مكان وشتي" (1).

وكان هامان وزير أحشويروش يعرف تماماً يهود وعدوانيتهم لذلك قرر معاقبتهم، وفي هذا الوقت كانت أستير قد أمالت قلب الملك ولم تعلمه من أي قوم هي بناء لإرشادات مردخاي، لكن هذه المرة كان لا بد من أن تتوسط لقومها مع زوجها الملك، وكان لها ما أرادت حيث حلّت النقمة والعقوبة على الوزير هامان وحلّ الرضى على يهود فأُعطوا حرية العدوان على سواهم، وبعد ذلك العودة الى القدس.

نذكر من النصوص التي تفيد ذلك ما يلي: "فقال الملك أحشويروش لاستير الملكة ولمردكاي اليهودي هاءنذا قد أعطيت أستير هامان وأما هو فقد علّقوه على الخشبة لأنه مدّ يده الى اليهود. فاكتبا أنتما الى اليهود كما يحسن في أعينكما باسم الملك واختما بختام الملك لأن الكتابة المكتوبة باسم الملك المختومة بخاتم الملك لا ترد. . . وفيها أنعم الملك على اليهود الذين في كل مدينة بأن يجتمعوا ويقدموا لأنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويستأصلوا قوة كل شعب وإقليم ممن يضطهدونهم حتى الأطفال والنساء ويسلبوا غنيمتهم. في يوم واحد في جميع أقاليم الملك أحشويروش في الثالث عشر من الشهر الثاني عشر الذي هو شهر آذار" (1).

وسفر أستير يقرأ في عيد الفوريم، يومي 14 و 15 آذار من كل عام تقديراً لما قدمته أستير لشعبها عندما رضيت بالزواج من أحشويروش.

ختمت بهذه القصة لأقول: إن السياسة اليهودية، قديماً، والصهيونية حالياً، لا تتورع عن استخدام أحط الأساليب من أجل تحقيق ما تريد، وما استخدام أستير لاستمالة أحشويروش إلا نموذجاً عن أساليبهم التي يجب التنبيه منها، لأنهم يحاولون تكرارها بطرق مختلفة، وأشكال متنوعة وتكفي حادثة أستير لتظهر لنا أن يهود قد يبيعون جسد المرأة في سوق النخاسة من أجل هدف يريدونه، ولعل المرأة الفاسدة ما زالت حتى يومنا هذا إحدى الأدوات المستخدمة من قِبَلهم تحقيقاً لأغراضهم.

---

(1) سفر التكوين، الإصحاح 3، الآيات من 1 الى 16.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 3، آية 12، 13.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 3، آية 16.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 31، آية 14، 15.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 7، آية 1، 2، 3.

(1) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 21، آية 13، 14.

(2) سفر التثنية (تثنية الاشتراع)، الإصحاح 25، آية 5، 6.

(3) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 403.

(1) سفر القضاة، الإصحاح 8، آية 30.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 21، آية 15، 16.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 16، آية 2.

(4) سفر الخروج، الإصحاح 21، آية 10.

(1) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 15، الآيات 19، 20، 21، 22.

(1) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 12، آية 1، 2، 4، 5.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 24، آية 1.

(3) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 100.

(1) الزعبي، الأرقم، حقائق عن اليهودية، دمشق، الدار المتحدة، ط 1، سنة 1990م، ص 29.

(1) سفر أستير، الإصحاح 2، آية 16، 17.

(1) سفر أستير، الإصحاح 8، الآيات 7، 8، 11، 12.

الفصل الثامن
الأعياد والمناسبات عند يهود

تستحق الأعياد عند يهود أن نفرد لها عنواناً خاصاً، لأنها مفكرة للتاريخ ونظرة جديدة للماضي من جهة، وهي، من جهة أخرى، كشف عن الحاضر وكيف يريدون التعامل معه، ورسم المستقبل الذي يطمحون اليه. والسبب في ذلك أن الأعياد ترتبط عندهم ارتباطاً وثيقاً بالشريعة والعقيدة، أو بالمناسبات والمحطات التاريخية التي يريدون من خلال الوقوف أمامها أمراً دينياً أو سياسياً.

فالأعياد عندهم ليست لتمرّ مرور الكرام، بل هي محطات للتأمل ولأخذ العبرة. وقد "نصت شريعة موسى على سبعة أعياد كبرى: السبت من كل أسبوع، اليوم الأول من كل شهر، السنة السابعة من كل سبع سنوات، سنة اليوبيل، أسبوع الفصح (خاصة اليومين الأول والأخير)، وعيد المظال أو عيد الجمع، عيد الخميس (والمعروف بعيد الأسابيع).

وبعد السبي في بابل أُضيف الى قائمة الأعياد عيدان: عيد الفوريم، وعيد التجديد" (1).

هذه الأعياد جاء الأمر بالاحتفال فيها واضحاً في نصوص العهد القديم: "في السنة أيام تعمل عملاً وفي اليوم السابع سبت عطلة محفل مقدس لا تعملوا فيه عملاً هو سبت للرب في جميع مساكنكم . . . وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب. عيد الفطير للرب سبعة أيام تأكلون فطيراً.. . الى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً ثم تقربون تقدمة جديدة للرب. . . مُرْ بني إسرائيل قائلاً في اليوم الأول من

الشهر السابع يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق محفل مقدس. .. أما العاشر من الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذللون فيه نفوسكم وتقربون وقيدة للرب. . .مُرْ بني إسرائيل وقل لهم في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظالّ سبعة أيام للرب" (1).

"وفي السنة السابعة يكون للأرض سبت عطلة للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك وقدسوا سنة الخمسين ونادوا بعتق في الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبيلاً" (2).

"ثلاث مرات يقيّد لي في السنة. احفظْ عيد الفطير سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك في وقت شهر الإسبال لأنك فيه خرجت من مصر ولا تحضروا أمامي فارغين. وعيد حصاد بواكير غلاتك التي تزرعها في الصحراء وعيد الاستغلال عند نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الصحراء" (3).

هذه هي المناسبات كما جاء ذكرها، والإشارة اليها، في نصوص التوراة وسنتوقف قليلاً عند كل واحدة منها.

1) السبت:

كلمة عبرانية معناها: الكف عن العمل أو الراحة، وتقديس السبت وجعله يوم راحة يعود أساساً الى بدء الخليقة، حيث يزعم واضعو العهد القديم أن الرب، بعد أن خلق العالم في ستة أيام، استراح في اليوم السابع "السبت" ولذلك ما عليهم إلا أن يعتمدوا ذلك في حياتهم.

هذا الأمر مستفاد مما جاء في سفر التكوين: "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه" (1).

والسبت الذي يبدأ من غروب يوم الجمعة وينتهي عند غروب شمس يوم السبت هو عيد أسبوعي عند يهود، وأهم شعيرة فيه الراحة والكف عن العمل وهذا جانب اجتماعي، ويضاف الى ذلك جانب دينين ألا وهو القيام في هذا اليوم بالعبادات وتقديم القرابين.

إن التزام شعائر يوم السبت، الذي هو عيد أسبوعي، أمر إلزامي لا يجوز لأي يهودي مخالفته مهما كانت الظروف فتقديس السبت فرض ديني – إجتماعي لا مناص منه، هذا الأمر يتضح من النص التالي من سفر الخروج: "أذكر يوم السبت لتقدّسه. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وابنتك

وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك. لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" (1).

وحفظ السبت جاء من بين الوصايا العشر، وقد تمسك به يهود حتى أنه "في عهد لمكابيين كانت المحافظة على راحة السبت من الصرامة بحيث أن الحسيديين (الأتقياء) قد آثروا أن يتركوا أنفسهم للموت على أن يدنِّسوا السبت بحمل السلاح" (2).

من أجل حفظ السبت امتنع المكابيون عن القتال، وعرضوا أنفسهم للهلاك ومع ذلك لم يدنسوا السبت وقداسته. في سفر المكابيين الأول: "فأدركوهم وجيّشوا حولهم وناصبوهم القتال في يوم السبت. وقالوا لهم حسبكم ما فعلتم فاخرجوا وافعلوا كما أمر الملك فتحيوا. فقالوا لا نخرج ولا نفعل كما أمر الملك لئلا ندنس يوم السبت. فأثاروا عليهم القتال. فلم يردوا عليهم ولا رموهم بحجر ولا سدُّوا مختبآتهم" (3).

2) أول الشهر:

يعتمد أهل التقويم العبري عدة الشهور القمرية، لكن السنة يعتمدون فيها النظام الشمسي. وبسبب الفارق القائم بين النظامين القمري والشمسي في التقويم، وهو عشرة أيام في السنة، يعتمدون طريقة جمع هذه الأيام العشرة كل ثلاث سنوات مرة بحيث يضاف شهر الى السنة الثالثة، وتسمى سنة كبيسة، وموقع هذا الشهر فيها يكون بعد آذار، ففي السنة الكبيسة يصبح هناك شهر آذار الأول وشهر آذار الثاني.

وبسبب اعتمادهم النظام القمري في عدة الشهور، ولأن أول أيام الشهر القمري هو الذي يظهر فيه الهلال في بدايته، فقد قضت شريعتهم أن يكون هذا اليوم مقدساً كأيام السبت.

وللهلال في بداية الشهر القمري عند يهود "طقوس وصلوات خاصة تُؤدّى عند رؤية الهلال كل شهر، وهم لا يعتمدون على الرؤيا البصرية، ويأخذون الآن بالحساب الفلكي. ويسمي عيد الهلال عندهم (روشْ حودِشْ) أي رأس الشهر، والاحتفال به يكون أحياناً يوماً واحداً، وأحياناً يومين" (1).

إن نصوص العهد القديم تأمر بأن يكون الاحتفال بأول الشهر بتقديم المحرقات للرب، تماماً كما هي الحال بالنسبة ليوم السبت، ففي سفر أحبار اليوم الأول: "ولإصعاد كل مُحرقات الرب في السبوت وفي رؤوس الشهور والأعياد المعدودة بحسب الترتيب المفروض عليهم دائماً قدّام الرب" (2).

ومن شعائر الاحتفال بأول الشهر النفخ بالبوق: "افنخوا في البوق عند رأس الشهر وفي أوان البدر ليوم عيدنا" (3).

وأول الشهر كيوم السبت يوم للراحة فلا عمل فيه، كما أنه يوم للعبادة والقرابين تكفيراً عن الخطايا. ورأس الشهر "لخبز التنضيد والتقدمة الدائمة والمُحْرقة الدائمة في السبوت ورؤوس الشهور والأعياد وللأقداس وذبائح الخطّاء للتكفير عن إسرائيل ولكل خدمة في بيت إلهنا" (1).

3) رأس السنة، أو عيد الأبواق:

ويسمى عندهم (ورش هشاناه) وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام، منها اليوم الأول والثاني من شهر تسْرى (من أوائل أكتوبر)، ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث بطريقة شعبية" (2).

وهذا العيد يقع، وفق تقويمهم، في أول الشهر السابع من الشهور العبرية ويسمى "إيثانيم" وسُمّي، فيما بعد، تسرى أو تشرين الأول (أكتوبر)ن وهذا العيد، الذي يطلق عليه كذلك عيد الأبواق، يعد عندهم بمثابة يوم ميلاد العالم.

جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذا العيد: "كان أول يوم من السنة المدنية في أول تسرى، أي تشرين الأول (أكتوبر)، وسماه الحاخامية يوم ميلاد العالم لأنه في ذلك الوقت يجمعون الأثمار والبذور.
وفيه كانوا يبوّقون بالأبواق، إلا إذا وقع العيد في يوم السبت، فلا يُبّوق خارج الهيكل. وكانوا يقدمون ثوراً وكبشاً، وسبعة خرفان حولية، وتيساً من المعز ذبيحة خطيئة، هذا عدا الذبائح اليومية والذبائح الأحد عشر المفروضة عند ظهور الهلال. ويختلف هذا العيد عن بقية أعياد الأهلة التي فيها أنهم كانوا يبوقون أيضاً على الذبائح لكونه يوم راحة وعبادة" (1).

وردت مسألة قرابين عيد الأبواق في سفر العدد حيث جاء فيه: "وفي اليوم الأول من الشهر السابع محفل مقدس يكون لكم عمل خدمة لا تعملوا يوم هتاف يكون لكم. وقرّبوا مُحرقةً رائحة رضىً للرب عجلاً من البقر وكبشاً وسبعة حملان حولية صحاحٍ. وتقدمتها من سميذٍ ملتوت بزيت ثلاثة أعشار للعجل وعشران للكبش. وعُشر لكل حمل من الحملان السبعة. وتيساً من المعز ذبيحة خطاءٍ للتكفير عنكم" (2). فضلاً عن محرقة الشهر وتقدمتها والمحرقة الدائمة وتقدمتها وسكبهما بحسب رسمهما رائحة رضىً وقيدة للرب.

ويأتي أمر تقديس هذا اليوم والاحتفال به، وتقديم القرابين فيه كذلك، في سفر الأحبار (اللاويين): "وكلم الرب موسى قائلاً: مُرْ بني إسرائيل قائلاً

في اليوم الأول من الشهر السابع يكون لكم عطلةٌ تذكار هتاف البوق محفل مقدس. عمل خدمة لا تعملوا وقرِّبوا وقيدة للرب" (3).

4) السنة السابعة:

إنطلاقاً من تقديس اليوم السابع "السبت" قدّس يهود السنة السابعة بعد كل ست سنين، وحالها كحال يوم السبت، فهي سنة راحة وكف عن العمل والزراعة، وهي سنة راحة بالنسبة للأرض بشكل أساسي.
ووصل بهم الأمر الى حد اعتبار السنة السابعة سنة خروج من الدنيا، وما جمع من حطامها الإنسان خلال السنوات الست الماضية، وهذا الخروج من الدنيا يكون من أجل الفقير والمحتاج، ومن أجل أن تأكل البهائم وكل المخلوقات.

جاء في سفر الخروج: "ست سنين تزرع أرضك وتجمع أُكُلها. وفي السابعة أجممها وتخلّ عنها فيأكل منها كل من مساكين شعبك وما فضل بعدهم يأكله وحش الصحراء وكذلك تصنع بكرمك وزيتونك" (1).

السنة السابعة سنة راحة وعطلة للإنسان وللأرض، وسنة ترك للمواسم كي يستفيد منها كل من يحتاجها. جاء الأمر لموسى عليه السلام وهو في طور سيناء: "ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلالهما. وفي السنة السابعة يكون للأرض سبت عطلة، سبت للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك. وخلفة حصيدك لا تحصِدْها وعنب كرمك الغير المقضوب لا تقطفْه، لأنها سنة عطلة للأرض. وليكن سبت الأرض طعاماً لك ولعبدك وأمتك وأجيرك ونزيلك المقيمين معك" (2).

5) سنة اليوبيل:

يكمل يهود في شريعتهم في بناء المناسبات على أساس الرقم سبعة، وعلى أساس السبت والراحة، ومن هذا القبيل "اعتبرت الشريعة السنة التالية لكل سبعة أسابيع من السنين مقدسة كذلك ولما كان مجموع السبعة الأسابيع من السنين تسعاً وأربعين سنة، كانت السنة المقدسة هي الخمسين. وكان من مظاهر الاحتفال بتلك السنة النفخ بالبوق، وهو بالعبرية (يوبيل)، لذلك أطلقوا على هذه السنة اسم يوبيل" (1).
إن الأمر بتقديس سنة اليوبيل، واعتبارها سنة راحة وعيد وكف عن العمل ورد في النص الآتي: "واحسب لك سبعة سبوت من السنين سبع سنين سبع مرات فتكون لك أيام سبوت السنين السبعة تسعاً وأربعين سنة. وانفخ في بوق الهتاف في اليوم العاشر من الشهر السابع في يوم الكفارة تنفخون في البوق في أرضكم كلّها. وقدِّسوا سنة الخمسين ونادوا بعتقٍ في الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبيلاً وترجعوا كل امرئ الى ملكه وتعودوا كل واحد الى عشيرته. يوبيلاً تكون لكم سنة الخمسين لا تزرعوا

فيها ولا تحصدوا خلفة زرعكم ولا تقطفوا ثمر كرمكم الغير المقضوب. إنها يوبيل مقدسة تكون لكم ومن الصحراء تأكلون غلالها" (2).

بذلك نعلم أن التقليد العالمي المعتمد اليوم في المؤسسات، والقاضي بأن تحتفل هذه المؤسسات بيوبيل فضي وذهبي، هو تقليد مستمد من الثقافة اليهودية، وهو من إسرائيليات التقاليد عند بعض الأمم.

6) يوم الغفران، أو يوم الكفارة:

إنه يوم من السنة نصت عليه الشريعة اليهودية ليكون يوماً للتكفير عن الخطايا، أما موعد هذا اليوم فهو: "العاشر من شهر تسْرى ويبدأ هذا العيد قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من شهر تسْرى ويستمر الى ما بعد غروب شمس اليوم التالي، فمدته حوالي 27 ساعة، يجب فيها الصيام ليلاً ونهاراً وعدم القيام بأي شيء ما خلا العبادة، واسمه بالعبرية: يوم كِبُّور" (1).

هذا العيد، إذن، في العاشر من تشرين الأول، وهو الشهر السابع في التقويم العبري، وهذا اليوم هو يوم للصوم من أجل تذليل النفس للرب وتعويدها على الطاعة، وفيه ينشغل يهود بالعبادة ويكفون عن أي عمل دنيوي ما خلا ذلك، واعتقادهم أن مثل هذا التقديس، في هذا اليوم، يكفر ما وقع فيه المرء من خطايا على امتداد العام، أي أنه أشبه ما يكون بيوم للتوبة ومحاسبة النفس وتطهيرها.

وقد جاء الأمر بتقديس هذا اليوم في النص التالي: "وكلّم الرب موسى قائلاً: أما العاشر من الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذلِّلون فيه نفوسكم وتقرِّبون وقيدة للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً لأنه يوم كفارة يُكفّر فيه عنكم بين يدي الرب إلهكم. فكل إنسان لا يذلل نفسه في هذا اليوم عينه يقطع من شعبه. . . إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم في التاسع من الشهر من العشاء الى العشاء تسبتون سبتكم" (2).

7) عيد الفصح:

الفِصح كلمة عبرية معناها العبور، وهذا العيد يتفق وقته مع موعد خروج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من مصر ونجاتهم من فرعون.

"والفصح هو عيد الربيع. . . وكان الشهر الذي يقع فيه يسمى في التوراة شهر أبيب وهي كلمة عبرية معناها الربيع.

ثم حدث أن تحددت هجرة بني إسرائيل من مصر مع موسى في هذا الوقت، فأصبح هذا إحياء لذكرى نجاة بني إسرائيل من فرعون، وخلاصهم من العبودية من مصر. . . ولذلك سموه: الفسح؛ أي الفرج بعد الضيق" (1).

وعيد الفصح تستمر شعائره سبعة أيام، وقد جاء في "قاموس الكتاب المقدس" عن شعائر هذا العيد أنه "أول الأعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضاً فيها على ميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة.. . ويعرف أيضاً بعيد الفطير. . . أنشئ في مصر تذكاراً للحادث الذي بلغ فيه خلاص بني إسرائيل ذروته. . .

. . . كان العيد يبدأ مساء الرابع عشر من شهر أبيب "المعروف بعد السبي شهر نيسان"؛ أي بداءة الخامس عشر منه. . . فكان يذبح خروف أو جدي بين العشائين نحو غروب الشمس. . . ويشوى صحيحاً، ثم يؤكل مع فطير وأعشاب مرّة.. . وكان الدم المسفوك يشير الى التكفير. أما الأعشاب المرّة فكانت ترمز الى مرارة العبودية في مصر، والفطير الى الطهارة. . . إشارة الى أن المشتركين في الفصح ينبذون كل خبث وشرّ ويكونون في شركة مقدسة مع الرب" (2).

الفصح يحمل ليهود ذكرى تحرر بني إسرائيل مع موسى عليه السلام من نير عبودية فرعون، ويوم نجاتهم، لذلك باتت له معاني تحمل كله الخلاص لهذا الشعب فاستحق منهم اعتباره محطة سنوية يحتفلون بها لمدة أسبوع، وإن كان اليومان الأول والسابع هما أكثر أيام الفصح قداسة فهما كالسبت تماماً.

والاحتفال بالفصح أمر به موسى قومه، حيث جاء على لسانه في سفر الخروج: "فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من دار العبودية لأن الرب أخرجكم بيد قدير من هناك ولا يُؤكل خمير. اليوم أنت خارجون في شهر الإسبال... سبعة أيامٍ تؤكل فطيراً وفي اليوم السابع عيد للرب. فطير يؤكل السبعة الأيام فلا يُرى لك خمير ولا شيء مختمر في جميع تخمك" (1).
يبقى أن نقول إن عيد الفصح هو أحد أهم الأعياد اليهودية، فهو من الأعياد التي أُمروا بالاحتفال بها قبل سواها، كما أنه يحمل معنى النجاة لهم بقدرة إلهية من مصر، لذلك يحتل الفصح موقعاً هاماً في التقاليد والشعائر عندهم.

8) عيد الحصاد، أو عيد الخمسين:

يرتبط هذا العيد بمناسبتين هما: موسم الحصاد للقمح، حيث يجب على من جنى موسمه أن يقدم باكورة إنتاجه قرباناً للرب، والمناسبة الثانية

هي ذكرى نزول الناموس، أو الشريعة، على موسى عليه السلام بعد الخروج من مصر وذلك في طور سيناء.

"عيد الحصاد يقع في اليوم السادس من شهر سيوان الذي هو الشهر الثالث في الأشهر العربية، وكان ذلك العيد معروفاً بهذا الاسم لأنه يجيء بعد الانتهاء من حصاد القمح. . . وكان يسمى، فضلاً عن ذلك، عيد الخمسين لأنه يقع في اليوم الخمسين بعد اليوم الثاني من الفصح" (1).

وهذا العيد الذي يقع في شهر سيوان (حزيران) (يونيو) يسمّى كذلك بيوم الباكورة لأنه فيه تقدّم باكورة الزرع قرباناً. وعيد الحصاد هو "أحد الأعياد الثلاثة التي كان يتحتم على الذكور من الشعب أن يذهبوا فيها ليمثلوا أمام الرب. . . وكان يعتبر سبتاً، أي زمن راحة لا يقومون فيه بأي عمل بل يجتمعون معاً للعبادة. . . وقد بدأ في الأول كيوم شكر لأجل الحصاد في البلاد المقدسة، وكانت مدته يوماً واحداً، وكانوا يقدمون فيه رغيفين من الدقيق الذي طحن غلّة الحصاد.. . وكذلك كانوا يقدمون عشر ذبائح في ذلك اليوم. . .وكانوا يحثُّون الشعب في هذا العيد أن يذكروا المحتاجين كاللاوي والعبد والأمة واليتيم والأرملة. . . ويقول التقليد اليهودي أن الناموس أُعطي في اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر، ولذا فحفظ اليهود اليوم تذكاراً. لإعطاء الناموسي أكثر مما يحفظونه كيوم عيد جمع الحصاد" (2).

من النصوص التي تتحدث عن هذا العيد وشعائره النص الآتي: "واحسبوا لكم من غد السبت من إتيانكم بحزُمة التحريك سبعة أسابيع تامة تكون. الى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً ثم تقربون تقدمة جديدة للرب. تأتون من مساكنكم بخبز للتحريك رغيفين عُشري سميذ يكونان ويخبزان خميراً باكورة للرب. وقرّبوا مع الخبز سبعة حملان صحاح حوليات، وعجلاً من البقر، وكبشاً يكونان محرقة للرب مع تقدمتهما وسكبيهما وقيدة رائحة رضىً للرب" (1).

وقد يطلق على هذا العيد أيضاً العنصرة "خاصة في المصطلح المسيحي، والعنصرة هي الذكرى السنوية للعهد الذي أعطاه الرب لموسى، أي الشريعة التي حملها يهود فيما عرف عندهم بتابوت العهد. وبذلك يكون هذا العيد قد انتقل من مناسبة ترتبط بالزراعة والموسم، الى مناسبة ترتبط بمحطة هامة في تاريخ اليهودية.

9) عيد المظال:

يسمى بالعبرية "سكوت"، وهذا العيد من الأعياد الثلاثة الأساسية عند يهود بعد "الفصح" و "الحصاد". وفي أثناء الاحتفال به تعتمد الخيام مساكناً،

وذلك للتذكير بإقامة بني إسرائيل في الخيام في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر.

في هذا العيد كان على الرجال الظهور أمام الرب في الهيكل كعيدي الفصح والحصاد، ويحدثنا "قاموس الكتاب المقدس" عن سائر أمور هذا العيد فيقول: "اشتق الاسم من عادتهم في أن يسكنوا مظالاً أثناء مدة العيد. . . وكانت تنصب هذه بعد تشييد الاهيكل في أورشليم في ساحات المدينة، وعلى سطوح البيوت وأفنيتها، وفي دور الهيكل. . . وعلى الجبال المجاورة لأورشليم، وكان قمة الأعياد في السنة. . . وكان يقام في الشهر السابع، الذي كان بسبب رقمه مقدساً، عند نهاية الفصل الزراعي، بعد أن تكون غلال البيادر وبساتين الزيتون والكرم قد أدخلت الى الأهراء، ولذا سُمِّي عيد الجمع" (1).

هذا العيد إذن يقع في شهر تشرين الأول (أكتوبر)، وابتداؤه يكون في الخامس عشر منه ومدته ثمانية أيام. "أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه في أوان جمعكم غلّة الأرض تعيِّدون عيداً للرب سبعة أيام في اليوم الأول منها عطلة وفي اليوم الثامن عطلة" (2).

ومن النصوص التي أمرت بالاحتفال بهذا العيد ما جاء في سفر تثنية الاشتراع: "واصنع لك عيد المظال سبعة أيام حيث تستغل بيدرك ومعاصرك. واخرج في عيدك هذا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي والغريب واليتيم والأرملة الذين في مدنك" (3).

10) عيد الفوريم:

لم يكن هذا العيد وارداً في الشريعة اليهودية، وإنما هو مستحدث، ويعبِّر عن ذكرى هامة عندهم هي ذكرى نجاتهم من قرار هامان، وزير أرتحشستا الذي كان يتضمن الإيقاع بيهود، وكانت نجاتهم بسبب وساطة "أستير" مع أرتحشستا الذي كان قد تزوج منها. وأستير كانت تعمل وفق توجيهات مردخاي الذي كان قد تعهدها بعد وفاة أبويها.

هذا العيد يقع في أواسط شهر آذار، يومي الرابع عشر والخامس عشر، وكانوا يقدمون على هذا العيد يوم صوم هو الثالث عشر.

"فوريم" اسم عبري معناه قُرَعٌ، وهو عيد يهودي أنشئ تذكاراً لخلاص اليهود المسبيين في بلاد فارس من مجزرة شاملة أعدها لهم هامان. وكان قد ألقى (فورا)، أي قرعة، ليتأكد من اليوم المناسب لتنفيذ خطته الجهنمية.. . يدعى العيد يوم مردخاي. ومنذ إنشائه شاع الاحتفال به بين اليهود بطريقة معينة ثابتة. فاليوم الثالث عشر كان صوماً. . . ويعتبر عندهم أول يوم الرابع عشر، كانوا يجتمعون في المجمع وبعد خدمة الصلاة

المسائية، كان يبدأ بقراءة سفر أستير، وعند ذكر اسم هامان كان جمهور المصلين يصرخون ليُمْحَ اسمه" (1).

بعد زوال خطر هامان، وبعد أن استجاب أرتحششتا لطلب أستير، وبسبب ذلك سُلّطِ يهود على سواهم من الشعوب، بعد ذلك كتب لهم زعيمهم يومها مردخاي "فسنّ عليهم أن يعيّدوا في اليوم الرابع عشر من شهر آذار واليوم الخامس عشر منه في كل سنة. في اليومين اللذين استراح فيهما يهود من أعدائهم والشهر الذي تحول لهم الحزن فيه الى فرح والنوح الى يوم حبور، ليجعلوهما يومي وليمة وفرح وتوجيه أنصبة من بعضهم الى بعض وعطايا للفقراء. . . لذلك دعوا هذين اليومين فوريم أخذاً من اسم الفورا، ولذلك من أجل جمع كلمات هذه الرسالة وما رأوا من ذلك وما حلّ بهم" (2).

11) عيد الفطير:

هذا العيد يقدّم فيه الفطير دون خميرة من أجل تذكر ما حلّ ببني إسرائيل عند خروجهم من مصر حيث أكلوا الفطير، ومناسبته هي إعادة بناء الهيكل في ملك داريوس.

يسمى هذا العيد بالعبرية "حج همصّوت" و "طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطير، لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيراً بأنهم، عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون، لم ين لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر" (1).

لكن هذا العيد اتخذ معنى الفرح عندما بات مناسبة لذكرى إعادة بناء الهيكل بعد السبي. وقد جاء في سفر عزرا: "فكمل هذا البيت في اليوم الثالث من شهر آذار من السنة السادسة في ملك داريوس الملك. ودشّن بنو إسرائيل والكهنة واللاويون وسائر بني الجلاء بيت الله هذا بفرح.

وعملوا عيد الفطير سبعة أيام بفرح لأن الرب فرّحهم وأمال قلب ملك أشور اليهم ليشدد أيديهم في عمل بيت إله إسرائيل" (2)، وهذا العيد أيضاً هو الآخر عيد مستحدث ليس في أصل الشريعة الموسوية.

12) عيد التجديد:

هذا العيد ليس من الأعياد التي نصّت عليها الشريعة الموسوية، وإنما هو عيد يرتبط كذلك بموضوع الهيكل وتطهيره، وقد اعتمد في مرحلة متأخرة نسبياً.

جاء في "قاموس الكتاب المقدس" عن هذا العيد: "أحد الأعياد اليهودية السنوية، أنشأ الاحتفال به يهوذا المكابي سنة 165 ق.م. تذكاراً لتطهير

الهيكل وتجديده. وبعد ثلاث سنوات دنسه اليونان بأمر أنطيوخس إبيفانس سنة 163 ق.م.، كما جاء في تاريخ المكابيين الأول. . . ويمسى هذا العيد عيد الأنوار . . . وكان الاحتفال بهذا العيد يشبه الاحتفال بعيد المظال ويدوم ثلاثة أيام ابتداءً من 25 كانون الأول (ديسمبر)، ويقع عادة في الشتاء" (1).

النص عن هذا العيد في سفر المكابيين الأول هو: "ورسم يهوذا وإخوته وجماعة إسرائيل كلها أن يعيِّد لتدشين المذبح في وقته سنة فسنة مدة ثمانية أيام من اليوم الخامس والعشرين من شهر كِسلو بسرور وابتهاج" (2).

هذه أعياد يهود كلها ما نصت عليه الشريعة، وما لم تنص عليه، وإنما اعتمدت لاحقاً حفظاً لذكرى معينة يريدون إحياءها.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 647.

(1) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 23، الآيات 3، 6، 16، 24، 27، 34.

(2) سفر الأحبار، الإصحاح 24، آية 4، 10.

(3) سفر الخروج، الإصحاح 23، آية 14، 15، 16.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 2، آية 2، 3.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 20، الآيات 8، 9، 10، 11.

(2) معجم اللاهوت الكتابي، م. س.، ص 408.
(3) سفر المكابيين الأول، الإصحاح 2، الآيات 32، 33، 34، 35، 36.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 201.

(2) سفر أخبار اليوم الأول، الإصحاح 23، آية 31.

(3) سفر المزامير، المزمور 80، آية 4.

(1) سفر نحميا، الإصحاح 10، آية 33.

(2) ظاظا، د. حسن، ص 201.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 95.

(2) سفر العدد، الإصحاح 29، الايات من 1 الى 6.

(3) سفر الأحبار، الإصحاح 23، الآيات 23، 24، 25.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 23، آية 10، 11.

(2) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 25، الآيات 3، 4، 5، 6.

(1) شنودة، زكي، م. س.، ص 264.

(2) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 25، الآيات 8، 9، 10، 11، 12.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 202.

(2) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 23، الآيات 26، 27، 28، 29، 32.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 218.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 678، 679.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 13، الآيات 3، 4، 6، 7.

(1) شنودة، زكي، م. س.، ص 274.

(2) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 350.

(1) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 23، الآيات 15، 16، 17، 18.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 586، 587.

(2) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح 23، آية 39.

(3) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 16، آية 13، 14.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 698.

(2) سفر أستير، الإصحاح 9، الآيات 21، 22، 26.

(1) ظاظا، د. حسن، م. س.، ص 219.

(2) سفر عزرا، الإصحاح 6، الآيات 15، 16، 22.

(1) قاموس الكتاب المقدس، م. س.، ص 251.
(2) سفر المكابيين الأول، الإصحاح 4، آية 59.

الفصل التاسع
صورة الأخلاق اليهودية

إن دراسة تحليلية لبعض النصوص والمفاهيم عند يهود تفيد كثيراً في فهم نفسيتهم، وفي معرفة كيفية تعاطيهم مع شؤون الحياة. وإن الوقوف أمام بعض الصور الخلقية لهم ضروري في سياق هذا الكتاب، وذلك لتُستكمل الصورة عند القارئ في التعرف على مفاهيم يهود الدينية والاجتماعية والثقافية، والغرض من ذلك، فيما بعد، هو العمل على مواجهتهم، ودرء خطرهم، إذ لا يمكن رد خطر قبل الوقوف عليه.

تحقيقاً لهذه الغاية سنتعرض في البحث للموضوعات التالية:

1) الاستعلاء والانعزال:

تبدأ حكاية الاستعلاء مع ذلك التقسيم اليهودي للبشر الى قسمين: يهود – وجوييم.

يهود هم شعب الله المختار، وهم صفوة المجتمعات كما يزعمون، أما باقي الناس فهم، وفق زعمهم، جوييم، وهذا اللفظ عندهم كان يطلق على الوثنيين، ومن ثم بات يطلق على كل غير اليهود.

والجوييم أو الأمميون، أي غير اليهود، بات لهذه الكلمة تفسير يحمل منتهى الاحتقار لكل شخص غير يهودي، هذا التفسير هو ان الجوييم هم حيوانات خلقهم الله على صورة آدميين ليخدموا اليهود.

ويأتي في التوراة، والعهد القديم عامة، حشد من النصوص التي يزعمون فيها أنهم شعب الله المختار والخاص، وإن كل شيء لهم، وأنهم شعب مقدس الى آخر ما هنالك من التعابير التي تخدم مفهوم الاستعلاء اليهودي.

الإيمان وحدهم هم مخصوصون به، والشريعة نزلت لهم دون غيرهم، وبركة الله لا تُعطى إلا لهم. . . الخ.

من النصوص التي جاءت تدلك على ما ذهبنا اليه النصوص التالية:

"والآن إن أمتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الأرض لي. وأنتم تكونون لي مملكة أحباراً وشعباً هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل" (1).

"لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض" (2).

"وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون لك إلهاً ولنسلك من بعدك" (3).

"إسمع يا شعبي فأُشهد عليك يا إسرائيل إن سمعت لي" (4).

من هذا النوع من النصوص يوجد الكثير، وعليها يعتمد قادة الصهيونية اليوم، كما في السابق، لتوليد نظرة الاستعلاء عند يهود على غيرهم من الناس، ولذلك تراهم يشككون بعقائد كل الناس، وبأخلاقهم، ومفهومهم أن غيرهم فاسدون وهم مقدسون، مع العلم أن يهود – الذين باتوا اليوم صهاينة في الغالب – غارقون في الفساد، لا بل هم صانعو الفساد كما تدل نصوصهم، وكما يُلاحظ من مسلكهم.

وما دام غير اليهود عندهم جوييم (وثنيون) فانظر كيف يشككون بسلوكهم من خلال نصوص التلمود، حيث يوصون قومهم قائلين: "يجب أن لا توضع الماشية في خانات الوثنيين لأنه يُشك بأنهم قد يضاجعونها، وللسبب ذاته يجب أن لا تبقى معهم أنثى بمفردها، لأنه يُشك بأنهم قد يتطاولون عليها بالفعل القبيح، ولا يجلس معهم ذكر بمفرده، لأنه يُشكُّ بأنهم قد يسفكون دمه" (1).

ويأتي في هذا الباب كذلك هذا النص: "قال ح. يهودا باسم صموئيل، مستشهداً بـ ح. حنانيا: لقد رأيت وثنياً اشترى إوزة من السوق، فضاجعها، ثم قطعها، فشواها، وأكلها وقال إرميا من دفته أنه شهد واقعة مماثلة مع عربي" (2).

احتقار الآخرين هو سيِّد الموقف في الفكر اليهودي، واتهام سواهم بالفساد هو دينهم، وما سبق ذكره يدلِّل بشكل واضح على ذلك، وبسبب هذه التربية وجد يهود أنفسهم في موقع اجتماعي لا يستطيعون فيه التعايش مع غيرهم.

احتقار الآخرين والاستعلاء اللذان سادا الفكر اليهودي ولّدا حالة نفور بين يهود وأبناء مجتمعهم في أي بلد وُجدوا فيه، مما أنتج عقلية الانعزال عن الآخرين عندهم، وهذه أدت الى الأحياء اليهودية المغلقة، وهي ما عُرفت باسم "الجيتوات".

إن صيغة "الجيتو"، وهو الحي السكني الذي ينعزل فيه يهود، تبلورت في أوروبا، وكانت – كما سبق القول – نتيجة طبيعية للتربية اليهودية القائمة على الاستعلاء على غير يهود واحتقارهم.

وأترك تعريف "الجيتو" للدكتور عبد الوهاب المسيري: "حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن كلمة جيتو تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا.

وقد أقيم أول حي يهودي، يُطلق عليه جيتو، في البندقية عام 1516م، كما أقام البابا بول الرابع جيتو آخر في روما عام 1555م. وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيقال: إن أصلها هو حي اليهود في البندقية الذي نُسب الى الجيتو؛ أي مصنع المدافع الذي أُقيم بجواره؛ ويُقال أيضاً إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية جهكتر، التي تعني مكاناً محاطاً بالأسوار، أو من الكلمة العبرية جت، بمعنى الانفصال، أو الطلاق، الواردة في التلمود. ولعل أكثر التفسيرات قباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة الى كلمة بورجيتو الإيطالية، التي تعني قسماً صغيراً من المدينة" (1).

الجيتوات التي انتشرت في أوروبا من القرن السادس عشر فصاعداً، جعلت حالة الانعزال اليهودية تصل الى مداها الأقصى، فبعض هذه الجيتوات كانت تحاط بأسوار ويكون لها مدخل واحد يقفل بابه ليلاً، والسلطة في هذه الأحياء كانت للحاخامات حيث تركت لهم الحكومات الأوروبية أمر تنظيم الجانب الاجتماعي لليهود وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية. هذا النظام "الجيتوي" كان مناسباً للمفهوم اليهودي للآخرين القائم على الاستعلاء عليهم، والنظرة الدونية لهم.

2) العدوانية والعنف:

إن عقدة الاستعلاء مقرونة بنظرة الاحتقار والشك الى كل من سوى اليهود ولّدت عند يهود روحاً عدوانية تجاه سواهم، ولذلك لم يكونوا ليتوانوا عن استخدام العنف كلما سنحت لهم الفرصة.

إن القراءة للمحطات التاريخية، التي أرّخ لها العهد القديم، تظهر مدى عدوانية بني إسرائيل وبعد ذلك اليهود، وتتحدث نصوص العهد القديم، بشكل مستقبح، عن عمليات إبادة مارسها يهود على أعدائهم.

وتبقى نصوص التوراة والعهد القديم، عامة هي الشاهد الحي على عدوانية يهود، من هذه النصوص النص الآتي الذي يبرز عدوانيتهم بشكل يخلو من الحد الأدنى من القيم الإنسانية.

"وإذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها فادعُها أولاً الى السِّلم. فإذا أجابتك الى السلم وفتحتْ لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك. وإن لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها. وأسلمها الرب إلهك الى يدك فاضْربْ كل ذكر بحدّ السيف. وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي أعطاكها الرب إلهك. .. وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق منها نسمة. بل أبسلهم إبسالاً الحثيين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك" (1).

ولعل اللغز المحيِّر في عداونية يهود واستخدامهم العنف هو في أنهم أنسبوا فعلهم هذا الى أوامر إلهية، فضمّنوا نصوص شريعتهم مفايهم تنبع من هذه الروح العداونية، وهي مزاعم لا يقرها شرع ولا دين.

ومن زمرة النصوص والمزاعم التي تبرز عدوانيتهم هذا النص: "فاضرب أهل تلك المدينة بحدِّ السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحد السيف. وجميع سلبها أجمعه الى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك المدينة وجميع سلبها جملة للرب إلهك فتكون ركاماً الى الدهر لا تبنى من بعد" (2).

إن صور الوحشية اليهودية تبدو لك حيث ما جلت ببصرك في طيات العهد القديم، لذلك من المفيد أن نورد بعض النصوص ليعرف معاصرونا في أمة العرب، أو في العالم قاطبة، حقيقة النفسية اليهودية، وليتعرفوا على مضمون النصوص التي يقدسها يهود ويأخذون بمضمونها، ويكون ذلك من باب فهم أساليب ومضامين التنشئة التي يخضع لها يهود منذ نعومة أظفارهم.

إن تربيتهم، ومن خلال نصوصهم المقدسة، ليس فيها عهد ولا حرمة. لنقرأ معاً هذا النص من سفر يشوع: "ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العيِّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعهم بحدّ السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل الى العيِّ وضربوها بحد السيف. وكان جملة من قُتِل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر ألفاً جميع أهل العيِّ. فأما البهائم وسلب تلك المدينة فغنمها إسرائيل لأنفسهم على حسب أمر الرب الذي أمر به يشوع. وأحرق يشوع العي وجعلها تلّ ردم الى الأبد خراباً الى هذا اليوم" (1).

لا أجد داعياً للإطالة في عرض النصوص الواردة في العهد القديم والتي تدعو كلها بني إسرائيل الى إبادة أعدائهم، وحرق مدنهم، وسلب كل ما عندهم. لكن ما أوردته أردت أن يتبيّن القارئ من خلاله كيف يفكر ويخطط أصحاب الثقافة التوراتية، ويكون تبيُّنه هذا – ربما – مدخلاً كي يقتنع بأهمية الإعداد لمواجهتهم، ودفع خطرهم المحدق بكل الناس، فأطماعهم لا حدود لها، وهي تقف أو تنطلق وفق قدرتهم القتالية ووفق قوة سيوفهم، فحقهم حيث تتمكن سيوفهم أن تصل، وليس ذلك بمستغرب في ظل التثقيف والتوجيه الذي يتلقونهما من قراءاتهم لنصوص العهد القديم التي أوردنا نماذج منها.

3) الجبن خلق يهودي:

إن بني إسرائيل ويهود، رغم ادعائهم أنهم شعب الله المختار فإنهم كانوا يخافون الموت، وكانوا شديدي الحرص على الحياة، ولذلك كثيراً ما ندموا على موقف قد يحصل لهم فيه أذىً أو تهلكة، وكثيراً ما جبنوا وخارت قواهم في ساعات الشدة.

يدلل الجبن على ضعف الإيمان، وعلى انعدام الاستعداد للعطاء حتى في أعز المواقف وأهم المواقع. تبرز من صور جبنهم وتفضيلهم للذل والعبودية على أن يواجهوا أعداءهم، صورة موقفهم يوم الخروج من مصر مع موسى عليه السلام، وعندما لحق بهم المصريون، وخافوا على حياتهم.

صورة موقفهم هذا تعطينا فكرة عن دفائن النفس اليهودية التي تولّد عنها قبول الذل مقابل حياة مهما كان واقعهم فيها. فقد جاء في سفر الخروج: "ولما قرب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم فإذا المصريون في أثرهم، فخافوا جداً وصرخ بنو إسرائيل الى الرب. وقالوا لموسى: أمِنْ عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا فأخرجتنا من مصر؟ . .. أليس هذا ما كلمناك به في مصر قائلين دعنا نخدم المصريين فإن خدمتنا لهم خير من أن نموت في البرية" (1).

وعندما وصلوا الى أرض فلسطين وعرفوا الكنعانيين والحثيين واليبوسيين، وسائر الشعوب المقيمة في فلسطين وما حولها، أصابهم الوهن أكثر، ووجدوا أن هؤلاء الأقوام عمالقة وأنهم معرضون للهلاك على أيديهم فعبّروا عن خوفهم وجبنهم بطريقة أكثر خزياً من تعبيرهم عندما كانوا في البرية بعد الخروج من مصر.

إن الصورة التي بدوْا عليها صورة مضحكة من شعب يزعم أنه المختار، وعنده استعلاء على غيره، لا بل هي صورة حبّ العبودية وتفضيلها على أبسط شكل من أشكال التضحية من أجل حياة عزيزة.

جاء وصفهم عند دخول فلسطين في سفر العدد على الشكل الآتي: "فرفع كل الجماعة أصواتهم وصرخوا، وبكى الشعب في تلك الليلة. وتذمّر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: يا ليتنا مُتنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البرية. لماذا أتى الربُّ بنا الى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيراً لنا أن نرجع الى مصر" (1).

خلق يهود هو خلق الخوف والجبن وتفضيل الذل والعبودية على التضحية من أجل العزة.

4) الغدر خلق يهودي:

بما أن يهود جبناء، وكانوا يواجهون موسى معلنين أنهم وجدوا قوماً جبارين، ولو بقوا في حياة العبودية في مصر لكان أفضل لهم برأيهم، فإن الغدر غير مستغرب عليهم لأن الجبان يهرب دوماً من المواجهة، ويعتمد المكر ليغدر في الوقت الذي يمكنه أن يفعل ذلك.

قد يعطي يهود وبنو إسرائيل الأمان لقوم، لكن لم يلبثوا قليلاً حتى يغدروا بهم ما دامت أنفسهم قد سوّلت لهم ذلك، إذ لا ذمة عندهم ولا عهد، والكلمة الفصل هي لأهوائهم ومصالحهم.

إن صورة من صور الغدر هذه يتضمنها الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التكوين من خلال قصة زواج شكيم بن حمورُ من ابنة يعقوب، حيث ثار آل يعقوب على حصول الزواج، لكن بعد شروط وضعها يعقوب وَقَبِلَ بها القوم، ومنها الاختتان، انقلب على ذلك أبناء يعقوب نفسه وغدروا بالقوم وأوقعوا القتل.

مما جاء في هذا الإصحاح: "إن هؤلاء القوم مسالمون لنا فيقيمون بالبلد ويتجرون فيه والأرض واسعة الأطراف أمامهم فنتخذ بناتهم أزواجاً ونعطيهم بناتنا. . .وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر. وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحدِّ السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم دخل بنو يعقوب على القتلى وغنموا ما في المدينة من أجل تدنيس أختهم. . . وسبوا وغنموا جميع ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وسائر ما في البيوت" (1).

يهود لا يتورعون عن استخدام أية وسيلة تحقق لهم ما يريدون، ولا مانع عندهم من وضع السمِّ في الدسم، ومن استخدام الحيلة تحقيقاً لمنهجهم في الغدر بالآخرين. من صور غدرهم كذلك طريقة تخلصهم من عجلون ملك موآب، الذي كانوا يعيشون في كنفه، وأرادوا التخلص منه،

واستعانوا لذلك بشخص منهم هو أهود، واعتمدوا الحيلة والغدر تنفيذاً لمآربهم.

بعد أن قرروا التنفيذ حصلت الوقائع التالية: "فعمل أهود لنفسه سيفاً ذا حدّين طوله ذراع واشتمل عليه تحت ثوبه على فخذه اليمنى. وقدّم الهدية الى عجلون ملك موآب، وكان عجلون رجلاً سميناً جداً. فلما فرغ من تقديم الهدية شيّع القوم حاملي الهدية. وثم رجع من عند المنحوتات التي عند الجلجال وقال لي إليك كلام سرّ أيها الملك فقال صه فخرج من عند الملك جميع الواقفين لديه. فتقدم اليه أهود وكان جالساً في غرفة صيفية له وحده وقال أهود لي إليك كلام من عند الله، فنهض عجلون عن سريره. فمد أهود يده اليسرى وأخذ السيف عن فخذه اليمنى ووجأه في بطنه" (1).

هاتان صورتان من صور أخلاق الغدر عند يهود تضمنتها نصوصهم التي يقدسونها ومارسها أسلافهم، وهي بلا شك تشكل، بالنسبة لهم في كل عصر، منهجاً تربوياً يرون من خلاله مسوغات للغدر والجريمة والخيانة.

5) الجاسوسية في السلوك اليهودي:

إن النظرة العدوانية التي ينظر من خلالها يهود الى كافة الناس والأمم ولّدت عندهم حالة شك وريبة تجاه الجميع، يضاف الى ذلك حالة طمع بما في أيدي الناس، وحتى يكون لهم ذلك يعملون، من خلال التجسس، على الوقوف على حقيقة مواطن القوة عند كل شعب يريدون النيل منه كي يضربوها، ويحاولون التعرف على مواقع الضعف لينفذوا منها.

من هذا القبيل نرى ما فعلوه عندما أرادوا دخول أرض كنعان مع موسى عليه السلام، فقد أشار عليهم بالتجسس على الكنعانيين للوقوف على حقيقة حالتهم قبل أن تحصل المواجهة معهم، وبذلك تكون الجاسوسية إحدى مرتكزات العمل اليهودي في مواجهة الشعوب الأخرى.

ورد في سفر العدد: "هذه أسماء الرجال الذين بعثهم موسى ليجسُّوا الأرض وسمّى موسى هوشع بن نون يوشع. وأرسلهم موسى ليجسُّوا أرض كنعان وقال لهم اطلعوا من هناك من الجنوب واصعدوا الجبل. . . فصعدوا واجتسوا الأرض من بريّة صين الى رحوب عند مدخل حماة.. . ورجعوا من جسِّ الأرض بعد أربعين يوماً.. . وشنعوا، عند بني إسرائيل، على الأرض التي تجسّسوها وقالوا: الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل أهلها وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات" (1).

خمس آيات في إصحاح واحد وردت فيها كلمة تجسّس ست مرات، وهذا قدر كافٍ من الكلام لإعداد قراء العهد القديم، والذين ينظرون لنصوصه على أنها مقدسة، إعداداً يقوم على روح الجاسوسية، وعلى اعتبار الجاسوسية أحد أبرز وسائل تحقيق الأهداف التي يعملون لتحقيقها.

ويطالعنا سفر يشوع بنصوص لا تختلف كثيراً عن النص السالف الذكر وكلها، طبعاً، تعد الجاسوسية عملاً مقبولاً، وفق ما ورد في صريح العهد القديم، فقد ورد وفي سفر يشوع ما يلي: "فأرسل يشوع بن نون، رجلين من شطيم جاسوسين تحت الخفاء قائلاً أمضيا انظرا الأرض وأريحا فانطلقا ودخلا بيت امرأة بغي اسمها راحاب وباتا هناك. فقيل لملك أريحا قد قدم الى هنا هذه الليلة رجلان من بني إسرائيل ليجسّا الأرض. فأرسل ملك أريحا الى راحاب قائلاً أخرجي الرجلين اللذين أتياك ودخلا بيتك فإنهما أتيا ليجسّا الأرض كلها" (1).

نخلص الى القول بأن أمثال هذه النصوص عطفاً على الأسس الخلقية الأخرى من غدر ورياء ومكر وعدوانية. . . الخ، جعلت من الجاسوسية إحدى مرتكزات ومكونات الشخصية اليهودية. إن القارئ لتاريخهم، وصولاً الى واقع الصهيونية اليوم، يلاحظ، بشكل واضح، كيف أنهم صرفوا جهداً كبيراً لتنظيم أساليب وأدوات العمل الخفي والجاسوسية مما جعل ذلك طابعاً عاماً ملازماً لهم حين يجري ذكرهم.

6) الجشع وحب المال عند يهود:

إن موضوع جشع يهود وحبهم المال وسعيهم لجمعه بشتى الوسائل والأساليب، مسألة لا تحتاج الى شواهد كثيرة، فإن لعنة الرب حلّت بهم بسبب خلقهم هذان وإن فسادهم حصل بسبب تعلقهم بالمادة والشهوة.

ويكفي أن يقرأ الإنسان نصوص العهد القديم، أو سواه من أدبياتهم، كي يعرف حقيقة أمرهم مع المال والأمور المادية. كما أن مسائل إشاعة الربا وأنظمته، وما يستتبع ذلك من احتكار وتلاعب في التاريخ القريب والحاضر، كل هذه الأمور تشكل الشاهد الحي على موضوع تعلق يهود بالمال وتقديمهم للمصالح المادية على ما عداها.

إن عرضاً لواقع حال آل يعقوب وما أتوا به من فساد غضب بسببه الرب عليهم. جاء في سفر نبوءة ميخا، يؤكد ما ذهبنا اليه تأكيداً لا يرقى إليه شك أو نقاش. في هذا السفر جاء القول: "إسمعوا هذا يا رؤساء آل يعقوب وحكام آل إسرائيل الذين يمقتون العدل ويعوّجون كل استقامة. الذين يبنون صهيون بالدماء وأورليم بالإثم. إنما رؤساؤها يحكمون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالأجرة وأنبياؤها يتخذون العرافة بالفضة ويعتمدون على الرب قائلين أليس الرب في وسطنا فلا يحل لنا شرّ" (1).

وجاء شيء من هذا القبيل في سفر نبوءة أرميا في الخطاب الموجه من الرب الى شلُّوم بن يوشيّا ملك يهوذا: "أما أنت فإنما عيناك وقلبك على السُّحت وسفك الدم الزكي والظلم والضغط" (2).

القلب معلق بالحرام، والنفوس الخبيثة ليهود سادية يعجبها سفك الدماء وحكمهم وإدارتهم تعتمد التسلط والظلم والعدوان. هذه الصورة ليست الأولى ولا هي الأخيرة، بل هي نموذج عن خلق يهود والصهاينة في يومنا هذا كان ولا يزال.

يأتي بين النماذج التي تعطي صورة من صور جشع يهود وتعلّقهم بالدنيويات ما ورد في سفر نبوءة أشعيا، في رؤيا أشعيا التي رآها على يهو وأورشليم في أيام عُزّيا ويوتام وآحاز وحزقيّا ملوك يهوذا، هذه الصورة استحقوا بسببها غضب ربه وعقابه. في هذا النص: "كيف صارت المدينة الأمينة زانية قد كانت مملوءة إنصافاً وفيها كان مبيت العدل أما الآن فإنما فيها قتلة. فَضّتك صارت خبثاً وصِرفك مزج بماء. رؤساؤك عصاة وشركاء للسُّرّاق كلٌّ يحب الرشوة ويتتبع الأجور لا ينصفون اليتيم ودعوى الأرملة لا تبلغ اليهم. فلذلك قال السيد رب الجنود عزيز إسرائيل لأريحنّ نفسي من معانديّ وأنتقم من أعدائي" (1).

ويدخل في جملة ألوان الجشع وحب المال عند يهود أنهم، من أجل ذلك، كانوا يبيحون لأنفسهم مخالفة شريعتهم خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمعاملات مالية مع غير يهود. من الأدلة على ذلك موقفهم من الربا الذي جعلوه محرماً في التعامل بينهم، مباحاً إذا كان إقراض المال لغير يهودي: "لا تُقرض أخاك بربىً في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بالربى. بل الأجنبي إياه تقرض بالربى وأخاك لا تقرضه بالربى لكي يبارك الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي انت داخل لتمتلكها" (2).

أية شريعة هذه التي تنص على صيف وشتاء في آن معاً؟! وكيف يكون للإنسان موقفاً متناقضاً حيال قضية واحدة؟ الجواب: عند يهود الذين لا يرون إشكالاً في التلاعب بشريعتهم كل الأمور تهون إذا كانت تحقق ربحاً مالياً أو تدر نفعاً مادياً. في هذه الصورة الأخيرة تظهر حكاية الجشع وحب المال عندهم بأبشع صورها.

---

(1) سفر الخروج، الإصحاح 19، آية 5، 6.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 7، آية 6.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 17، آية 7.

(4) سفر المزامير 80، آية 9.

(1) التلمود البابلي ورسالة عبدة الأوثان، م. س.، ص 75.

(2) التلمود البابلي، م. س.، ص 76.

(1) المسيري، د. عبدالوهاب، الايديولوجية الصهيونية، القسم الأول، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، صفر وربيع الأول 1403هـ، كانون الأول 1982م، ص 34.

(1) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 20، الآيات 10، 11، 12، 13، 14، 16، 17.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 13، آية 15، 16.

(1) سفر يشوع، الإصحاح 8، الآيات 24، 25، 26، 27، 28.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 14، الآيات 10، 11، 12.

(1) سفر العدد، الإصحاح 14، الآيات 1، 2، 3.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 34، الآيات 21، 25، 26، 27، 29.

(1) سفر القضاة، الإصحاح 3، الآيات 16، 17، 18، 19، 20، 21.

(1) سفر العدد، الإصحاح 13، الآيات 17، 18، 22، 26، 33.

(1) سفر يشوع، الإصحاح 2، الآيات 1، 2، 3.

(1) سفر نبوءة ميخا، الإصحاح 3، الآيات 9، 10، 11.

(2) سفر نبوءة أرميا، الإصحاح 22، آية 17.

(1) سفر نبوءة أشعيا، الإصحاح 1، الآيات 21، 22، 23، 24.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 23، آية 19، 20.

الفصل العاشر
الصهيونية: نشأتها وأهدافها

تعود الصهيونية، تسمية، الى زعم تاريخي أشاعه يهود، والصهاينة غير اليهود، مع أوائل القرن السادس عشر، هذا الزعم هو أن جبل صهيون، وهو ربوة مطلة على القدس أقيم عليها الهيكل، هو وما يجاوره من أرض فلسطين – وبشكل خاص القدس – حق لهم يجب أن يعود اليهم علماً أن نصوص الكتاب المقدس في قسمه الأول (العهد القديم) – كما مر سابقاً – تفيد، بما لا يقبل الشك، بأن القدس لم تكن موطناً للعبريين ولا ليهود فيما بعد إلا لفترات قصيرة ولاحقة، وغالباً كانوا يقيمون فيها مع سواهم.

وجبل صهيون نفسه أقام عليه اليبوسيون، أبناء عم الكنعانيين، حصنهم، وكانت القدس عاصمة مملكتهم اليبوسية قبل ظهور النبي موسى عليه السلام ومعه اليهودية بما لا يقل عن ألفي عام.

إن استخدام اسم "صهيون" لمؤسسة سياسية مع النصف الثاني للقرن التاسع عشر تعمل من أجل إقامة وطن قومي يهودي في أرض فلسطين وما حولها، ما هي إلا محاولة تقوم على الزعم والتزوير هدفهم منها ربط الفكرة السياسية بالمعتقد الديني من أجل أن يكون للفكرة السياسية وقعها على النفوس، وليكون لها فعلها في السلوك، وهذا ما كان فعلاً، حيث كانت، ولا تزال، الفكرة الصهيونية تجمع حولها يهود مع ملايين من مسيحيي أوروبا وأمريكا وسواهما الذين أخذوا بهذه الفكرة، خاصة بعد ظهور ما سُمّي بحركة الإصلاح الديني.

ترتبط الفكرة السياسية بالفكرة الدينية انطلاقاً من الدراما التي تعود الى بكاء يهود المشتتين المسبيين بعد السبي البابلي لهم في القرن السادس قبل الميلاد، وانطلاقاً من هذه الدراما يصوِّرون الارتباط الوجداني بأورشليم (القدس) ارتباطاً تمليه الضرورة الدينية، وستحلُّ اللعنة على من لا يكون عنده الشوق لها، وعلى من لا يعمل للعودة.

جاء في سفر المزامير: "على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون. .. وهناك سألنا الذين سبونا نشيداً والذين عذبونا تطريباً أن رنموا لنا من ترانيم صهيون . . . إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أعلُ أورشليم على ذروة فرحي".

لكن المسبيين هم يهود القرن السادس قبل الميلاد، فما علاقة يهود اليوم، وهم من قوميات وأمم شتى؟ ثم ما علاقة جماعات من مسيحيي أوروبا وأمريكا الذين تبنّوا الفكرة نفسها؟ هنا تبدأ حكاية التزوير من أجل صنع رداء ديني يهودي مزعوم لمشروع صهيوني – استعماري.

وإذا كان يهود يبررون زعمهم، من خلال ما أوردوه في سفر التكوين، بأن الرب وعد إبراهيم بأن يمنحه أرض الكنعانيين، فإن ما يجب أن نعلمه هو أن قطاعاً واسعاً من غير يهود من خلفاء "المتطهرين المسيحيين البريطانيين" ولاحقاً من الإنجيليين وسواهم يؤمنون الايمان نفسه، لا بل يعدُّون العمل من أجل إنجاز ذلك الوعد واجباً دينياً مقدساً ومن لا يقوم به فعليه لعنة الرب.

هذا الوعد المزعوم جاء فيه في خطاب لإبراهيم: "وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلهاً" (1).

تأسيساً على ما تقدم نستنتج بأن الصهيونية ليست اليهودية التي هي رسالة دينية، وإنما الصهيونية حركة سياسية تضم يهود وغير يهود، سواء أكانوا أفراداً أم مؤسسات وحركات، ولكن ما يجمع أتباع الحركة الصهيونية هدف مشترك بينهم هو جمع اليهود ولمّ شملهم وتهجيرهم الى فلسطين لتأسيس دولة فيها، تنفيذاً لحلم يهودي عنصري اتخذ من الفكرة الدينية ستاراً لجريمته وعدوانه، ومن جهة ثانية تكون هذه الدولة المصطنعة خادماً أميناً، وحارساً موفور الطاقات للمصالح الاستعمارية الغربية الأوروبية سابقاً، ولها ولأمريكا لاحقاً.

يضاف الى هذه المحركات عامل آخر هو العنصرية اليهودية التي برزت في وسط يهود أوروبا، الذين عاشوا في "الغيتوات"، وهم ممتلؤون حقداً على المجتمع المحيط بهم حيث رفضوا الاندماج بالمجتمع الأوروبي، وفي أحيائهم هذه عاشوا ضمن نظام ديني – اجتماعي غير متجانس مع ما يحيط به، وبذلك ازدادت الرغبة الأوروبية بحل هذه الإشكالية بترحيل ما أمكن من يهود الى أرض فلسطين.

عن هذا الأمر تحدث د. حسان حلاق قائلاً: "تعتبر الصهيونية حركة عنصرية استعمارية نادت بحلول الانعزالية لما أسمته المشكلة اليهودية، لأنها عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية، ودفعتهم للهجرة الى فلسطين زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية وسياسية ودينية. وفي أواخر القرن التاسع عشر التقت الأهداف الصهيونية بأهداف التوسع الاستعماري الأوروبي، وفي عصر سيطرة الرأسمالية الأوروبية في وسط وغربي وشرقي أوروبا، فوجدت الصهيونية في هذا الاستعمار وسيلة للوصول الى تحقيق غاياتها، بينما وجد الاستعمار في الصهيونية جسراً لتدعيم نفوذه في المناطق العربية.

. . . وعلى أساس هذا الواقع استطاعت الصهيونية التعامل مع الدول الاستعمارية نظراً لوحدة أهدافهما. . . "(1).

لقد التقت الإرادتان الصهيونية والاستعمارية بناء على دراسات واستطلاعات وليس من باب الصدفة، وكان من أبرز الاستطلاعات ذلك الذي قامت به لجنة استعمارية بريطانية كُلِّفت بذلك من قبل رئيس وزراء بريطانيا كامبل بنرمان، وقد عُرفت اللجنة باسمه.

بعد استطلاع اللجنة المكلفة من قبل بنرمان وانتهائها من أعمالها، تمت الدعوة لمؤتمر استعماري في لندن سنة 1907م من قبيل تحديد الدور البريطاني في عملية اقتسام التركة العثمانية.

وقد توصل المؤتمر الى نتيجة ملخصها: "إن مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية إنما يكمن في المناطق العربية من الدولة العثمانية، لا سيما بعد أن أظهرت شعوبها يقظة سياسية ووعياً قومياً ضد التدخل الأجنبي والهجرة اليهودية والحكم التركي أيضاً.

وأوضح تقرير المؤتمر أهمية المنطقة العربية باعتبارها نقطة إلتقاء بين الشرق والغرب، وزاد من أهميتها وجود قناة السويس كأهم ممر مائي لأوروبا. ورأى المؤتمر خطورة الشعب العربي على المصالح الاستعمارية نظراً لتوافر عدة عوامل يملكها: وحدة التاريخ واللغة والثقافة والهدف والآمال" (1).

إن إشكاليات أتباع اليهودية مع المجتمعات التي يعيشون فيها في الغرب مضافاً اليها – كما ذكرنا سابقاً – حاجة أوروبا عامة، وبريطانيا خاصة، لجسم غريب يزرعونه في قلب الأمة العربية، يشكِّل حاجزاً يمنع وحدتها، ويستنزف طاقاتها في صراعات وحروب، ويكون هذا الجسم مصدراً لكافة أنواع الأمراض والمفاسد، كل هذه الأمور ساهمت في إنشاء الحركة الصهيونية التي كانت تمهيداً لقيام دولة إسرائيل في أرض فلسطين.

الصهيونية مشروع غربي عنوان لا خلاف عليه، وقد ذهب هذا المذهب د. عبدالوهاب المسيري قائلاً: "الصهيونية كانت ولا تزال حركة غربية، ولذا فإننا حين نستخدم كلمة صهيونية بدون تخصيص فإنما نشير الى تلك الحركة التي نشأت في الغرب واتخذت من فلسطين مكاناً لممارساتها الاستيطانية، ولم تفقد قط هويتها الغربية بانتقالها من الغرب الى الشرق.

فالصهيونية لم تنشأ في العالم ككل، أو حتى داخل كل التشكيلات الإثنية اليهودية المتناثرة في العالم، وإنما هي إفراز تشكيل حضارة محدّدة وبقعة جغرافية في لحظة زمنية محددة، ولا يمكن دراستها خارج هذا التشكيل" (1).

بناء على ما تقدم نكون قد وصلنا الى نتيجة مفادها أن إرادتين التقتا فولدتا الحركة الصهيونية، هاتان الإرادتان هما: اليهودية – المجتمع الغربي، وهنا

نص للسؤال:

كيف نشأت الصهيونية؟

بعد حقبة سميت، في التصنيف الغربي، بالقرون الوسطى سادتها حالة ظلام في جانب الفكر، وظلم في جانب السياسة والاجتماع، ومع اطلاع الغرب على الفكر العربي – الإسلامي، وعلى فكر الشعوب الأخرى – اليونان خاصة – بدأت حركات وتحركات من أجل الخروج من هذا الواقع الصعب، وترافق ذلك مع حركة نهوض وكشف علمي في علم الفلك وسائر العلوم الأخرى، مما انعكس بداية تمرد على الواقع الذي كانت تتقاسم فيه النفوذ الكنيسة والاقطاع.

وإذا كان سياق البحث لا يحتمل الإطالة في عرض واقع أوروبا في القرون الوسطى، لكن لا بد من التذكير بمحاكم التفتيش التي كانت تمنع حرية الفكر والتأليف والكشف العلمي، ولا بد من التذكير كذلك بالوضع الاقطاعي – الاقتصادي للكنيسة، حيث وصل بها الأمر الى حد التدخل في شؤون الآخرة، من خلال بيع صكوك غفران للمواطنين المذنبين، تحت شعار مفاده أنها (صكوك الغفران) تُدخِل حاملها الجنة.

وعرفت المجتمعات الأوروبية، كذلك في تلك الحقبة، حركة اضطهاد لليهود وعدم اعتراف بهم دفعتهم كي يرحلوا الى مجتمعات عربية وإسلامية ينشدون الأمن فيها، ولذلك بات عدد اليهود كبيراً في الأندلس (أسبانيا اليوم)، وهؤلاء اليهود رحلوا مع العرب المسلمين عن الأندلس يوم سقطت في يد الصليبيين، قسم منهم انتقل الى المغرب العربي حيث توجد حتى اليوم مجموعة سكانية يهودية كبيرة، وقسم آخر رحل الى تركيا وهؤلاء خرج من صفوفهم من عُرفوا باسم يهود الدونمة.

نشأت، في ظل هذا المناخ، حركات إصلاح في الكنيسة كان أبرزها تلك التي قاد "كالفن" و "مارتن لوثر"، والتي أطلق عليها اسم البروتستانت (PROTESTANTE)، ومعنى الكلمة بالعربية: المحتجون.

البروتستانت كانت حركة انشقاق كبير في الكنيسة الغربية الكاثوليكية، وعنها تفرعت حركات وفرق دعت الى اعتماد العهد القديم مع العهد الجديد في صيغة الكتاب المقدس، والى إلغاء النظرة السلبية عند الكنيسة حيال يهود، هذا الأمر فتح الطريق للأدبيات اليهودية – خاصة العهد القديم – كي تنتشر في أوروبا، ونتج عن ذلك مدارس دينية وفلسفية وأدبية وفنية استفادت من النصوص العبرية، وهذا أمر ساهم في تسويق فكر يهودي هيّأ الأجواء لنشأة الحركة الصهيونية فيما بعد.

يأتي في مقدمة المجموعات التي سوّقت للأدبيات العبرية مجموعة دينية بريطانية متطرفة سُمِّيت البيوريتيين (PURITAINS) المتطهرين، أما عن دور هؤلاء فإنه يكفي أن نعلم بأن النهضة العبرية قد وصلت "بأفكارها المتداخلة المؤيدة للصهيونية ضمناً ذروتها في عهد الثورة البيرويتانية في إنجلترا في القرن السابع عشر. وكانت البيرويتانية تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً كما كانت الوريث المباشر للكالفينية. وقد غالى البيوريتانيون في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم تماماً كما كانت الحال في جنيف في عهد الكالفينيين.

وكان البيرويتانيون يجمعون بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى . . . كانت معلومات البيرويتانيين عن الحياة اليهودية مستقاة من اطلاعهم على التوراة العبرية والتماثل بينهم وبين شعب الله" (1).

ساهمت البيوريتانية بتوليد قابلية للغزو الثقافي العبري، وأشاعت الثقافة اليهودية، حتى على المستوى الشعبي، وقد أدى هذا الغزو للأدبيات العبرية الى تبديل النظرة لفلسطين في أذهان البريطانيين، والحال نفسها كانت تحصل في دول أوروبية كثيرة.

فلسطين كانت في مفهوم البريطانيين والأوروبيين الأرض المقدسة التي جرّد أجدادهم الحملات الصليبية من أجل السيطرة عليها، لكنها، هذه المرة، باتت عندهم أرض الميعاد التي يجب أن يجتمع فيها يهود، فهي وطنهم الذي يكون اجتماعهم فيها مقدمة لعودة المسيح المنتظر استناداً لنبوءات العهد القديم.

استناداً الى ما تقدم نلاحظ بأن صهيونية غير يهودية بدأت تنشأ في أوروبا، أو أصولية مسيحية تتبنى طروحات العهد القديم، كما صاغها يهود، بما فيها الحق المزعوم بالعودة الى فلسطين. إن سيادة هذا المفهوم ضربت فكرة مسيحية أوروبية طالما تحمّس لها ورثة الصليبيين الذي كانوا يسعون لإعادة الكرّة مرة ثانية.

هذه الأصولية المسيحية، التي أوجدت صهيونية غير يهودية، هي التي جعلت ثمة قبولاً لمزاعم يهود عند قطاع واسع من الأوروبيين، حيث أفهمتهم بأن العهد الألفي السعيد (الألف سنة التي تبدأ بعودة المسيح المنتظر ويعم فيها السلام والعدل) لن يبدأ إلا بعد تجميع يهود في فلسطين وتنصيرهم.

الصهيونية المسيحية الغربية ساهمت إذن بوجود فكر صهيوني ذي ديباجة مسيحية يستند "الى عقيدة عودة المسيح المخلص في آخر الأيام ليحكم العالم هو والقديسون لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام.

ويرى المؤمنون بهذه العقيدة أنه لن يتحقق الخلاص ولن يتم إلا باسترجاع اليهود فلسطين، ليتمّ تنصيرهم. . . وقد ظهرت هذه العقيدة، التي يطلق عليها أحياناً العقيدة الألفية في كتب الأبوكريفا APOCRYPHE؛ أي الكتب التي لا يعترف بها اليهود كجزء من الكتاب المقدس؛ وفي سفر دانيال.

وقد رافق شيوع هذه المعتقدات تبني التفسير الحرفي للعهد القديم . . . الأمر الذي أدى الى تقبُّل القصص الديني الذي يرد في الكتاب المقدس على أنه تاريخ فعلي" (1).

إن فكرة الاسترجاع هذه دفعت الى وجود جماعات في الوسط المسيحي يؤمنون بأن العمل على تجميع يهود في فلسطين، من خلال مشروع استيطاني، هو واجب ديني يمهد بعد تنصيرهم مجتمعين، وفق ما يزعمون، الى ظهور المسيح المنتظر، وبذلك يكون من واجبهم الإسراع في تجميع يهود في أرض فلسطين.

هذا ما ساعد على وجود صهيونية غير يهودية، وبهذه الطريقة اختلطت المزاعم بالفكر الديني المشوش والمزوّر بالمصالح الاستعمارية، فبرزت الصهيونية المسيحية، خاصة في الوسط البروتستانتي في بريطانيا وبعدها في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد رفع البريطانيون من درجة حماسهم للمشروع مع ضعف الدولة العثمانية والسعي الأوروبي لوراثتها، وهذا ما يفسر لنا لماذا تمسك الإنكليز بأن تكون فلسطين من نصيبهم في تقسيمات سايكس – بيكو مع فرنسا في نهاية الحرب العالمية الأولى.

إن عوامل عديدة تداخلت حملت أوروبا على تشجيع استيطان يهود في فلسطين وتجميعهم فيها. وعطفاً على المبرر الديني، الذي ذكرناه سابقاً، لا بد من تذكر عوامل أخرى منها أن المجتمعات الأوروبية كانت تعاني من يهود وانعزالهم داخلها، حيث كانت أحياء يهود تشكل مشكلة أمنية واجتماعية وسياسية للأوروبيين، لذلك أرادوا التخلص منهم، وهذا الأمر كان بين الدوافع التي حملت الأوروبيين على دعم المشروع الصهيوني.

ويمكننا أيضاً ذكر عامل آخر هو أن أوروبا – خاصة بريطانيا وفرنسا واليوم أمريكا – وجدوا في يهود مخفر شرطة جاهز لو وطّنوه في فلسطين قلب الأمة العربية لساعدهم ذلك على حماية مصالحهم في المنطقة، ويفسر لنا ذلك ما يقدم منهم وما قدم ليهود منذ بداية مشروع الاستيطان من إمكانات وتسهيلات، هذا إضافة الى أن بعض المستوطنات بناها أوروبيون، ولعل أوائل المستوطنات كانت بجهود بريطانيين.

يتضح لنا هذا الاتجاه الأوروبي أول ما يتضح من ذلك النداء الذي وجهه نابليون بونابرت الفرنسي، أثناء حملته الاستعمارية ضد الأمة العربية وضد

المسلمين في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ففي نيسان 1799م خاطب نابليون يهود جميعاً على مساندة حملته الاستعمارية واعداً إياهم بتمكينهم من بيت المقدس وبأنه سيفتح الباب لاستيطان يهود في فلسطين.

ويتضح لنا ذلك ثانياً من توجه برز من صهيوني غير يهودي هو بالمرستون (1784م – 1865م)، الذي كان وزيراً لخارجية بريطانيا أوائل القرن التاسع عشر، وتوجهه هو استخدام يهود حماة لمصالح الاستعمار من خلال ترحيلهم الى فلسطين.

لقد أعلن بالمرستون "في رسالة بعث بها الى السفير البريطاني في استانبول بتاريخ 11 أغسطس 1840م أنه: إذا عاد أفراد الشعب اليهودي الى فلسطين تحت حماية السلطان العثماني وبناء على دعوة منه فإنهم سيقومون بكبح جماح أي مخططات شريرة قد يديرها محمد علي أو مَنْ سيخلفه في المستقبل" (1).

إن الصهاينة، يهوداً كانوا أم غير يهود، يتحدثون عن استيطان يهود في فلسطين على أنه عودة، وفي ذلك بُعْدٌ عن الواقع وتزوير كبير، لأن العودة تكون لمن خرج من أرضه حيث نقول اليوم مثلاً: عودة الفلسطينيين الى أرضهم، لكن يهود، وهم من قوميات وجنسيات متعددة، وكما مر معنا سابقاً، نسبة 92 بالمئة منهم من أصل خزري، وبناء عليه نسأل أية عودة هذه التي يتحدثون عنها؟ وإن أرادوا عودة فعلية فليعملوا إذاً من أجل إحياء إمبراطورية الخزر على بحر قزوين، وبذلك يكون رجوع يهود الى بلدهم فعلاً ألا وهي مملكة الخزر البائدة.

لكن الأطماع الأوروبية بالسيطرة على الأمة العربية، وهي القلب في العالم الإسلامي وفي العالم الثالث قاطبة، إنطلاقاً من السيطرة على فلسطين كأهم موقع استراتيجي – يمكنهم من هذه السيطرة – هو ما دفع الأمور باتجاه التفكير الأوروبي المبكر بالاستيلاء على فلسطين عبر أداة هي الصهيونية ويهود فيها.

لقد تم التعبير عن هذه الأطماع بطرق مختلفة، ومن النماذج عن ذلك مقال نشرته جريدة التايمز اللندنية في 10 أغسطس (آب) عام 1840م تحت عنوان "إعادة توطين اليهود" جاء فيه:

"إن اليهود الغربيين بحوزتهم القدرة المالية على شراء أو استئجار فلسطين من السلطان العثماني، وإرسال أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود ليستقروا فيها شريطة أن تتمثل الدول الخمس الكبرى بتوفير الحماية اللازمة لهم. إن قيام دولة يهودية سيفصل بين تركيا ومصر، وسيدعم النفوذ البريطاني في الليفانت سياسياً وعسكرياً واقتصادياً،

وبمعنى آخر فإن هذه الدولة المقترحة ستكون أداة لخدمة مصالح الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق الأدنى" (1).

بذلك نلاحظ كيف أن فرنسا نابليون وبريطانيا البيوريتيين بدأتا بالتنافس للانقضاض على فلسطين من خلال إحياء فكرة استرجاع يهود التي ليس لها مستند أو مرتكز، لكن تحريكها كان بهدف إيجاد رداء يسترون به أطماعهم التي كانت منذ الحروب الصليبية، مع تبديل في الأسلوب وثبات على الهدف، هدف السيطرة على الأمة العربية لما لموقعها من أهمية في مفاهيم الجغرافيا السياسية عالمياً، ولأنها أرض ثروات روحية واقتصادية يحاولون، من خلالها، تحقيق أطماعهم بتوفير مناجم للخامات وأسواق لبضائعهم.

الاقتصاد وحب السيطرة اقترنا عندهم بطرح ديني أصولي ترافق مع تصاعد مناخ الحركة البروتستانتية التي ساهمت في نشر الأدبيات اليهودية.

مِنَ الذين أقروا بهذا الأمر وتحدثوا عنه، المفكر المصري القبطي الدكتور رفيق حبيب، ومما جاء عنده: "وإذا كان التعاطف الديني مع اليهود، قد ظهر في القرن السابع عشر في إنجلترا، فإن ذلك كان نتاج الفكر الأصولي الحرفي الذي جعل من اليهود شعباً مختاراً لله وحتى نهاية العالم. وفي ذلك الوقت، بدأ ظهور المؤشرات الأولى لنظرية الملك الألفي، التي ظهرت بقوة، لم يسبقها مثيل، في منتصف القرن التاسع عشر، لتبسط نفوذها على الأصولية الأوروبية، ومن بعدها الأمريكية" (1).

إن يهود، الذين يقمون في أحياء خاصة "غيتوات" في المدن الأوروبية والأمريكية، وجدوا في هذه الصهيونية غير اليهودية، ضالتهم لأنهم من خلالها يتحولون من جماعات منعزلة لا نفوذ لها، ولا مكانة في مجتمعات تنبذهم بسبب ممارساتهم غير المقبولة في مختلف وجوه الحياة.

فبواسطة هذا المشروع الأوروبي سيتحولون الى أصحاب نفوذ، والى أداة لا تستغني عنها دول الاستعمار، من فرنسا الى بريطانيا الى أمريكا حالياً، لذلك بدأوا يعملون على تسعير العداء عند يهود ضد مجتمعاتهم ليولدوا مشكلة الانفصال. إن الصهيونية كانت حريصة "على الاستثنائية والانفصالية لكي توثق الفكرة القائلة بأن اليهود غير آمنين في الشتات إلا في دولة منفصلة فقط.. . إن السبب الحقيقي لهذا التزوير التاريخي، الذي أقدم عليه الصهيونيون، سياسي، والمقصود من الاستثنائية بتر دولة إسرائيل من المجتمع الدولي وجعلها تقيم، مع بقية البلدان، ليس علاقات سوية قائمة على الفهم المتبادل والمصالح المشتركة والأهداف السلمية . . . بل إقامة علاقات غير عادية قائمة على الشعور بالذنب، بحيث تكفي إثارة فكرة المحرقة، خارج السياق التاريخي، حتى يكون كل شيء مسموحاً به للضحية الاستثنائية" (1).

إن يهـود افتعلـوا إشـكالية اسـمها "اللاسـامية" وتـذرعوا بهـا ليـستدرجوا الحكومات في أوروبا وأمريكا كـي تـدعمهم، علمـاً أن هـذه الحكومـات هـي التـي كانـت تريـدهم أداة لأطماعهـا، لكـن يهـود أرادوا التعجيـل فـي تنفيـذ مـشروع هجـرتهم الـى فلـسطين وإقامـة دولـة لهـم يـستقلون بهـا، لـذلك مارسـوا العـدوان علـى يهـود أنفـسهم لكـي يحملـوهم علـى الاسـتعداد للهجرة، ومن الدلالات على ذلك مساهمتهم في ألمانيا نفسها، زمن حكم هتلر، بقتل يهود لكي يعجلوا بمشروعهم السياسي.
لقد مارس يهود، من خلال منظمتهم الصهيونية وقبلها، الإرهاب على يهـود حيثما وجدوا ليدفعوهم على ترك أوطانهم الأصلية والوفـود الـى فلـسطين و"أبـرز مظـاهر هـذا النـوع مـن الإرهـاب وأهمـه الـذي كـشف عنـه المـؤرخ الإسـرائيلي تـوم سـيغف (مـن أصـل ألمـاني) فـي كتابـه (تحـت حمايـة الغستابو) مبيناً تواطؤ الحركة الصهيونية مـع الحركـة النازيـة لتهجيـر اليهـود الى فلسطين" (2).

ضمن هذه الأجواء خطا يهود خطوة الى الأمام في محاولة لتنظيم صفوفهم كي يتمكنوا من الوصول الى أهدافهم، وكي يشكلوا أداة قائمة فعلاً تشجع الاسـتعمار علـى توظيفهـا لتحقيـق أغراضـه، وهكـذا بـدأ يتـوالى ظهـور المنظمات الصهيونية، والصناديق المالية الصهيونية والمطبوعات الى أن توّج ذلك بمحطة رئيسية على طريق تحقيق الأطمـاع هـي محطـة مـؤتمر بـازل في سويسرا.

لقـد انعقـد، بزعامـة تيـودور هرتـزل، المؤتمرالـصهيوني الأول فـي شـهر آب (أغـسطس) سـنة 1897م فـي مدينـة "بـازل" السويـسرية. وقـد لخـص المؤتمرون أهداف المؤتمر بالمقولـة التاليـة: "تهـدف الـصهيونية الـى إقامـة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القـانون العـام". والقـانون العام ليس المقصود به هنا مسألة حق، وإنمـا المقـصود بـه انتـزاع اعتـراف من دول النفوذ يومها يبيح للصهاينة ممارسة عـدوانهم، لا بـل يريـدون قـراراً من دول النفوذ بدعم مشروعهم لتوطين يهود في فلسطين وطـرد سـكانها منها.

المشروع الصهيوني إذن يقوم على التهجير لكن بـوجهين يعتمـدان الإكـراه. إنهم يريدون، بشتى الوسائل، حمل يهود على قبول فكرة الاسـتيطان فـي فلـسطين، وتـرك بلـدانهم الأصـلية، وفـي الوقـت عينـه يريـدون إكـراه الفلسطينيين والعـرب علـى تـرك أرضـهم وممتلكـاتهم لتـؤول لهـم، وكـذلك بشتى الأساليب.

وكانـت قـد ترافقـت، مـع هـذه التوجيهـات اليهوديـة، تطـور فكـرة الأصـولية المـسيحية – خاصـة فـي بريطانيـا – وفـي قلـب هـذه الأصـولية الأخـذ

بالحساب للمشروع السياسي الأوروبي بالسيطرة على الأمة العربية، والشرق عامة، تحقيقاً لمصالحهم الاستعمارية.

وكان قد جاء تقرير سياسي من لجنة استعمارية بريطانية يساعد على تشجيع فكرة إعطاء فلسطين ليهود. هذا التقرير أعدته لجنة من الخبراء كلفها رئيس وزراء بريطانيا سنة 1905م كامبل برمان، وقد عرفت اللجنة باسمه، وملخص ما جاءت به هذه اللجنة هو ضرورة إقامة كيان سياسي غريب في فلسطين لمنع تنفيذ مشروع سياسي يريد توحيد الأمة العربية وذلك من أجل ضمانة المصالح الاستعمارية في المنطقة، وفي مقدمتها، يومها، قناة السويس وما لها من أهمية استراتيجية في ربط القارات ببعضها.

في ظل هذه الظروف والمعطيات، وعشية الحرب الأولى، ومع بدء مشروع السيطرة الأوروبية المباشرة، صدر وعد بلفور في 1917/11/2، وبلفور هو وزير خارجية بريطانيا يومها، وقد وجّه وعده الى رجل المال اليهودي روتشيلد. ونص الوعد نشرته الصحف البريطانية في 1917/11/9، وهو على الشكل التالي:

"عزيزي اللورد روتشيلد:

يسعدني كثيراً أن أنهي اليكم، نيابة عن حكومة جلالة الملك، التصريح التالي: تعاطفاً مع أماني اليهود الصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء:

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف. وليكن مفهوماً بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين، أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أية دولة أخرى.

إني مدين لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح الى الاتحاد الصهيوني".

آرثـــــر بلفـــــور

---

(1) سفر المزامير، مزمور 136، الآيات 1، 3، 5، 6.

(1) حلاق، د. حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، بيروت، منشورات جامعة بيروت العربية، سنة 1398 هـ – 1978م، ص 123، 124.

(1) حلاق، د. حسان، م. س.، ص 222.

(1) المسيري، د. عبدالوهاب، الصهيوني، في: الموسوعة الفلسطينية، م. س.، ص 234.

(1) الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ربيع الأول 1406 هـ، كانون الأول 1985م، ص 50.

(1) المسيري، عبدالوهاب، الصهيوني، في الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، م. س.، ص 237.

(1) المسيري، د. عبدالوهاب، الأيديولوجية الصهيونية، القسم الأول، م. س.، ص 136.

(1) يراجع: محمود د. أمين عبدالله، مشاريع الاستيطان الصهيوني منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، شباط 1984م، ص 20.

(1) حبيب، د. رفيق، المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية والأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي، القاهرة، يافا للدراسات والنشر، ط 1، سنة 1991م، ص 25.

(1) كارودي، روجيه، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، تعريب الدكتور إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، سنة 1984م، ص 78.

(2) السماك، محمد، الإرهاب والعنف السياسي، بيروت، دار النفائس، ط 2، سنة 1412 هـ – 1992م، ص 86.

الفصل الحادي عشر
الصهيونية ومشروعها التوسعي
وسُبل مواجهته

يزعم يهود أن إقامة دولة لهم في أرض فلسطين ما هو سوى تنفيذ لوعود الرب بأنه ستكون لبني إسرائيل أرض كنعان من الفرات الى النيل،

وفلسطين التي يزعمون أنها أرض ميعاد، ما هي إلا قاعدة ومنطلقاً لتنفيذ هذه النبوءة الحلم.

ودولتهم هذه التي أوجدوا لها رداءً دينياً يستر مشروعهم السياسي، دولة لا حدود لها مرسومة أو معلومة. وهذا الأمر لا يظهر فقط في فكرهم الديني والسياسي، وأدبياتهم عامة، إنما يظهر كذلك من طلب انتسابهم لهيئة الأمم المتحدة، فكل دولة في هذه الهيئة لها في ملف انتسابها خريطة وحدود جغرافية، إلا دولة إسرائيل فقد قُبِلت عضويتها دون أن تحدِّد حدودها الجغرافيا، وهذا أمر يؤكد أطماع العدو ويبيِّن حقيقة الفكرة التوسعية عند الأعداء الصهاينة.

وما دمنا قد عرفنا أن العدو الصهيوني ومن وراءه قد عكسوا المعتقد الديني والفكرة الدينية عندهم مشروعاً سياسياً عدوانياً، يكون من المفيد أن نبيِّن حقيقة نواياهم التوسعية من خلال نصوص العهد القديم. من هذه النصوص. "في ذلك اليوم بتّ الرب مع أبرام عهداً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات" (1).

وفي نصر آخر: "وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلهاً" (2).

ومن النصوص التي برروا بها مشروعهم التوسعي ما أوردوه على أنه خطاب ليشوع بن نون خادم موسى عليه السلام والنص هو:

"إن موسى عبدي قد مات، والآن قم فاعبر هذا الأردن أنت وجميع هؤلاء الشعب الى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل. كل مكان تطأه أخامص أرجلكم لكم أعطيته كما قلت لموسى" (3).

إن الدولة المنشودة من قبل الصهاينة، استناداً الى هذه النصوص وسواها، إذن دولة بلا حدود تتسع بمقدار ما تتحقق السيطرة، وبمقدار ما يتمكنون من تحقيق التوسع العسكري. فالسمة التي تميِّز الاستعمار الصهيوني هي الاستيطان والتوسع، وذلك لا يتم إلا بطرد سكان البلاد المحتلة من قبلهم منها، كما كان منهجهم في الماضي، وكما هي منهج المهاجرين الأوروبيين الى أمريكا، بعد اكتشافها، حيث عملوا على ملاحقة الهنود الحمر، سكان البلاد الأصليين، والتفنن في اصطيادهم بعيداً عن أية اعتبارات انسانية، وخلافاً لأية شريعة أو قانون.

إن الواقف على حقيقة النوايا الصهيونية يرى أن مشروعهم يتمثل في ذاك التمادي "في التوسع، بالاحتلال العسكري للأرض تحت ذرائع عقيدية دينية، وتاريخية مزعومة، ثم تهجير سكان هذه الأرض واستبدالهم بمهاجرين يهود من كل أنحاء العالم، تحت ستار العودة الى أرض الميعاد،

ثم بناء المستوطنات على أراضي الغير، مع استنفار شامل ليهود العالم على مختلف الصور، وعلى كافة المستويات التنظيمية والحكومية والشعبية للدفاع عن إسرائيل، وتبرير توسعها، بحيث بلغ الربط المحكم بين العقيدة الدينية، وبين الوجود السياسي والكياني العام، لم يُسمى دولة إسرائيل، ما لم تبلغه أية نظرية عنصرية في العالم" (1).

إذن، يعمل يهود على استنفار كافة الطاقات الممكنة من أجل تحقيق هدفهم التوسعي، ومشروعهم السياسي يعطى دائماً تبريراً دينياً، وهذا أمر لا يخفى على أحد أهمية الربط فيه لدى الشعوب. فعندما يصبح المشروع السياسي مبرراً دينياً، أو على شكل نص زُعِم أنه ديني، فإنه من البديهي أن يصبح الحماس لتنفيذه شديداً، لأن المنفِّذ يرى في عمله عبادة وتنفيذاً لأمر ديني يؤجر عليه، لهذا كان يهود، وما زالوا، يعطون بكل فعل يقدمون عليه مرتكزاً يزعمونه أنه ديني، وهذا أمر لا يفيد على صعيد يهودي فحسب، بل أفادهم، وما زال، على صعيد كافة الصهاينة غير اليهود بدءاً من جماعة "البيوريتيين" المتطهرين في بريطانيا.

ونظريتهم في التوسع والاحتلال تقوم على الاقتلاع للآخرين وإلغاء وجودهم، لأن فكرهم الإنعزالي العنصري "الجيتوي" لا يمكنهم من العيش مع غيرهم، لذلك لا تستقر الأمور لهم وفق ظنهم إلا باستئصال سواهم من الشعوب حيث يقيمون. ويسندون فكرتهم هذه لنصوص توراتية منها: "والرب إلهك يستأصل أولئك الأمم من بين يديك قليلاً قليلاً. إنك لا تقدر أن تفنيهم سريعاً لئلا يكثر عليك وحش الصحراء" (1).

إن استخدام العنف لإلغاء الآخرين ونهب ما عندهم أو تسخيرهم، مسألة لها مبرراتها في النصوص الواردة في الصيغة المتداولة للعهد القديم من الكتاب المقدس، ولقد عمل يهود على إقناع "جنودهم بأنهم يحملون رسالة الرب، وهي تخليص العالم من الأنجاس والأمميين، وذلك سيف الرب يزلزل أعداء شعبه، ويلعن لاعنيه، ويمجد ممجديه.. . الجندي الإسرائيلي متعطش دوماً لدم أعدائه" (2).

ولقد جاءت نصوص كثيرة تخدم هذا المنطق، ومن المفيد أن نذكر بعضها لنرى كيف أن الأدبيات، في الفكر الديني اليهودي، جاءت لتخدم منطق الصهيونية بكل ما تنفذه.

جاء في سفر العدد عن أدب الحرب عند يهود، الذي يقوم على نظرية الإجهاز على الخصم أو العدو، النص الآتي: "هو ذا شعب كلبؤة يقوم وكشبل ينهض لا يربض حتى يأكل الفريسة ويشرب دم الصرعى" (1).

إن المفاهيم الدينية المزعومة عند يهود تظهر وكأن غاية شريعتهم "تنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً على أعدائهم من الغوييم.

والشريعة تركز تركيزاً خاصاً على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليديين" (2).

هذه العدوانية كانت من مبررات الالتصاق بين الاستعمار الغربي، الذي تم بعد اكتشاف أمريكا، والذي عمد الى تصفية الهنود الحمر واقتلاعهم، وكذلك الحال بالنسبة لهؤلاء الذي يريدون تكرار التجربة.

إن الدين مسخّر عندهم للهدف السياسي والمالي وللمصالح، لذلك نرى النص الديني والفكر الديني عندهم يكونان في خدمة الهدف السياسي، وخدمة الهدف السياسي قد تستلزم أحياناً تحريف النص أو تحريف المفهوم، وهذا أمر سهل حصوله وتنفيذه.

ولقد كان المرتكز للممارسة العدوانية الانفصالية ليهود العنصرية المبنية على فكرة شعب الله المختار المزعومة. لذلك يصح القول: "إن فكرة الشعب المختار سياسياً، إجرامية، ذلك أنها أضفت القداسة على العدوان والتوسع والسيطرة. إن فكرة الشعب المختار، لاهوتياً، غير محتملة، لأن وجود المصطفين يقتضي وجود المبعدين.

إن كل سياسة تدّعي الاستناد الى هذه الخرافة تؤدي الى إنكار ورفض الآخر" (1).

إن عنصريتهم القائمة على فكرة "شعب الله المختار" ولّدت عندهم حالة استعلاء زعموا من خلالها أنه لا أحد مثلهم، لذلك يأنفون من التعامل مع الآخرين، وقد وردت نصوص عندهم، على شكل وصايا، تردشهم الى عدم تناول طعام غير اليهودي، وعدم إلقاء التحية عليه، وعدم الامتثال أمام قاضٍ غير يهودي . . . الخ.

إن أسلوبهم قائم على العنف، وإن ظهروا أحياناً بلباس الوداعة. وصدق الشاعر حيث قال:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلُّب في أنيابها العطبُ

إن المفاهيم التي أرادوا تعزيزها هي أن دينهم" دين قتالي حربي يلبس لبوس النعاج لإخفاء نواياهم المكيدية، وهكذا فإن اعتداءاتهم الوقحة، غير المسببة ولا المحرضة من الغير، تبرر دينياً، وكذلك فإن كل سرقاتهم، وجرائمهم، وكذبهم لها مبرراتها الأخلاقية.

. . . وما نحن سوى النعاج الغوييم، والذئاب الفريسيون ما فتئوا يؤكدون لنا واجبنا الأخلاقي هو أن ندعهم يفترسوننا، فالإبادة الجماعية للغوييم هي أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود" (2).
إن الفكرة السياسية عند يهود، والتي باتت فكرة صهيونية فيما بعد، تقوم – كما مرّ سابقاً – على استخدام العنف لدرجة إبادة الآخرين لأن الأمر لا يستتب لهم – وفق رأيهم – إلا إذا نجحوا في تكرار تجربة الأوروبيين مع الهنود الحمر في القارة الأمريكية.

وإذا كان أمريكيون كثيرون قد ساهموا في بناء المستوطنات الأولى في فلسطين المحتلة، منذ القرن التاسع عشر، فإن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل تجاوزه الى حد الارتباط المصيري مصلحياً بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني.

لقد برزت المساهمات الأمريكية في السعي لتحقيق الحلم الصهيوني مبكراً، من ذلك رحلة قام بها ضابط بحار أمريكي هو وليام لينش (W. LINSH) في نهر الأردن والبحر الميت سنة 1847م، وكان يريد استطلاع واقع الحكم العثماني ومدى تماسك الوضع السياسي العربي في ظله، مما يعطي مؤشراً على إمكانية أو عدم إمكانية تنفيذ الحلم الصهيوني المدعوم أوروبياً وأمريكياً.

ومن نماذج الحركة الصهيونية في الجانب الديني المسيحي رموز ساهموا في تنفيذ الاستيطان، منذ أيامه الأولى، أبرزهم وليام بلاكستون (WILLIAN BLACKSTON) (1841م – 1935م) "وهو رجل دين ومؤلف ورحّالة وثري، ومن أوائل من مارس الضغط المؤسسي والمنظم على صانعي القرارات الأمريكية لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية السياسية. فقد نشر بلاكستون عام 1878م لأول مرة كتاب "عيسى قادم" (JESUS IS COMING)، والذي تُرجم الى أكثر من 48 لغة – ومنها اللغة العبرية – وطُبع عدة طبعات. . . وكان أخطر منشور للدعوة الصهيونية المتعلقة بالاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي. وقد أشاد بلاكستون، في طبعة كتابه في عام 1908م، باليهود وعودتهم الى فلسطين كإشارة الى نهاية الزمن" (1).

أما على الصعيد الرسمي فإن الرؤساء الأمريكيين تبنوا، في وقت مبكر، المشروع الصهيوني، "ويعتبر الرئيس الأمريكي جون آدامز (1767م – 1848م) أول رئيس أمريكي يدعو الى استعادة اليهود وطنهم وإقامة حكومة مستقلة. وقد كتب رسالة الى الصحفي الصهيوني مانويل نوح عام 1818م يقول فيها: أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهودا" (2).

وتوالى بعد ذلك تسلم السلطة الأمريكية من قبل رؤساء مؤمنين بالصهيونية منهم ولسون المسيحي الإنجيلي، وصولاً الى كارتر، وريغان، وجورج بوش، وكلينتون، وكلهم لم يخرجوا عن المنهج السياسي الأمريكي الذي ارتبط ارتباطاً وجدانياً ثقافياً بين الأمريكيين ويهود من خلال التشابه في المشروع السياسي الذي ينوي إبادة أهل البلاد الأصليين، هذا عطفاً على المصالح الأمريكية التي تشكل دولة إسرائيل الحارس لها.

إن الإبادة التي يمارسها يهود في الأرض المحتلة مقبولة أمريكياً، فلقد "كانت مطاردة مهاجري أوروبا للهنود الحمر، في العالم الجديد الأمريكي، مشابهة لمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين. وقد خلق التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة ووجداناً متشابهاً ومشتركاً بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. فالذين هاجروا الى هذه البلاد، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أبادوا معظم سكانها الأصليين من الهنود الحمر واستوطنوا مكانهم، والذين هاجروا، وما زالوا يهاجرون، من يهود العالم الى فلسطين المحتلة، في العصر الحديث، استخدموا أساليب متطورة في طرد سكانها العرب الفلسطينيين الأصليين واستوطنوا أراضيهم، بل حاولوا إبادتهم" (1).

يضاف الى جملة الأنشطة الأمريكية لقيام دولة صهيونية في أرض فلسطين وما حولها، والتي شارك فيها الأمريكيون على مختلف المستويات، قرارات رسمية عديدة جاءت تتبنّى، بالكامل، كل مشروع صهيوني. من هذا القبيل نرى أن "الكونجرس الأمريكي، تبنياً منه لقرار المؤتمر الصهيوني اليهودي، الذي عقد في نيويورك في العام 1942م، اتخذ في العام 1944م قراراً تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية؛ بموجبه بذل قصارى جهدها من أجل فتح أبواب فلسطين أمام اليهود للدخول اليها بحرية لإتاحة الفرصة أمامهم لاستعمارها حتى يتمكن الشعب اليهودي من إعادة تكوين فلسطين يهودية ديموقراطية حرة" (2).

والإرهاب – كما علمنا سابقاً – مفهوم يهودي للعمل، يشكل المرتكز الأساسي، لذلك تصرّف يهود، منذ أوائل الهجرات والمستوطنات الى فلسطين المحتلة التي جاءت بدعم بريطاني وأمريكي وأوروبي عام، على أنهم مؤسسة عسكرية بجملتهم، ولهذا ترافق إنشاء الفرق الإرهابية مع إقامة المستوطنات. "كانت أول منظمة إرهابية مسلحة قد أُنشئت في عام 1907م باسم هاشومير، أي الحارس، وقد أسسها دافيد بن غوريون وإسحاق بن زفي، وهما من رواد الموجة الثانية للهجرة (1904م – 1914م) وكان شعار المنظمة: العمل والدفاع، وأعضاؤها من المقاتلين والبنائين.

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى وجد زعماء الصهيونية الفرصة مناسبة لإنشاء قوات مسلحة يهودية تعمل في ميدان الشرق الأوسط

تحت إمرة القيادة البريطانية. وكان للحركة الصهيونية من ذلك غرضان: أولهما استخدام هذه المشاركة في المساومة السياسية مع بريطانيا من أجل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وثانيهما إعداد قوة عسكرية يهودية تكتسب الخبرة والتجربة في القتال والقيادة.. . هكذا تم إنشاء (الكتائب اليهودية) التي عملت مع القوات البريطانية التي احتلت فلسطين" (1).

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان للصهاينة ثلاث منظمات عسكرية هي: "هاشومير، وقوات الدفاع الذاتي، التي شكلها جابوتنسكي، وفرق العمال التي أسسها ترومبلدور، وقد تم حل هذه المنظمات إثر قرار الهستدروت بإنشاء الهاغاناه في حزيران 1921م، وتبع ذلك نشوء منظمات عسكرية، وشبه عسكرية وإرهابية مسلحة، مثل إرغون تسفاي لئومي، وبالماخ، القوة الضاربة للهاغاناه.

وقد بلغ دعم سلطات الانتداب البريطاني الأهداف الصهيونية ومنظماتها لإرهابية حداً كبيراً حين سمحت لليهود، في عام 1936م، بإنشاء مجموعة نظامية مسلحة أطلقت عليها اسم شرطة المستعمرات اليهودية. . . وبلغ حجم هذه القوات، عام 1937م، حوالي 3800 يهودي، ثم اتسع حتى بلغ نحو عشرين ألف رجل قبيل قيام (إسرائيل)" (1).

الهاغاناه، ومعناها الدفاع، كانت المنظمة العسكرية الأساسية التي ساهمت في التحضير لقيام الدولة الصهيونية في أرض فلسطين من العام 1921م، تاريخ تأسيسها، حتى عام 1948م.

بعد ذلك وفي 1948/5/26 أصدر بن غوريون قراراً بإنشاء جيش الدفاع الإسرائيلي الذي يتألف من:

1) جيش نظامي محترف قوامه الرئيسي الضباط والاختصاصيون.

2) خدمة إجبارية يُجنّد فيها الفتيان والفتيات من عمر 18 سنة.

3) قوات احتياطية تشكل القسم الأعظم من الجيش في زمن الطوارئ والحرب (2).

القوة والعنف فلسفة يقوم عليها المشروع الصهيوني اليهودي، لكن البريطانيين وورثتهم الأمريكيين التزموا هذا النهج، وساهموا في تأصيله، ودعمون بكل ما يستطيعون خاصة لأن القوات الصهيونية، في الأرض المحتلة، قامت وفي نشأتها الاستعداد للعمالة، فكما عملت تحت إمرة الإنكليز منذ عهدها الأول لا مانع عندها أن تعمل بإمرة الأمريكي ولاحقاً مع أية قوة تكون لهم معها مصلحة.

لكن في أيامنا هذه تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية، رسمياً وشعبياً، المشروع الصهيوني وتدعمه بكل ما يمكن، وأترك هنا للصحفية الأمريكية ذات النشأة الإنجيلية، أو النشأة الصهيونية المسيحية، غريس هالسل (GRACE HALSELL) تقص علينا بعض مشاهداتها في فلسطين المحتلة، حيث عاشت بصفة مراسلة صحفية منذ أواخر السبعينات.

تقول غريس هالسل: "في عام 1979م قابلت فلسطينياً، لأول مرة في فلسطين المحتلة، أخبرني كيف أُجبر، بقوة السلاح، على مغادرة الأرض التي زرعها أبوه وجده وأسلافه منذ مدة طويلة.

أقمت في إحدى المستوطنات اليهودية اللاشرعية المسماة: تيكوا، في الضفة الغربية، عشت فترة من الوقت في بيت ليندا وبوبي براون من الجيل الثالث الأمريكي. وقد أخبراني أنهما استخدما بنادق ورشاشات عوزي لأخذ الأرض من الفلاحين الفلسطينيين" (1).

وتضيف هالسل، متحدثة عن الدعم الأمريكي الشعبي المسكوت عنه رسمياً لمنظمات الإرهاب اليهودية في فلسطين المحتلة، التي تمارس العنف لإبادة الفلسطينيين، أو على الأقل طردهم من أرضهم، فتقول:

"قال يهودا شفارتز، رئيس تحرير مجلة الصحافة اليهودية، أثناء جمع الأموال لصالح الإرهابيين اليهود: إنه عمل بالتعاون الوثيق مع الحاخام آفي فايس رئيس المعهد العبري في ريفرديل في نيويورك. قال فايس: إنه جمع بمفرده 100.000 دولار من اليهود الأمريكيين لدفع نفقات الإرهابيين القانونية، وقد دفع اليهودي الكهل شاري فوكس من فلوريدا 75.000 دولار من هذا المبلغ" (1).

وتتابع هالسل: "إن حركة مستوطني غوش أيمونيم جنت الثمار عبر السنين في أمريكا حيث جمعت مئات الألوف من الدولارات كتبرعات خاصة، حسب رواية داني روبنشتاين مراسل دافار في الضفة الغربية ومؤلف كتاب عن غوش أيمونيم.

يقول المؤلف إن أكثر متبرع له كان ماركوس كاتس، تاجر السلاح المكسيكي، الذي مثّل صناعة السلاح الإسرائيلية في إيران، وفيما بعد في أمريكا الوسطى، كما ساعد كاتس أيضاً في تمويل معركة قانونية خاضها آرييل شارون ضد مجلة تايم. كما أن سيريل شتاين، المعروف بملك صناعة القمار في لندن، قدم أيضاً مبالغ طائلة الى غوش إيمونيم، حسب رواية روبنشتاين.

تعتبـر الخزانـة الأمريكيـة أكبـر مـصدر لتمويـل غـوش إيمـونيم ومـستوطناتها اللاشرعية في الضفة الغربية" (2).

إن هذه التصريحات تعطينا فكرة واضحة عن الاتجاه الأمريكي الصحيح علـى مختلف مستوياته الرسـمية والشعبية، حيال مسألة احـتلال الأراضـي وبنـاء المستوطنات، فإن الاتجاه الصهيوني والأمريكي واحـد، إنـه التوسـع وإقامـة المستوطنات واستخدام القوة لطرد السكان العرب من الأراضي المحتلة.

وتأتي عند غريس هالسل مقابلة مع البروفسور غوردون ويلتي، من جامعة رايت الحكومية في ولاية أوهايو، وتقول هالـسل إنهـا سـألته "كيـف يـسوِّغ المسيحيون نفـي وجـود حـوالي بليـون مـسلم ويمتـدحون التبـرع بملايـين الدولارات لهدم أماكنهم المقدسة؟ ".

قال الدكتور ويلتـي: الأصوليون الإنجيليـون، الـذين يجمعـون الأمـوال لتـدمير المـسجد (1)، يمارسـون نفـس لاهـوت القـوة الـذي مارسـه الكثيـرون مـن أجدادهم، لقد آمنـوا أن مـن القـوة والأخـلاق والحـق اكتـساب الغـرب وذبـح الهنود والتقـدم بحـضارة البـيض، وبعـد ذهـاب المنطقـة الحدوديـة الأمريكيـة فإنهم يحاولون خلقها في مكان آخـر، وهكـذا أصـبحت أحـلام المـستوطنين في صهيون الجديدة هي صهيون القديمة في فلسطين.

وتماماً كما سوّغ بعض المـستوطنين المـسيحيين قتـل الهنـود، فـإن بعـض المــسيحيين الآن يــسوِّغون تقــديم الأمــوال للــصهاينة الــذين يقتلــون الفلسطينيين" (2).

إن أتباع الصهيونية المسيحية يقدمون للمشروع التوسعي الإسرائيلي كـل الدعم الممكن، بما في ذلك الدعم من أجـل تـدمير مقدسـات المـسلمين، علماً أن النتائج تفيـد أن يهـود يهـدمون المقدسـات الإسـلامية والمـسيحية على حد سواء.

إن يهود، الذين خاصموا المسيح عليـه الـسلام نفـسه، لا يمكـن أن يكونـوا أصدقاء لأي مـسيحي، وقـد صـرحوا بـذلك فـي أدبيـاتهم مـرات كثيـرة. مـن الكلام التلمودي في هذا الباب الذي ذكره الأب براناياتس ما يلي:

"اليهودي وحده يُحترم كرجل، كل ما ومن فـي العـالم لـه، وجميـع الأشـياء يجب أن تكون في خدمته، خـصوصاً الحيوانـات التـي لهـا أشـكال آدميـة. . . إنهم يعتبرون جميع أنواع التعامـل مـع المـسيحيين مفـسدة، وانتقاصاً مـن قدر كرامة اليهود، وعلى هذا، فالمفروض على اليهود أن يتعهـدوا بالابتعـاد، قدر المستطاع، في عيشهم وتعاملهم عن المسيحيين" (1).

إن الاستعلاء اليهودي المرتكز الى عقيدة "شعب الله المختار" جعلت من يهود حالة شاذة، وجماعة تحترف العداء لكل من سواها، لذلك فالتوسع على حساب الآخرين هو ديدنهم، سواء أكان توسعاً استيطانياً في أرض محتلة، أم توسعاً اقتصادياً بالهيمنة على الشركات والمؤسسات، أم توسعاً ثقافياً باستبدال مفاهيم الآخرين بما يريدونه، كما حصل فنتجت الصهيونية المسيحية، وهكذا دواليك.

إن ما عانت منه الكنيسة الكاثوليكية في الغرب المسيحي سواء من المناهضة البروتستانتية أو من العلمانية، وما خلّفته من فساد يعدُّه يهود نصراً لهم وفرصة كي ينقضوا على القدس، حيث لم يبقَ في مواجهتهم سوى المسلمين.
لقد جاء على لسانهم مقالٌ في صحيفة "المورنينغ نيوز" اللندنية، في 1920/9/6، فيه: "لن يكون اليهودي، تحت أي ظرف، صديقاً للمسيحي أو المسلم قبل أن تحين اللحظة التي يشعّ فيها نور الإيمان اليهودي على العالم... ينبغي أن تنتشر التعاليم اليهودية في العالم بأجمعه. وكيفما قادنا القدر، وبالرغم من تشتت شملنا في جميع أنحاء الأرض، يجب أن نعتبر أنفسنا العنصر المجتبى. .. إن هدفنا عظيم ونجاحه مؤكد، فالكاثوليكية، عدونا الدائم، مطروحة أرضاً، وإصابة زعامتها مميتة. . . لقد حان وقت جعل بيت المقدس مكان عبادة لكل الأمم والشعوب، وسترتفع راية التوحيد اليهودي خفّاقة في أكثر الشواطئ بعداً" (1).

إن ما عرضناه كافٍ ليدلل على النزعة التوسعية عند الصهاينة لتحقيق أحلامهم بإسرائيل صغرى، ومن ثم إسرائيل كبرى، وإلا لماذا تكون إسرائيل دولة في الأمم المتحدة وليس لها حدود جغرافية واضحة؟ وهذه النزعة التوسعية تقوم على تبرير ديني أخذ به يهود، ومعهم قطاع واسع من المسيحيين الذين تأثروا بالأدبيات العبرية وباتوا يعتقدون أن الألف عام من السعادة التي تبدأ بعودة المسيح المخلص، لا تكون إلا بعد تجميع يهود في أرض فلسطين وما حولها، وبذلك بات الصهاينة المسيحيون يعتقدون أن تجميع يهود في فلسطين، وفي الأرض العربية، واجباً دينياً، هذا عدا عن كونه يحقق لهم ما يريدونه من مصالح وأهداف اقتصادية وسواها.

يضاف الى ذلك، أن نزعة التوسع هذه، مقرونة بالاستعلاء والعنصرية، والتزام فلسفة القوة، وبتسويغ استخدام العنف بشتى وجوهه، المهم أن يتحقق التفوق المطلق لدولة إسرائيل، وهذه الفلسفة تحوّلت الى مشروع استراتيجي أمريكي يلتزمه قادة أمريكا على تنوع أساليبهم وآخر ما سمعناه، في هذا المجال، تصريح كلينتون، الرئيس الأمريكي المنتخب، في أوائل تشرين الثاني من عام 1992م حيث قال بأنه سيعمل من أجل تحقيق التفوق المطلق لدولة إسرائيل عسكرياً.

إن التوسع ومشروعه مقترن بالعنف، ولذلك نرى أنه قد "عمّت فلسفة العنف المجتمع الصهيوني، فتحت شعار الأمن والدفاع، تستمر إسرائيل بالتوسع دون أن يكون لها حدود محددة ترضى بها، وصولاً الا مزيد من التوسع والضم للأراضي العربية، وهذا ما أكد طبيعة الصراع العربي – الإسرائيلي في كونه صراعاً على الوجود، فإما أن تنتصرالأهداف الغربية – الإسرائيلية في إقامة إسرائيل الكبرى على حساب الأرض العربية، وعلى حساب تقدم العرب ووحدتهم، وإما أن يتمكن العرب من رد الغزوة الصهيونية المدعومة من قوى دولية كبرى" (1).

إن التوسع، هذه الأيام، يتخذ شكل مشروع ذي وجهين:

1) وجه استيطاني يقوم على الاحتلال المباشر للأرض وطرد سكانها منها وبناء المستوطنات فيها، واستقدام يهود لها من هنا وهناك.

2) وجه تقسيمي يقوم على العمل من أجل تفتيت الأمة العربية الى كيانات صغيرة عرقية، أو مذهبية، فهذه الكيانات الصغيرة توفر للعدو التفوق المطلق إن لجهة عدم إمكان المواجهة معها أو لجهة وضع كل كيان منها في مواجهة الآخر، وتناحرها مع بعضها.

إن الصهيونية، ومن وراءها من دعاة النظم العالمية كالولايات المتحدة، يرون أن تحقيق الهدف – الحلم على حساب العرب لا يكون إلا بامتلاك القوة المطلقة في المنطقة التي لا يتمكن أحد من مواجهتها.
تأسيساً على ما تقدم نرى "أن الحركة الصهيونية تدرك أن تحقيق غاياتها بإنشاء وطن قومي لليهود، على أرض إسرائيل الصغرى ومن ثم الكبرى، لن يتم ما لم تسلب العرب – أعداءها – كل مقومات القوة. فالتفوق النسبي لا يكفل تحقيق مرامي الصهيونية ولا يحقق الأمن النهائي لدولة إسرائيل، لأنه قابل للتغيُّر، أما العامل الوحيد، الذي يكفل تحقيق الحلم العنصري اليهودي ويكفل أمنه، فهو يسلب العرب كل مصادر القوة بحيث يكونون في موقع الضعف المطلق العاجز عن مواجهة أية خطوة إسرائيلية، او التصدي لأي عدوان صهيوني، وبذلك تمتلك إسرائيل القوة المطلقة في المنطقة.

وحتى تتحقق هذه الغاية، فإن إسرائيل تعتبر أن تقويض الوجود العربي وإنهاءه، وتحويله الى شراذمٍ متصارعة متناحرة طائفياً وعنصرياً ومناطقياً، هو السبيل الوحيد الذي يقوِّض الوجود العربي، ككيان اجتماعي موحّد، ويحقق الحلم الصهيوني في إيصال المنطقة العربية الى موقع الضعف المطلق الذي تقابله القوة المطلقة" (1).

وإذا كان التقسيم والتفتيت العرقي والمذهبي هو المشروع الصهيوني الحالي المدعوم أمريكياً، وهذا أمر صدرت فيه وثائق عديدة لا مجال

لحصرها، وقد عمل الصهاينة والأمريكيون على إقامة مراكزو الدراسات من أجل استكشاف البننى السكانية العربية تمهيداً لوضع الخطط للعبث بها، فليس من باب الصدفة أن تكثر الدراسات والأبحاث عن أمور الأقليات في الوطن العربي، وعن كل قرية ومدينة، ومن جملة ذلك إنشاء المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة الذي تم توقيع بروتوكول إنشائه في أيار (مايو) 1982م، تطبيقاً للمادة الثالثة من الملحق الثالث في ما يسمى "معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية الموقعة في واشنطن في 26 مارس (آذار) 1979م" (1).

إن مشروع التفتيت للمجتمع العربي الى كيانات صغيرة على قاعدة السياسة الاستعمارية القديمة الجديدة "فرِّقْ تسُدْ" هو مشروع تجندت له أقلام يهودية وغير يهودية وأمريكية بشكل خاص، وتصدى لمهمة تنفيذة مسؤولون صهاينة يهود، وفي هذا السياق برزت مقولة أمريكية ملخصها أن مجتمع الأمة العربية مجتمع قيد التكوين، ولم تكتمل شبكة العلاقات الاجتماعية فيه، لذلك من الواجب العمل لإطلاق صيغ الكيانات العرقية والطائفية فيه طالما أنه مجتمع غير مكتمل التكوين الوحدوي حسب زعمهم.

ولعل ساحة لبنان خلال سنوات الحرب الأهلية والاقتتال الداخلي فيه، الذب بدأ في نيسان 1975م، والاجتياح الاسرائيلي للبنان في حزيران 1982م، عرفت أكثر من أي قطرٍ عربي آخر أبعاد المشروع التوسعي خاصة في وجهه التقسيمي الذي يحوِّل الأقطار العربية كلها الى كيانات قزمة لا تقوى على مواجهة العدو.

إنطلاقاً من ذلك نستطيع تقرير ما يلي:

1) إن إسرائيل هي المسؤولة عن كل محاولات التقسيم الطائفي والمذهبي التي شهدها ويشهدها لبنان.

2) إنها تعمل على نسف وحدة لبنان وسيادته واستقرار أبنائه لتقول للعالم إن التعايش الإسلامي – المسيحي في لبنان بات مستحيلاً.

3) تريد الهيمنة الكاملة على لبنان. ومن خلاله على المنطقة العربية بحرب التقسيم (1).

نخلص الى القول، إنه في مواجهة المشروع التوسعي الصهيوني، تكون المواجهة باعتماد الخطوات التالية:

1) تعزيز الوحدة الوطنية في كل قطر عربي لردع مشروع التفتيت الصهيوني، ويكون ذلك بإحلال الإيمان بدل التعصب، والتديُّن بدل

الطائفية، مع البعد عن أساليب التطرف الديني التي تؤدي الى الفرقة.

2) الإعداد الدائم انطلاقاً من أمر الله تعالى: <<وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة>> (1) لأن لغة العنف، التي يستخدمها العدو، لا تردعها سوى القوة العربية المدعومة من كل المؤمنين مسلمين ومسيحيين، ومن كل الأحرار في العالم، لأن المشروع الصهيوني يشكل تحدياً سافراً لكل القيم والأعراف والمواثيق.

3) إذا كانت ثمة عقبات تقوم الآن في طريق وحدة عربية واتحاد إسلامي عام، من أجل رص الصف للمواجهة، فليكن الآن تضامن عربي مقاتل، وفق خطة مدروسة تواجه مخططات العدو ومن وراءه في مختلف الميادين، لأن العدوان على أمتنا شامل، فهو عدوان على المقدسات، وعلى القيم وعلى الإنسان، وعلى الثروة، وعلى الوحدة الوطنية، وعلى كافة مقدارات الأمة.

4) إبعاد الفرقة والانقسام عن صفوفنا الشعبية والرسمية، لأنها سبيل تناحر بين أبناء القضية الواحدة تمكِّن العدو منا، وإحلال الروح الجامعة التوحيدية ضمن قاعدة: لنعمل معاً فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

5) إرساء حياة سياسية وفكرية على أسس الحريات العامة المكفولة لكل أبناء الأمة طبعاً، على أساس أن لا حرية لأعداء الشعب والأمة، وما الحرية إلا لأنها تولِّد الثقة بين أبناء الأمة حكاماً وشعباً وقادة رأي، وتولد الثقة بالمستقبل وتشحذ الهمة على التضحية، لأن حرية الأوطان لا يصنعها العبيد.

6) تفعيل الحركة الفكرية النابعة من قيم الأمة وحضارتها وعمادها الإيمان، لمواجهة محاولات الغزو الثقافي المتكررة، لأن الغزو الثقافي من أكثر المسائل خطورة على الشخصية وعلى الأمة، فبواسطة الغزو يعملون على تسويق المفاسد بين أجيالنا، وعلى ضرب القيم والفضائل، ويعملون لجعل الاستيطان الصهيوني والهيمنة الاستعمارية على مقدرات أمتنا أمرين مقبولين.

7) إقامة المؤسسات والصروح التي تشكل أعمدة ومرتكزات في بناء الأمة، وبذلك لا يجوز أن تبقى الأمور رهن المبادرات الفردية، فالمؤسسات أطول عمراً من الأفراد، وفيها تُصهر الطاقات، ومنها تخرج حركة المقاومة الشاملة للأعداء، لذلك قال لنا ربنا سبحانه وتعالى: <<إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص>> (1).

8) إن يهود من جنسيات وقوميات متعددة، وكما مرّ معنا سابقاً لا علاقة لهم لا ببني إسرائيل ولا بسامية يدّعونها، لذلك لا بد من مواجهتهم على قاعدة ما جاء في الآية الكريمة: <<واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم>> (2).

---

(1) سفر التكوين، الإصحاح 15، آية 18.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 17، آية 8.

(3) سفر يشوع، الإصحاح 1، آية 2، 3.

(1) السيد حسين، د. عدنان، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، يروت، دار النفائس، ط 1، سننة 1410 هـ – 1990م، ص 27.

(1) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 7، آية 22.

(2) الزعبي، الأرقم، م. س.، ص 50.

(1) سفر العدد، الإصحاح 23، آية 24.

(2) التوراة – تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، بيروت، دار النفائس، ط 4، سنة 1402 هـ – 1982م، ص 33.

(1) غارودي، روجيه، م. س.، ص 83.

(2) التوراة – تاريخها وغاياتها، م. س.، ص 54، 55.

(1) الحسن، د. يوسف، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، سنة 1990م، ص 42.

(2) الحسن، د. يوسف، م. س.، ص 40.

(1) الحسن، د. يوسف، م. س.، ص 41.

(2) السمّاك، محمد، الأصولية الإنجيلية، مالطا، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، ط 1، سنة 1991م، ص 73.

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 2، م. س.، ص 128.

(1) الموسوعة الفلسطينية، م 2، م. س.، ص 128.

(2) الموسوعة الفلسطينية، م 2، م. س.، ص 129.

(1) هالسل، غريس، الفكر التوراتي والحرب النووية، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق، ط 3، سنة 1988، ص 9.

(1) هالسل، غريس، م. س.، ص 144.

(2) هالسل، غريس، م. س.، ص 140.

(1) المقصود المسجد الأقصى في القدس.

(2) هالسل، غريس، م. س.، ص 148.

(1) برانايتس، الأب آي. بي، فضح التلمود، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط 2، سنة 1403 هـ – 1983م، ص 112.

(1) نقلاً عن: سبيريدو فيتش، شيريب، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، ط 5، سنة 1403 هـ – 1983م، ص 168، 169.

(1) السيد حسين، د. عدنان، عصر التسوية، بيروت، دار النفائس، ط 1، سنة 1410 هـ – 1990م، ص 42.

(1) طرابلسي، المهندس سمير مصطفى، الأهداف الاستراتيجية الصهيونية لغزو لبنان. في: مجلة الموقف (لبنان) العهد الثاني، تموز 1983م، شوال 1403 هـ، ص 18.

(1) لمزيد من التفاصيل عن الموضوع يراجع: علي، عرفه عبده، جيتو إسرائيل في القاهرة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط 1، سنة 1411 هـ – 1990م.

(1) شاتيلا، كمال، القضية الوطنية التعادلية أمام التحديات، بيروت، المركز الوطني للدراسات والطباعة والنشر، سنة 1405 هـ – 1985م ، ص 84.

(1) سورة الأنفال، آية 60.

(1) سورة الصف، آية 40.

(2) سورة البقرة، آية 191.